سلسلة
المدائن
الفلسطينية
4

محمّد محمّد حسن شرّاب

الناصرة

منزل عيسى وأمّه البتول، وعاصمة العروبة
في الجليل، وميراث بني إسماعيل

الأهلية

4

الناصرة

منزل عيسى وأمه البتول، وعاصمة العروبة في الجليل، وميراث بني إسماعيل

الأهليّة للنشر والتوزيع
e-mail : alahlia@nets.jo

المملكة الأردنيّة الهاشميّة ، عمّان ، وسط البلد ، خلف مطعم القدس
هاتف ٤٦٣٨٦٨٨ ، فاكس ٤٦٥٧٤٤٥
ص. ب : ٧٧٧٢ عمّان / الأردن
لبنان ، بيروت ، بئر حسن ، شارع السفارات
هاتف : ٨٢٤٢٠٣ / ٠١ ـ مقسم ١٩

سلسلة المدائن الفلسطينيّة [٤]
الناصرة
منزل عيسى وأمّه البتول ، وعاصمة العروبة في الجليل ، وميراث بني إسماعيل
محمّد محمّد حسن شرّاب / الأردنّ

الطبعة العربيّة الأولى ، ٢٠٠٦
حقوق الطبع محفوظة

تصميم الغلاف : زهير أبو شايب / الأردن

الصفّ الضوئي :
إيمان زكريّا خطّاب ، عمّان ، هاتف ٠٧٩/٥٣٤٩١٥٦

تنفيذ وطباعة بيروت ـ لبنان ـ فاكس: ٢٧٢٢٢٥ ٠٠٩٦١١ خليوي: ٣٣٤١٦٤٨-٣١٢١٢٤ / ٠٠٩٦١٣

في الناصرة وأكناف الناصرة

﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ (مريم: 16) في الناصرة وأكناف الناصرة.

﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا ﴾ (مريم: 17) في الناصرة وأكناف الناصرة.

﴿ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴾ (مريم: 22) في الناصرة وأكناف الناصرة.

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ (مريم: 23) في الناصرة وأكناف الناصرة.

﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾ (مريم: 24) في الناصرة وأكناف الناصرة.

﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ (مريم: 25) في الناصرة وأكنافها.

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾ (مريم: 27) في الناصرة.

﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ (مريم: 30) في الناصرة.

﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: 42) وكان ذلك في الناصرة.

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران: 45) وكان ذلك في الناصرة.

وقد ركبتُ مَتْنَ الجبال وأشرفتْ ... على مَرْجها واليمّ والغور والنَّجْد
مليكة حُسْن فوق عرشٍ تربعتْ ... محاسنها تبدو على القرْب والبُعْدِ

... وهي الناصرة.

مقدمة

مدينة الناصرة: أُم الجليل، وأُم كلِّ جليل، بارك مكانها وأعلى
مكانتها القرآنُ والإنجيل ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ
مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا
قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ
وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ
عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ
هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا
زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ
ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ
بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ
ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ
ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ
﴿٤١﴾ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ
عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ
ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ
يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ
﴿٤٤﴾ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ
عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ
ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي
وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا
فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ
وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ
أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ
ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران: 35-49) .

وفي الناصرة وأكناف الناصرة، قال القرآنُ أيضًا ﴿ وَاذْكُرْ فِي
الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ
بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ
غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا
﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ
وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾
فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾
فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ۖ
قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ

سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ
فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا
﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ
وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا
صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن
مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (مريم: 16-37).

وفي الناصرة قال القرآن: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: 52) .

وفي إنجيل لوقا 26/1 (وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها (ناصرة) إلى عذراء.. واسم العذراء مريم فقال لها الملاك: لا تخافي يا مريم.. وهاأنت ستحبلين وتلدين ابنًا وتسمينه اليسوع).

وفي إنجيل مرقس 9/1 (وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن.. وبعدما أُسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل..).

وفي إنجيل متى 22/2 (وإذ أُوحي إليه في حلم انصرف إلى نواحي الجليل وأتى وسكن في مدينة يُقال لها (ناصرة) لكي يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيُدعى ناصريًّا).

فالناصرة، وأكناف الناصرة من منازل الوحي التي أنزلها الله على عيسى عليه السلام بالإنجيل، لتثبيت كلمة التوحيد التي حاربها اليهود، واختاروا الانضمام إلى أهل الوثنية، في محاربة المؤمنين ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ (المائدة: 82) .

وجاء الإنجيل يفنّد أكاذيب اليهود، ويدحض ادعاءَهم الانتساب إلى إبراهيم، ويدعو إلى تخليص الناس من شرورهم، باجتثاثهم من المجتمع الفلسطيني.. فقد جاء في إنجيل لوقا 5/3.

(وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه، يا أولاد الأفاعي، مَنْ أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم: لنا إبراهيم أبًا، لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم. والآن قد وُضعتْ الفأس على أصل الشجر، فكلُّ شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تُقطع وتُلقى في النار).

فاليهود قوم اجتمعوا على الضلالة وكُرْه الناس جميعًا، لا يمتّون لإبراهيم بصلة نسب أو دين، واليهوديّة ديانة باطلة وشاذة، لأن معتنقيها ألّفوا (توراة) بأيديهم وادعوا أنها توراة موسى.. وإذا كان إنجيل عيسى قد جاء متممًا لما جاء به موسى، فإن هذا التتميم يكون تتميمًا لأصل صحيح النسبة، والتوراة التي بين يدي اليهود، ليس فيها مما أُنزل على موسى إلا (الاسم) أما المضمون فهو كلام ملفق وحكايات مخترعة.. ولهذا فإن ديانتهم فاسدة. ولا يصحُّ اعتماد كتابها المسمى (التوراة) ليكون جزءًا من الكتاب المقدس تحت عنوان (العهد القديم) فقول عيسى (لا تظنوا أني جئتُ لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأنقض بل لأكمل..) (متى 17/5). إنما أراد به التوراة الحقيقيّة التي نزلت على موسى وهذه التوراة التي بأيديهم من تأليف عزرا..

وفي إنجيل يوحنا 39/8 (قال لهم يسوع: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم).

وفي القرآن ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾ (آل عمران: 67) وبهذا يكون القرآن قد قرر أن الديانة اليهودية بعيدة عن عقيدة التوحيد التي جاء بها إبراهيم وجميع الأنبياء من بعده.

وتمضي القرون وتبقى الناصرة مستعصية على الغرباء المعتدين فطردت الرومان، ورجعت إلى أكناف عروبتها برعاية بني إسماعيل الذين حملوا راية التوحيد، ثم طردت الفرنجة الصليبيين الذين شوّهوا

صورة رسالة المسيح.. وأسسوا لعداوة أبديّة في أوروبا، ومن اشتق منها، للعرب والمسلمين. حتى صارت المسيحيّة في أوروبا وأمريكا، مرادفة للصليبية، ولا يكون الإنسان - في الغرب - مسيحيًّا إلا إذا كان صليبيًّا. ومع أن الصليبيّة منسوبة إلى الصليب (شعار النصارى)، إلا أن الصليبية وُجدت وعناصرها الأصيلة كراهية العرب والمسلمين. فإذا لم يكره الأوروبيُّ العرب والمسلمين، فإنه ليس مسيحيًّا متدينًا.. والعداوة للعرب في أوروبا وأمريكا، عداوة مركبة من عنصرين رئيسين الأول: إنكار نبوة (محمد) النبيّ العربي، والثاني: الكراهية التي نشأت بل تفاقمت مع الحركة الصليبية. وقلتُ: تفاقمت لأن العداوة للعرب بدأت منذ فتح العرب المسلمون بلاد الشام ومصر، وبلاد المغرب والأندلس: وقضوا على النفوذ الروماني (الأوروبيّ) في هذه البلاد: ويبدو أن الرومان كانوا يظنون أن الفتح العربي الإسلامي موجة أو نزوة عابرة، تموت بموت القائد الفاتح، وكان أمامهم مثل الإسكندر المقدوني الذي فتح الشرق كله، ثم انحسر نفوذه بعد موته.. فلما رأوا أن العرب الفاتحين يؤثرون في البلاد المفتوحة عقيدة وثقافة تؤسس لإقامة دائمة، تحركت في نفوسهم النزعة القوميّة لكراهية العرب، بل تحرك في نفوسهم الحسد القومي للعرب.. فاخترعوا (الصليبيّة) لحث العامة على المشاركة في عدوانهم على العرب. وقد أحسن المؤرخون العرب القدماء التعبير عن هويّة هؤلاء المعتدين عندما سموهم (الفِرنجة) لأنهم لحظوا في هذا التجمع (العنصر القوميّ). وهُزم الفرنجة الصليبيون وخرجوا من بلاد الإسلام على يد صلاح الدين ومَنْ تبعه من ملوك مصر (المماليك)

ولكن العداء القومي للعرب لم يخرج من نفوسهم، ومع مرور القرون تأصل في نفوسهم الحقد الفرنجي الصليبي، فاجتمع الحقد القوميّ والحقد (الديني) المبني على الهرطقة والبدعة.. فهم يزعمون أنهم حماة المسيحيّة وأنهم أهلها، فصارت المسيحيّة عندهم عقيدة قوميّة. كما أن العرب يرون أن الزعامة الإسلامية لهم، وأنهم أهل هذا الدين وحماتُه وشتّان بين الرأيين: فالعربُ صادقون في زعمهم، لأنهم أصل الإسلام، ونبيُّ الإسلام منهم، ولغتهم لغة الإسلام، والتمسك باللغة العربية ليس مسألة قوميّة، وإنما هي قضية دينيّة والعربُ القوميّون العلمانيون يعدّون العربية أساس الأمة لأنها لغة (الثقافة العربية الإسلامية) بوصفها نتاج العقل العربي أو نتاج اللسان العربيّ.

أما المسيحيون في أوروبا وأمريكا فهم تبعٌ للمسيحيين في الشرق العربي بل هم تبع للمسيحيين في فلسطين، وجاء إنجيل عيسى باللغة العربية الآراميّة، ولستُ مغاليًا إذا قلتُ: إن عيسى عربيّ. لأنه نبت في أرض عربية من جزيرة العرب..

ومن أدلة حقد الأوروبيين القومي على العرب، أنهم ما زالوا يصورون العرب المسلمين، و العرب بعامة بصورة البدوي المتخلف عن الركب الذي لا يعرف آلة إلا الجمل، ويزعمون أن العرب ليسوا أهلا للحضارة ولا يقدرون على الإنتاج العلمي، وهذه الصورة التي يشيعونها، هي نفسها الصورة التي أشاعها الشعوبيون الفرس.. والمعروف تاريخيًا أن (الشعوبية) نزعة قوميّة، طعنت في قدرات العرب الحضاريّة والثقافية.. وهذا شأن النزعات الإقليمية والقبلية والقوميّة الضيقة التي

تقوم على العصبية، فإنها تقوم على تصغير شأن الأمم الأخرى التي تنافسهم وتجاورهم.

قلتُ: لم تخرج النزعة القوميّة المتعالية من نفوس الأوروبيين، ولم تسكت محاولاتهم للعودة إلى الشرق العربي، وإنما كانوا ينتظرون ثغرة ضعف في جسم الأمة العربية لينفذوا من خلالها. وحانت الساعة المواتية في أواخر العصر التركي عندما ضعفت السلطنة التركية، فبدأوا بفرض الحماية المزعومة للأقليات المسيحيّة واليهودية وإنما كان هدفهم إضعاف سلطة الدولة، والتدخل في الشؤون الداخلية. ثم اختلقوا قصة الحرب العالمية الأولى وأدخلوا تركيا طرفاً معادياً فيها، وتعاونوا مع (اليهوديّة) العالمية في لباس صهيونيّ.. وتجتمع الصليبيّة القوميّة الأوروبية مع اليهودية الصهيونية في كراهية العرب بعامة والعرب المسلمين بخاصة، ويجتمعان أيضاً في أن العنصر (القومي) الديني، هو المسيطر عليهما.

وليس ببعيد التفسير القائل: إن العداوة الأوروبية القوميّة المسيحية للعرب متأثرة بعداوة اليهود للعرب، فاليهود يدعون ويزعمون أن النبوة لا تكون إلا في (بني إسرائيل) من نسل إسحاق، وهم يزعمون أنهم من نسل إسحاق، فلما جاء النبيُّ محمد من نسل إسماعيل، هاجوا وماجوا وغضبوا، لأن ذلك يعني انتقال الزعامة العالمية من نسل إسحاق إلى نسل إسماعيل..

والمعروف أن كتاب (التوراة) المسمى (العهد القديم) الجزء الأول من الكتاب المقدس عند كثير من المسيحيين، يقرأونه قبل قراءة (العهد

الجديد) الإنجيل. ومن الغرائب أن يَعدَّ المسيحيون كتاب (اليهود) المسمى التوراة، الجزء الأقدم من كتابهم المقدس، مع أن اليهود لا يعترفون بنبوة عيسى، ولا يعترفون بالإنجيل، بل يعدون عيسى (ابن زنا) ويعدّون أمه (زانية) - أستغفر الله من كتابة هذا القول -.

وفي الأناجيل أن اليهود آذوا المسيح، وصلبوه أو همّوا بصلبه.. ومن الغريب العجيب أن يحبّ إنسان متدينٌ مَنْ يؤذي حبيبه ونبيّه!

قال البابا الذي برأ اليهود من دم المسيح أو صلبه: إن الذين فعلوا ذلك اليهود القدماء، وأما يهود اليوم فلا يحملون إصر أجدادهم.. وهذا تبرير غريب: ذلك أن رأي اليهود اليوم لم يتغير في عيسى، ويهود اليوم امتداد ليهود الماضي في العقيدة.. قد يكون التبرير مقبولاً لو أن يهود اليوم أعلنوا براءتهم من العقيدة اليهودية في المسيح، وأعلنوا اعترافهم بنبوة المسيح، وبراءة أُمه من افتراءات اليهود القدماء.. ولكنهم لم يفعلوا ذلك.. بل تدلُّ سياسة اليهود في فلسطين المحتلة على أنهم يعملون على تفريغ فلسطين - مهد المسيحيّة - من المسيحيين. وتدلُّ الإحصاءات على أن المسيحيين تناقص عددهم في عهد الاحتلال اليهودي..

في سنة 1948 استولى اليهود على حوالي 75٪ من أرض فلسطين.. وهُجّر الفلسطينيون من المدن الرئيسة الكبرى التي دخلت تحت الاحتلال وخلتْ صفد وطبرية وبيسان من العرب تمامًا بعد سنة 1948 وبقي أقل من القليل في عكا وحيفا ويافا.

أما مدينة الناصرة فقد هاجر منها أقلّ من القليل، وبقي معظم سكانها صامدين في بيوتهم، كما بقي أكثر سكان قرى قضاء الناصرة مرابطين في أرضهم.. كانت الناصرة قبل سنة 1948 إحدى مدن لواء الجليل، تتقاسم مع أخواتها زعامة الشعب الفلسطيني في الجليل وفلسطين.. ولكنها بعد سنة 1948 استحقت لقب (عاصمة الجليل) أو (عاصمة فلسطين المحتلة سنة 1948) العاصمة السياسية، والعاصمة الثقافية، وعاصمة العروبة، وعاصمة النضال العربي الفلسطيني لتحقيق الذات العربية، والدفاع عن الجذور بل هي جديرة بأكبر وأكثر من هذه الألقاب.. إن ما في نفسي من التقدير والجلالة للناصرة، وقرى الناصرة، والجليل، وكلّ القرى والمدن التي بقي فيها أهلها صامدون، لا أقدر على وضعه في مفردات ملائمة لإعطائه حقه من الوصف..

يتغنى العربُ اليوم بالأندلس وأهل الأندلس، وتراث الأندلس ولكنّ عرب فلسطين المحتلة الذين صمدوا على أرضهم سنة 1948، والناصرة عاصمتهم، أعلى مرتبةً عندي في ميزان الأُمة العربية، من الأندلس، وغرناطة وقرطبة.. لقد ترك الأندلسيون لنا (آثارًا) أدبية وعمرانية ولكنهم لم يتركوا لنا حياة على الأرض، ولم يتركوا أرضًا فيها حياة.. لم يبق في الأندلس كلها بعد الاحتلال الأسباني مَنْ يوصف بأنه (عربي أسباني) ولكن فلسطين بقي فيها مَنْ يوصف بأنه عربيّ من أهل فلسطين المحتلة سنة 1948، أو يقال: إنه (عربي إسرائيلي) بمعنى أنه يحمل هوية الدولة المحتلة. قد تجد في أسبانيا اليوم مَنْ يُقال: إنه من أصل عربيّ، ولكنه لا يحمل شيئًا من عناصر العروبة..

فإذا قيل: هذا عربيّ (إسرائيلي) تجدُ فيه كل عناصر العروبة التي تزيد على عروبة مَنْ هم خارج هذا الكيان، فالدم عربي والوجه عربي، واللسان عربيّ مبين، والثقافة عربية عميقة الجذور العربية. يقولون: كان في الأندلس محاكم تفتيش.. وكان في فلسطين المحتلة سنة 1948 ما هو أدهى وأمرّ من محاكم التفتيش.

في المعتقل - في فلسطين المحتلة سنة 1948، أقلية فلسطينية غير مضطهدة بالمعنى التقليدي للكلمة، ولا هي واقعة تحت التمييز العنصري بأوصافه السائدة، وإنما هي في ظل حالة غريبة تقع في درك أقسى من الاضطهاد وأشدّ امتهانًا لكرامة الإنسان من التمييز العنصري، ومما زاد في بؤس هؤلاء، تخلّي القريب والبعيد عنهم، بل وصفهم أقرباؤهم وبنو جلدتهم بأبشع الأوصاف.

(فالأقلية العربية في الوطن المحتل، في وقت كانت تقاوم فيه اجتثاث أصولها التاريخية وجدت نفسها موصوفة بالخيانة، من قلعة انتمائها القومي نفسها.. القلعة التي احتمت بها الثورة الفلسطينية عام 1948 فلقيت منها تلك الخناجر الخلفية التي عجّلت في انهيارُها أمام العدوّ وهي خيانة لم تتوقف عند عام النكبة، إذ ما تزال قائمة مستمرة حتى سنة 2002.. اتهمت هذه الأقلية بالخيانة لأنها لم تلبّ نداء قادة الجيوش العربية بإخلاء أرض فلسطين وخصوصًا إذا كان هؤلاء يقيمون في أرض قد اعترف العرب أو زعماء العرب، أنها من حصة اليهود حسب قرار التقسيم. وقد عملتْ هذه الأقلية بالقول (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

لقد وجدت هذه الأقلية نفسها مخذولة من مئة مليون عربي (سنة 1948) مشغولين عنها - صحافة وإذاعة - بأدق تفاصيل التمييز العنصري في (جنوب أفريقيا) أو (أنغولا) أو (روديسيا) أو أي طرف من أطراف الدنيا القاصية .. وكُتبتْ أشعار، وانشغلت إذاعات في الدفاع عن نيكاراغوا، والكنغو، وكوبا.. ولم يكتب أحدٌ حرفًا في وصف حال الأقلية الفلسطينية المسجونة.. مع أن ما كان يحدث يوميًا في كلِّ قرية أو مدينة من فلسطين المحتلة يطرح قضية قومية وإنسانية تفوق في الأهمية سائر القضايا الإنسانية الأخرى.

لم يفتّ في عضد هذه القلة المؤمنة بوطنها، نكوص العرب عن دعمهم وإطراء ذكرهم بالخير.. فقرروا خوض معركة الجهاد بما أعطاهم الله من عزيمة، وقالوا: يا الله كن معنا، واستعذبوا العذاب في هذا السبيل.. وفي سنة 1967 فقط أُزيح الستار عن لوحة جهادية، لم تقدم الأمة العربية مثيلاً لها في العصر الحديث، وقلَّ نظيرها في تاريخ الأُمة القديم.. وكان للناصرة: ناصرة الجليل ناصرة عيسى والإنجيل القدح المعلى، والنصيب الأوفى في رسم هذه اللوحة النادرة.. فكانت جديرة بأن ينظم تاريخها في عقد المدن العربية الخالدة.. وكان هذا الكتاب الذي كتبه قلم فقير عاجز عن الوفاء بكل حقوق الخالدين.. وها قد اعترفت لك يا ناصرة الجليل بأنني بذلتُ في خدمتك الطاقة، وما ادخرتُ جهدًا، فأرجو قبول المعذرة، وغفران التقصير، واحتساب العمل في ميزان محبّ لم يخلص الودّ والحبّ إلا لله أولاً ثم للوطن وهو القضاء

الإلهي المعبر عن الفطرة الإنسانية ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الإسراء: 23) ووالداي، أبي وأمي وكلّ أهل الوطن والأرض التي احتضنت رفات الأجداد.

محمد محمد حسن شُرَّاب

من دار الاغتراب عن الوطن الأم

داريا الشام / 2002

في ديار الجليل

اسم الجليل :

مدينة الناصرة من إقليم الجليل، والجليل من فلسطين وفلسطين من بلاد الشام، والشام كله من جزيرة العرب.

و(الجليل) اسم عربيّ كنعاني قديم، مأخوذ من (الجلجال) ومعناه الحجر المستدير الشكل. وقال مصطفى الدباغ: الجليل لفظ عربيّ قديم يفيد (الاستدارة) و(الدائرة) ويُراد بها المنطقة، والتخم، ويقابلها (المحافظة) أو (اللواء) من المصطلحات الحديثة.

وجاء اسم (الجليل) في عدد من المواطن في الأناجيل. ففي إنجيل (متّى) عند ذكره قصة عودة عيسى مع أُمه من مصر (انصرف إلى نواحي الجليل وسكن في مدينة يُقال لها «ناصرة») (إصحاح/2/22).

وفي الإصحاح الثالث من إنجيل متّى (حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن). وفي الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متّى نسب عيسى إلى الجليل فقال: (وأنت كنتَ مع يسوع الجليلي). وفي الإصحاح الرابع أُضيفت إليه بحيرة طبرية بلفظ (بحر) فقال: (وإذْ

كان يسوع ماشيًا عند بحر الجليل أبصر أخوين). وانظر (لوقا/75) و (يوحنا/1/6).

وعرف العربُ الجليل في جاهليتهم، وجاء ذكرها في أشعارهم. من ذلك قول أبي قيس بن الأسلت (صيفي بن عامر) وكان متحنفاً:

ولـــولا ربُــنا كُــنَّا نصـــارى مع الرُّهبان في جبل الجليل
ولكـــنا خُلقـــنا إذْ خُلقـــنا حـنيفٌ ديـننا عـن كلِّ جيـل

الجليل في الجغرافية العربية القديمة

قال ياقوت الحموي في (معجم البلدان) جبل الجليل في ساحل الشام ممتدّ إلى قرب حمص.. وهو جبل يُقبل من الحجاز فما كان بفلسطين منه فهو جبل (الحمل) بالحاء المهملة، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل. وهو بدمشق (لبنان) وبحمص (سنير) وهذا التقسيم الذي ذكره ياقوت، هو التقسيم الإداري الذي جرى العمل به منذ الفتح العربي الإسلامي لبلاد الشام حتى زمن ياقوت الحموي. ذلك أن (فلسطين) أو (جند فلسطين) كان يضم جنوب فلسطين وجنوب شرقي الأردن. والأردن أو (جند الأردن) كان يضم أقسامًا من فلسطين الشمالية، وشمالي شرقي الأردن، وعاصمته طبرية.

الجليل في الجغرافيا العربية الحديثة

والجليل في الجغرافية العربية الحديثة: يعني مرتفعات شمال فلسطين، حتى جبل عامل في جنوب لبنان. وهي تشمل المنطقة الشمالية من فلسطين التي تضم أقضية (صفد) و(طبرية) و(بيسان) و(عكا) والناصرة وتُعرف بلواء الجليل.

وفي جبال الجليل وحدتان تضريسيتان بارزتان، هما:

جبال الجليل الأعلى، وجبال الجليل الأدنى

وتمتد الحدود الفاصلة بين هاتين الوحدتين من الشرق إلى الغرب مسايرة لطريق السيارات الخارجة من مدينة عكا إلى منطقة صفد عبر الجبال، ويتفق محور الطريق مع محور الأودية والمنخفضات الواقعة عند أقدام سلسلة من الجروف الصخرية والجبال العالية 750-1000 شغلها مجرى سيل الشاغور ومجرى سيل مجد الكروم، وسهل الرامة وأحد الروافد الغربية لوادي العمود في الشرق.

1- الجليل الأعلى:

يقع في الشمال من الحدّ الفاصل بين الجليلين، وتبرز كتلة الجليل الأعلى مكونة هضبة ترتفع أكثر من 800م فوق سطح البحر في الوسط

والشرق، وأقل من 700م فوق سطح البحر في الغرب وللكتلة شكل مستطيل تقريبًا يمتد من الشرق نحو الغرب بين وادي الأردن والسهول الساحلية. وتتميز في الشرق والجنوب بحدود واضحة ترسمها الجروف والسفوح الجبلية الشديدة الانحدار على أرض سهل الحولة وسهول شمالي غرب طبرية في الشرق، وعلى أودية ومنخفضات الحدّ الفاصل بين الجليل الأعلى والجليل الأدنى في الجنوب. في حين لا يلاحظ في الشمال أي انقطاع في استمزار المرتفعات حيث تلتحم كتلة الجليل الأعلى مع كتلة جبل عامل (عاملة) في لبنان. أما في الغرب فإن سفوح الكتلة تنحدر بشكل تدريجي حتى تندمج نهاياتها التالية بمنبسطات السهول الساحلية دون أي انقطاع في الانحدار اللطيف نسبيًا.. وهاهي أعلى قمم جبال الجليل الأعلى:

- **جبل الجرمق:** في الشمال الغربي من مدينة صفد، وأعلى قممة 1208 متر وهي أعلى قمم فلسطين. ويدعوه الأعداء باسم (جبل ميرون).
- **جبل عروس:** يقع في أراضي قضاء عكا. يرتفع 1071م.
- **جبل حيدر:** ويقع في أراضي قضاء عكا في ظاهر قرية بيت جن الجنوبي ويرتفع 1047 عن سطح البحر.
- **جبل عداثير:** يقع في ظاهر قرية سعسع الغربي يرتفع 1006م.
- **جبل كنعان:** تقع عليه بعض أحياء مدينة صفد وترتفع أعلى نقطة فيه إلى 945م.
- **جبل البقيعة:** في شمال القرية التي يحمل اسمها يرتفع 886م.

2- الجليل الأدنى:

يمتد إلى الجنوب من نطاق الأودية والمنخفضات الفاصلة بين الجليلين. من الخط الواصل بين سهل عكا - حيفا في الغرب، وبحيرة طبرية وغور الأردن في الشرق، حتى سلسلة منخفضات وادي جالود وسهل مرج ابن عامر ووادي نهر المقطع جنوبًا. وتسمية هذا الجزء (الأدنى) منطبقة على واقع جغرافي يتميز بانخفاض عام واضح للمنطقة. إذ تقع أعلى قمم الجليل الأدنى في حدود 500 - 550م فوق مستوى سطح البحر، أما الارتفاع المتوسط فلا يتجاوز 300 - 350م إذا أُخذت المنخفضات والسهول الجبلية في الحسبان.

قال أبو أحمد: ولكن لفظ (الأدنى) ليس مقابلاً لـ (الأعلى) فالأدنى من الدنوّ، وهو القرب، والأعلى من العلوّ وهو الارتفاع. وتفسير ذلك أن يكون المترجم قد أخطأ في استعمال اللفظ المناسب.. فالجغرافية العربية الحديثة أخذت مفهوماتها مما كتبه الغرباء. وكان من حقّ الوصف أن يُقال: الجليل الأعلى، والجليل الأسفل. ولو وضعت العامة هذا المصطلح لقالت: (الجليل الفوقا) و(الجليل التحتا) كما يصفون بعض القرى المجاورة. وربما نفسر مراد القائل (الأدنى) أي: الأقرب إلى الناس والأسهل صعودًا إليه، أو الأقرب إلى شيء في ذهن الواصف، والله أعلم.

والجليل الأدنى: مؤلف من وحدتين تضريسيتين متباينتين: الجليل الأدنى الشرقي، والجليل الأدنى الغربي.

ويشكل الجزء الشرقي هضبة واسعة من مرتفعات وتلال شمال غرب، وغرب طبرية، وتستمر جنوبًا حتى وادي نهر جالود بعرض متزايد في اتجاه الجنوب يصل إلى خمسة عشر كيلومتر وارتفاع متوسط لا يتجاوز 300م فوق مستوى سطح البحر. ولكن هذا الارتفاع المتوسط يأخذ بالازدياد مع الاقتراب من وادي غور الأردن، حيث يضاف مقدار الانخفاض دون مستوى سطح البحر في الغور إلى الرقم السابق فيصبح الارتفاع المتوسط للجليل الأدنى الشرقي وهضابه، بالنسبة إلى غور الأردن 500 - 550م.

ولما كانت حافات الجليل الأدنى المشرفة على الغور ذات سفوح شديدة الانحدار، ومجزأة بأودية سيلية كثيرة تنتهي في بحيرة طبرية وفي نهر الأردن، فإن الناظر إليها من جهة الشرق يرى فيها جبالاً متوسطة الارتفاع وهضابًا منخفضة تقف عائقًا أمام الاتصال بين الغور وقلب الجليل الأدنى. إلا عن طريق ممرات الأودية، كوادي طابور ووادي جالود.

أما في الجليل الأدنى الغربي، فتسيطر ظاهرة الأحواض والسهول المنخفضة الفاصلة بين سلاسل جبلية - تلالية متطاولة على امتداد محاور شرقية - غربية، عامة.

فإلى الجنوب من نطاق الأودية والمنخفضات الفاصلة بين الجليلين، ومن وادي مجد الكروم، ترتفع سلسلة جبال الشاغور على محور شرقي غربي مقسم بوادي الشاغور إلى ثلاث وحدات جبلية تقع قممها على علو 520 - 570م وتشرف جبال الشاغور على سهل سخنين وسهل عرابة المسايرين لمحور الجبال من الجنوب.

وينحصر منخفض سخنين - عرابة بين جبال الشاغور في الشمال وسلسلة جبال البطوف - سخنين في الجنوب، فتصل قممها إلى 526م في جبل البطوف و548م في جبل سخنين. وإلى الجنوب من هذه الجبال - على محور غربي شرقي، مع انحراف نحو الجنوب الغربي، يمتد منخفض سهل البطوف فسيحًا متطاولاً بين سلسلة البطوف - سخنين، وجبل طرعان وسلسلته في الجنوب.

وأخيرًا ترتفع سلسلة جبال الناصرة جنوبي منخفض طرعان الصغير المحصور بين جبل طرعان في الشمال، وجبال الناصرة في الجنوب وترتفع قمة جبل طرعان إلى 548م، وقمة جبل الشيخ أعلى قمة في جبال الناصرة، إلى 573م، وتتصل السفوح الجنوبية لجبال الناصرة بأكبرٍ منخفض سهلي في المنطقة، وهو سهل مرج ابن عامر، وامتداده شرقا بجنوب في وادي نهر جالود، حيث تنتهي منطقة الجليل، لتبدأ منطقة جبال فلسطين الوسطى.

ومن قمم جبال الجليل الأدنى:

جبل (تابور) أو (طابور) بمعنى مرتفع. ويسمى جبل (الطور) يرتفعٍ 588م. يقع في الشرق من مرج بني عامر في ظاهر قرية (دبورية) التي أقيمت عند سفحه الغربي.

يبعد جبل تابور نحو تسعة كيلومترات للجنوب الشرقي من الناصرة، ويبعد تسعة عشر كيلومتر نحو الجنوب الغربي من بحيرة طبرية. وهو جبل منفرد عن بقية جبال الجليل.

يعلو 588م فوق سطح البحر و420م عن سطح المرج. قمته مدورة طولها أقل من نصف كيلومتر، ومناظرها من أجمل ما تقع عليه العين في فلسطين الشمالية، فيظهر منها جبل الشيخ، وجبال شرقي الأردن الشمالية، وبحيرة طبرية، ومرج بني عامر، والكرمل، والبحر المتوسط وجوانبه مكسوة بشجر السنديان والبطم والجوز، وتربته خصبة توافق المرعى.

وفي بعض التقاليد المسيحية أن المسيح عيسى - عليه السلام - تجلى على هذا الجبل لطائفة من تلاميذه وغيرهم. ولذلك أُقيمت عليه عدة كنائس منذ القرون الأولى للمسيحية.. إلا أن البقعة التي حدث فيها التجلي غير معروفة. واللاتين والروم الأرثوذوكس، يختلفون حول هذا الموضوع.

والمقصود بالتجلّي: أن المسيح ظهر لتلاميذه بعد أن رُفع حتى أراهم نفسه وعرفوه. والله أعلم.

جبل النبي سعين: من جبال الناصرة، والأرجح أنه تحريف لجبال (السعير) وجاء ذكره فيما جهل اليهود معناه من التوراة فلم يحرفوه وفيه إشارة إلى نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام وهو (إنَّ الله من سيناء تجلّى وأشرق نوره من (سيعير) وأطلع من جبال فاران ومعه ربوات القديسي) . فقوله من (سيعير) إشارة إلى ظهور عيسى من الناصرة. وجبال (فاران) هي جبال الحجاز، وفيه إشارة إلى نبوة محمد ﷺ ، وقد ظهر في مكة.

جبل الدّحْي: يقع في الجنوب من الناصرة مع انحراف قليل إلى الشرق، على بُعْد نحو ثمانية أميال للشمال الغربي من جبل فقوعة، وعلى نحو ميلين من (العفولة).

يعلو 515م فوق سطح البحر و365م عن سطح المرج المطل عليه..أخذ اسمه من قرية (الدِّحْي) القائمة عليه. وبها قبر الصحابي الذي أعطاها الاسم. وهو دحْية بن خليفة بن فروة بن عامر بن بكر بن عامر الأكبر بن عوف الكلبي، من قضاعة القحطانية وإلى الجدّ (عامر) نسب المرج، فدعي مرج ابن عامر.

جبل القفزة: يقع في ظاهر مدينة الناصرة الجنوبي، يرتفع 397م فوق سطح البحر. وقد عُثر في أحد كهوفه على بقايا هياكل بشرية يعود تاريخها إلى ما قبل 100.000 سنة.

جبل صرطبة: يقع بين الناصرة وجبل الطور، يرتفع 437م.

جبل السيخ: من جبال الناصرة، يرتفع 573م، ومن قممه، جبل (المعنتر) وهو اسم لشخص كان يملكه.

جبل طرعان: يقع في شمال القريةالتي نُسب إليها. يرتفع 548م وعلى سفوحه الشمالية المنتهية بسهل (البطوف) تقع البعينة و(عُزير).

جبل الديبة: يقع في الشمال - مع انحراف قليل إلى الشرق - من قرية كفر منده. يعلو 548م.

عروبة ديار الجليل عبْر الحقب التاريخيّة

(ديار الجليل) من فلسطين وفلسطين من الشام أو (سورية الكبرى) وبلاد الشام أحد أقاليم الجزيرة العربية. وأول مَنْ سكن بلاد الشام وعمرها، وامتدّ وجوده فيها دون انقطاع إلى يومنا، هو الجنس العربيّ، من جميع قبائله وبطونه وأفخاذه وشعوبه التي اتخذت أسماء شتى داخل الجنس العربي: فالكنعانيون من العرب، والعدنانيون من العرب، والقحطانيون من العرب، كما أن قريشًا من العرب.. فكلما تفرع الأصل وتشعب ذُكر الفرعُ لميل الإنسان إلى القرابة الأقرب..

واليبوسيون - عُمّار القدس - والأموريون، والمؤابيون والمدينيون، والآراميون أقوام من العرب، لسانهم اللسان العربيّ، كلٌّ قوم كانت لهم لهجة من لهجات العربية القديمة..

والجنس العربيُّ هو الذي نبت وتجذر في بلاد الشام بعامّة وفي ديار فلسطين بخاصة. وكلُّ أثر دلَّ على وجود جنس آخر غير عربي، فإنَّ هذا الوجود كان مؤقتًا وعابرًا وجزئيًا، ثم كان رحيل بلا عودة وهذا ما نقوله في الوجود الفارسي واليوناني والروماني، واليهودي والإنجليزي.. الخ.

ويشهد لعروبة ديار الجليل بخاصة، وفلسطين بعامة، منطوق الكلام التوراتي والدلائل التاريخيّة الموثوقة، ونتائج الحفريات الأثرية.

فقد اختار اليهود لدولتهم اسم (إسرائيل) مع أن (اليهوديّة) هي المذهب الجامع بينهم، وهو الأصدق على تجمعهم. وقد اختاروا اسم (إسرائيل) لإيجاد تناسق بين اسم الدولة والاسم التوراتي لفلسطين وهو (أرض إسرائيل) في زعمهم، ولأنهم لا يريدون التذكير بالحدود القديمة لمملكة (يهودا) المزعومة، كما حددتها التوراة التي كتبوها بأيديهم من صنع خيالهم. هذه المملكة كما رسمتها التوراة لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين بدون ساحل البحر، وهذا التحديد يمثل قيدًا تاريخيًا للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي.

وخطابنا ليهود اليوم الذين احتلّوا أرض فلسطين بعد سنة 1948، يقوم على الفرَض، والأسلوب الجدلي: ذلك أن يهود اليوم لا يمتّون بأيّ صلة قريبة أو بعيدة، لأرض فلسطين: وقد اتفق العلماءُ - علماءُ الأجناس - أن الدماء التي تجري في عروق المحتلين، هي دماء خزرية - نسبة إلى الخزر - أو دماء أوروبيّة.. وحتى اليهود الذين كانوا يقيمون في بعض البلاد العربية قبل سنة 1948 وما زال بعضهم موجودًا فيها لا يمتّون للدماء الشرقيّة، بصلة الدماء (الإسرائيلية) القديمة. فهناك رأيٌ راجح أنهم قدموا إلى البلاد العربية من الأندلس بعد خروج العرب منها.

وإذا صحَّ لنا أن نجادل اليهود فيما يزعمون من صلة قديمة في فلسطين ومن صلةٍ بإسرائيل - إنْ صحَّ أنه يعقوب - .. فإننا نقول لهم: إنَّ برهانكم الوحيد على صلتكم بأرض فلسطين - بوصفكم من أبناء يعقوب هو التوراة (وهذا البرهان ينقضه علم التاريخ، وعِلْمُ الحفريات الأثرية الذي وضع النقاط على الحروف، وميزنا عن طريقه بين الأساطير والخرافات وبين الواقع التاريخي).

ونذكر هنا المعالم الهادية التي تفنّدُ الأقوال التوراتية:

1- فهم يزعمون أنهم من نسل (يعقوب) بن إسحاق - المسمّى إسرائيل، وأنهم خرجوا من مصر، ودخلوا بلاد فلسطين في زمن موسى. ونحن نقول: إنه لا علاقة بين الخارجين مع موسى، وبين آل يعقوب فإنَّ بين موت (يوسف) وولادة موسى حوالي أربعمائة سنة، ولم يذكر التاريخ شيئًا عن سلالة يعقوب في هذه المدة، مما يدلُّ على أنهم اندمجوا في الشعب المصري، ولم يَعُد لهم وجود متميز.. وكتبة التوراة هم الذين ربطوا بين عهد يوسف ويعقوب، وعهد موسى. بل ليس هناك دليل تاريخي يؤيد مقولة إن (إسرائيل) هو (يعقوب) فيعقوب لقّب (إسرائيل) بناءً على خرافة توراتية تنافي الديانة السماوية التي تقول إن الإله غير مجسّم.

وموسى لا يتصل بنسب إلى يعقوب: لأنَّ اسمه فرعوني مصري وأسماء الأجداد: إسحاق ويعقوب ويوسف.. الخ أسماء عربية عمورية ويرجح بناءً على ذلك أن الخروج من مصر قد قامت به مجموعة صغيرة من العبيد المسخَّرين، فرّت بشكل سلمي أو سُمح لها بالخروج والعودة من حيث أتتْ. فمن غير المعقول أن يغادر مصر ستمائة ألف مسخر -

كما تزعم التوراة - دون أن تأتي سجلاّت ذلك العصر على ذكرهم. ويؤيد القرآن هذه المقولة، حيث تذكر الآيات في قصة بني إسرائيل أن الله أورثهم أرض مصر بعد هلاك فرعون.. وهذا يدل على عودتهم إلى مصر بعد وفاة موسى، وبعد قضاء مدّة التيه التي فرضت عليهم.

2- ذلك أن نتائج التنقيب الأثري تشير إلى بطلان الرواية التوراتية حول دخول بلاد الشام وعبور نهر الأردن إلى أرض كنعان. فالتوراة تذكر أن مقاومة مسلحة واجهها الإسرائيليون من قبل ملوك شرقي الأردن..

ولا أساس لهذا الخبر من الصحة. لأن منطقة شرقي الأردن كانت خالية من المراكز الحضرية بين القرن السابع عشر والقرن العاشر قبل الميلاد والمفترض أن خروج قوم موسى كان قرابة عام 1260ق.م.

وأمَّا اقتحام الصاعق للأراضي الكنعانية عَبْر الأردن، وإحراق مدنها الرئيسة فلم تقم عليه بينةٌ تاريخية حتى الآن. أما البينة الأثرية فتؤكد عدم صحة الفتوحات المزعومة لـ (يشوع بن نون) قائد قوات الغزو الإسرائيلي. ويظهر كذب التوراة في وصف سفر يشوع عملية اقتحام وإحراق وتدمير مدن (أريحا) و(عاي) و(حاصور). أما (أريحا) فقد أثبتت الحفريات الأثرية أنها لم تكن قائمة في المدة التي ظهر فيها يشوع بن نون. وإنما كانت مهدمة من أثر الزلازل التي انتابتها في قرون مضت.

وأمَّا مدينة (عاي) فإن البينات الأثرية تشير إلى أن المدينة قد انتهت تمامًا قبل ألف عام من وصول الإسرائيليين المزعوم.

وأما مدينة (حاصور) فقد دلّت التنقيبات على أن المدينة قد دُمّرت في نهاية القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهو التدمير الذي يتطابق مع حملة الفرعون سيتي الأول على فلسطين، ثم أُعيد بناء المدينة مباشرة، لتدمر عام 1230ق.م أي حوالي المدة المفترضة لدخول الإسرائيليين.. ومع ذلك فإن الدمار الذي لحق المدن الفلسطينية خلال الربع الأخير من القرن الثالث عشر لا يمكن إرجاعه بصورة مؤكدة إلى جهة بعينها.. فهناك شعوب البحر الذين كانوا في طريقهم إلى مصر في تلك المدة ثم تراجعوا عنها أمام رمسيس الثالث الذي دفعهم إلى فلسطين وطاردهم هناك، وعلى ذلك فإنَّ جزءًا من المدن المدمرة يمكن إرجاعها إلى شعوب البحر أو إلى رمسيس الثالث نفسه.

وخلاصة القول في موضوع دخول الإسرائيليين إلى أرض كنعان (فلسطين) هو أنه لم يتوفر لدينا دليل تاريخي يثبت رواية التوراة.. ومن المرجح أن دخول بعض الإسرائيليين قد تمَّ بشكل بطيء وسلمي في معظم الأحوال وفي أوقات متباعدة، وأن هؤلاء القادمين لم يدخلوا بأعداد كبيرة من شأنها تغيير الطبيعة السكانية للمنطقة والطغيان على الغالبية الكنعانية الموجودة هناك منذ بدايات التاريخ المكتوب.

ومن المؤكد أن الوجود القصير في مملكتي (السامِرة) و(يهوذا) إذا صحَّ وجودهما، كان وجودًا سياسيًا لا يعكس تفوقًا عدديًا.. وفي القديم، وفي الحديث قد يجمع بعضُهم حوله عددًا من المرتزقة ولصوص الأرض ويقيم مملكة تدوم قرونًا.. وإن كان في أصله فقعًا بقرقر. فلم تقم كل ممالك التاريخ على أسس عصبية قبلية.

والبرهان على هذه المقولة يأتي من علم الآثار الذي لم يستطع أن يكتشف أية دلائل تشير إلى دخول جماعات كبيرة العدد ذات طابع ثقافي متميز إلى فلسطين خلال الجزء الأخير من القرن الثالث عشر قبل الميلاد. فالثقافة العربية الكنعانية في جميع المواقع الفلسطينية بقيت مستمرة في تطورها الطبيعي دون انقطاع أو انحراف يؤشر إلى حلول أقوام جديدة أتت معها بتقاليد غريبة عن (كنعان) نستثني من ذلك منطقة الفلستين على الساحل الفلسطيني.

2- ودام عصر القضاة كما تزعم التوراة قرابة قرنين من الزمان ومع ذلك لم يستطع علمُ الآثار تقديم أيًّ دليل على وجود وازدهار ثقافة إسرائيلية متميزة وخصوصًا في المواقع التي كانت مركز الأحداث في (سِفر القضاة) مثل (شلوة) و(بيت إيل) و(جبعة) و(دان).

ففي موقع جبعة التي كانت مقرًّ داود ومسقط رأسه - كما تزعم التوراة -، لم يعثر المنقبون إلا على قرية صغيرة تعود إلى مطلع عصر الحديد حوالي 1200ق.م ذات تحصينات بدائية وبيوت ذات سقوف خشبية مما يشير أن سكانها كانوا يعيشون على هامش المجتمعات الكنعانية والفلستية القوية. والشيءُ نفسه ينطبق على (بيت إيل) التي كانت مدينة كنعانية متواضعة في عصر البرونز الأخير ثم هُدمت وانقطع فيها البنيان والاستيطان إلى بداية عصر الحديد حيث عادت إلى الحياة من خلال بلدة صغيرة ذات بنيان بدائي استمرت حتى القرن العاشر أي مدة عصر القضاة.

أما مدينة (دان) التي عُدَّت في سفر القضاة الحدَّ الشمالي للاستيطان الإسرائيلي فقد تبين من غلبة النمط الخزفي الفلستي في موقعها أنها كانت واقعة تحت النفوذ الفلستي معظم مدة عصر القضاة.

الخلاصة في هذه المقدمة التاريخية لعروبة الجليل وفلسطين عبر العصور أنه لم يثبت وجودٌ عدديٌّ كبير لليهود في فلسطين قبل سنة 1948 وكلُّ الأرقام التي يذكرها المؤرخون لأعداد اليهود فهي مخترعة. ولم يثبت لليهود وجود حضاريّ في فلسطين، لا لأنهم لا حضارة لهم فكل شعبٍ له وجود حضاريٌّ سَمُقَ أو انحطّ.. ولكن انعدام وجود العاديات اليهودية في فلسطين ناتج عن قلة عددهم أولاً، ولتوزع هذا العدد القليل في مواطن متباعدة في كلِّ مكان الأسرة والأسرتان ولأن وجودهم كان وجودًا مؤقتًا، لالتقاط لقمة العيش، فإذا نضب المكان من العطاء، ارتحلوا إلى مكان آخر.. إنهم بَدْوٌ رُحَّلٌ، ينصبون خيمتهم في طرف القرية أو المدينة.. ومثالهم في الحياة الذي ما زال موجودًا، هو (الغجر) أو (النَّوَر) .. ولا يخلو أن يكون هؤلاء من أولئك، أو أولئك من هؤلاء.. ولكن فئة منهم قد اجتمعت في قديم الزمان،وأرادت أن تختلق لنفسها مَجْدًا: فادعوا أشرف الأنساب في ذلك الزمان، وَسَطْوا على كتاب (التوراة) فحرفوه وبدلوه، وزادوا عليه وأنقصوا منه، وسرقوا قصص الأمم الماضية عليهم وأضافوها إلى أنفسهم، وأسقطوا أحداثها على المكان الذي كان ملوك الأرض يتنافسون على امتلاكه، وهو فلسطين..

وسوف نرى صحة ما ذهبنا إليه عندما نعرض لتأريخ المدن الرئيسة في منطقة الجليل.. في الموجز التالي.

بَيسان (بيت شان)

تم التعرُّف على (بيت شان) قرب مدينة بيسان الحالية في فلسطين وقد بينت التنقيبات أن الموقع كان مسكونًا منذ الألف الرابع قبل الميلاد. ولعلَّ أكثر مكتشفات (بيت شان) إثارة للانتباه سلسلة من المعابد الكنعانية المتعاقبة فوق بعضها في طبقات أثرية متتالية.

وقد عُثِر في حرم المعبد على تماثيل لآلهة كنعانية ومصرية مما يشير إلى عبادة مختلطة مصرية كنعانية، وإلى نفوذ مصري واضح ما بين 1300-1150 ق.م. وربما دلت على وجود حاميات مصرية كانت تقيم بشكل دائم هناك منذ عهد سيتي الأول. ويؤكد النفوذ المصري في بيت شان العثور على نصب تذكاري تركه الفرعون سيتي الأول (1302 - 1290ق.م) في الموقع يُذكر فيه أنه قد صدّ عن بيت شان جحافل الأعداء وأجبرهم على التراجع. وتمثال لرمسيس الثالث (1198 - 1166ق.م) مع نص تركه أحد قادة هذا الفرعون، يذكر فيه أنه وصل بقواته إلى شمال فلسطين وهو يطارد شعوب البحر، يُضاف إلى ذلك عدد من النقوش الهيروغلوفية، ترجع إلى عهد تحتمس الثالث (1490-1436 ق.م) أطلق اليونانيّون على

بيسان اسم مدينة (السكيتيين) لأن (السكيت) احتلوها حوالي عام 600 ق.م واستوطنوها. وهم قبائل من الفرسان المحاربين الذين قدموا من الشمال، واستعملهم الفرس الأخمينيون في حروبهم بعد إخضاعهم.

وفي العصر الهلنستي كانت بيسان من أهم المدن الفلسطينية التي انتشرت فيها المدنية اليونانية. وفي العهد الروماني استمرت أهمية بيسان، فكانت زعيمة للمدن العشر، وأصبحت مركزًا تجاريًا هامًا، تمرّ القوافل التجارية منها في طريقها إلى الأردن. وما تزال شواهد هذا الازدهار ماثلة في (بيسان) حيث توجد بقايا مدرج روماني، في تلّ الحصن. وما تزال قناطر الجسر الروماني فوق نهر جالود. وأصبحت بيسان في العهد البيزنطي عام 325م مركزًا لأبرشيه كان لمثلها في مجمع (نيقية) الديني، دور بارز.

ومن آثار هذا العهد التي لا تزال قائمة، ديرٌ يتألف من ثلاث غرف.

وبيسان من أوائل المدن الهامة التي فتحها العرب، في أواخر عام 13هـ / 634م. بقيادة شرحبيل بن حسنة أو بقيادة شرحبيل، وعمر بن العاص وكان لصلح بيسان طابع خاص، حيث نصَّ على فرض الجزية على رؤوس أهلها والعين (المحصول) على الأرض. وأن يشاطر المسلمون أهلها المنازل فكان يجتمع المسلمون في نصف المدينة ويترك النصف الآخر لأهلها كذلك حُدّد موضع المسجد للمسلمين. ومثل ذلك كان من شروط صلح المسلمين في دمشق.

وقد بقيت لبيسان شهرة في تاريخ المسلمين بسبب وجود قبر الصحابي أبي عبيدة فيها، أو قريبًا منها شرقي النهر في بلدة (عمتا) من شرقي الأردن ويُذكر فيها، أو في نواحيها قبر شرحبيل بن حسنة. وكلاهما توفي في طاعون (عمواس) سنة 18هـ.

وذكر الشعراء (بيسان)، ينسبون إليها الخمر. فقال الأخطل:

وجاءُوا ببيسانيّة هي بَعْدَمَا ... يُعلُّ بها الساقي أَلَذُّ وأسهلُ
تدبُّ دبيبًا في العظام كأنه ... دبيبُ نمالٍ في نقا يتهيّلُ
فقلتُ اقتلوها عنكمُ بمزاجها ... وأطيبْ بها مقتولةً حين تُقْتَلُ

.. وقال ياقوت الحموي في وصفها:

بَيْسان: مدينة بالأردن (جُنْد الأردن) بالغور الشامي، وهي بين حوران وفلسطين، وبها عين الفلوس، يُقال: إنها من الجنة، وهي عين فيها ملوحة يسيرة، جاء ذكرها في حديث الجساسة (في صحيح مسلم) ووصفت بكثرة النخيل. قال: وقد رأيتُها مرارًا، فلم أر فيها غير نخلتين حائلتين وهو من علامات خروج الدجال (يعني انعدام النخيل في بيسان) قال: وهي بلدة وبئة حارّة، أهلها سُمْر الألوان، جُعْد الشعور، لشدة الحرّ الذي عندهم.

التنقيبات الأثرية اثبتتْ خلوّ بيسان من الآثار اليهودية:

هناك بعض المواقع الأثرية بالقرب من بيسان منها: تلّ الجسر - وخان الأحمر - وتلّ المصطبة - وتلّ الحصن، وهو موقع بيسان القديمة..

وقد تركز جزء كبير من التنقيبات الأثرية على قمة تل الحصن، إذ تبيّن أنها تضمُّ معابد من العصر البرونزي الوسيط حتى العصر البيزنطي وعُثِر في السويات السبع الأولى على أربعة معابد كنعانية معاصرة لحكم (أمينوفيس الثالث) وستي الأول ورعمسيس الثاني والثالث. وعلى كنيسة بيزنطية ومن اللقى خَتْم بابلي أسطواني عليه كتابة مسمارية، ونصب من الحجر الأبيض يمثل الربّ (رشف).. ويمكن القول: إنه من خلال التنقيبات الأثرية أمكن التعرف على أن بيسان سكنها الكنعانيون العرب منذ الألف الرابعة قبل الميلاد وأن اسم (بيت شان) اسم كنعاني عربي بمعنى (بيت الإله شان) أو (بيت السكون) وقد أخذ اليهود من الكنعانيين هذا الاسم ووضعوه في كتابهم المسمّى (التوراة).

بيسان بعد الفتح العربي الإسلامي:

دخلت بيسان بعد التحرير العربي الإسلامي لها ضمن (جُنْد الأردن) أحد أجناد الشام الخمسة.. وكانت مشهورة بصناعة (الحصر) حيث قال الإدريسي المتوفى سنة 560هـ: أما مدينة بيسان فهي صغيرة وينبت فيها (السافان) الذي تُعمل منه الحصر السافانية، ولا يوجد نباتُه إلا بها، وليس في سائر الشام شيءٌ منه.

وذكرها المقدسي(1) في كتابه (أحسن التقاسيم) فذكر أنها كثيرة النخيل وأن (أرزاز) فلسطين والأردن منها، وهي غزيرة المياه إلا أنَّ ماءَها ثقيل.

(1) متوفى سنة 380هـ.

وذكر الهروي المتوفى سنة 616هـ إن في مدينة بيسان جامع يُنْسب إلى عمر بن الخطاب.

وعندما تعرضتْ بلاد الشام إلى الهجمة الصليبية، خضعت بيسان للإفرنج بعد احتلالهم مدينة القدس. ولكن العرب تمكنوا من استردادها بعد معركة حطين عام 583هـ.

وبعْد توقيع الهدنة بين صلاح الدين وريكاردوس، قدم صلاح الدين من القدس قاصداً دمشق، وفي طريقه إليها نزل في بيسان. فقال العماد الأصفهاني في (الفتح القدسي) ورحلنا يوم الاثنين وجئنا ضحوة إلى بيسان وأزال حلول السلطان عنها البؤس، وأشاع الإحسان، وصعد إلى قلعتها المهجورة الخالية فأبْعد قللها العالية، وقال: هذه إذا عمرتْ دامتْ في حضانة الحصانة، وكان جبلها لوثوقه مستودع الأمانة والصواب بناءُ هذه وتخريب قلعة كوكب، ولم يزل حتى بيّن كيفية بنائها ورتّبه، ووعد بإحكامها وإعلاءِ أعلامها...

ومن الحوادث الهامة التي ارتبطت بيسان بها في العهد المملوكي، أنه بعد موقعة عين جالوت، تتبّع الجنودُ المنتصرة أَثر التتار، حتى تلاقوا بهم مرة أُخرى في بيسان فكانت موقعة دموية قتِلَ فيها الكثير من التتار، وغنم المسلمون غنائم وافرة.

ووقعت بيسان تحت الحكم العثماني، على أثر معركة كبيرة حدثت بين المماليك بقيادة (جان بردي الغزالي) والجيش العثماني بقيادة سنان باشا انتهت بتراجع المماليك وسقوط بيسان ومنطقتها بأيدي العثمانيين سنة 922هـ.

وفي أواخر العهد العثماني كانت بداية تسرّب اليهود إلى مدينة بيسان ولم يكن لهم مِنْ قَبْلُ وجودٌ فيها. ذلك أن عدد اليهود في فلسطين في النصف الأول من القرن التاسع عشر كان ثمانية آلاف نسمة، كما ذكر موسى حاييم منتفيوري، موزعين على أربع مُدُن هي (القدس - وطبرية والخليل وصفد).

وقد زار الرحالة بيركهارت بيسان سنة 1812م وذكر أن فيها سبعين بيتًا أو ثمانين، وجميعهم للعرب..

وأول وجود لليهود في مدينة بيسان ذكره مؤلفا كتاب (ولاية بيروت) إبان الحرب العالمية الأولى (1914 - 1918م) حيث ذكرا أن في بيسان 600 بيت. منها عشرون للمسيحيين و(15) لليهود والباقي للمسلمين. وفي سنة 1922م - في العهد البريطاني - كان عدد اليهود في بيسان (41) نسمة. وفي سنة 1931م بلغ عددهم (49) نسمة. وفي سنة 1945 كان عدد اليهود في بيسان (20) فقط.

وقد استولى اليهود على بيسان في 1947/5/12. وسمح اليهود في بادئ الأمر لسكان المدينة بالبقاء شريطة أن يسلموا أسلحتهم ولكنهم عادوا بَعْدَ مدة فأمروهم بالرحيل، وطردوهم بقوة السلاح فنزل فريق منهم الناصرة، وفريق منهم حملهم اليهود وأوصلوهم إلى الحدود السورية والأردنية، ولم يبق في هذه المدينة العربية العريقة أيُّ عربي. وهدم اليهود بيسان وأعادوا بناءَها سنة 1949 ودعوها (بيت شعان) وهو الاسم العربي الكنعاني لهذه المدينة وهو من شواهد عروبتها الأبديّة الأزلية.

ومما يسجّل، أنه في عام 1922 زار المندوب السامي البريطاني (هبربرت صمويل) بيسان، فاستقبلته عشائر بيسان بمظاهرة عدائية اشترك فيها مئات من الفرسان قدّروا بنحو خمسمائة فارس وقد مدّوا رماحهم وأثبتوا في رؤوسها الجزم الكبيرة.

وعلى أثر هذه المظاهرة اعتُقل (جبران كزما) من شباب حيفا وكان على صلات بمنطقة بيسان، واتّهم بتدبير المظاهرة:

ونزل الشيخ محمد الحنفي (حنّوف) رفيق الشيخ القسام في هجرته من (جبلة) إلى فلسطين - بيسان ومنطقتها لتأسيس الجماعات المسلحة في القضاء، فالتحق به الكثيرون، ومن بينهم المجاهد (حسين العلي) من عرب الزبيدات. ومن أعمال هؤلاء المجاهدين:

هجومهم - بقيادة حسين العلي - على دوائر الحكومة البريطانية في بلدة بيسان في 1936/6/22 وإحراقها.

وفي أواخر أيام ثورة 1936 قام الشيخ محمد الحنفي بهجوم على مركز بوليس (الزرّاعة) في قضاء بيسان، مع جماعة من المجاهدين، فاحتلوه، واستولوا على ما فيه من بنادق وذخائر.

أرض الرّقّة (طبريّة) العربية

(طبرية) من المدن الفلسطينية القليلة جدًا التي شذّتْ فأخذت اسمًا غير عربي. فجلُّ أسماء القرى والمدن الفلسطينية عربية كنعانية وهذا شاهد من آلاف الشواهد على عروبة فلسطين منذ سكن البشر فلسطين، إلى العصر الحديث..

أما طبرية: فقد أخذت اسم الإمبراطور الروماني (طيباريوس) وبناها (هيرودس أنتيباس) عام 22 على موقع مدينة عربية كنعانية اسمها (رقّة) و(رقّة) اسم عربيٌّ قديم بمعنى (شاطئ) والرقّة أيضًا: كلّ أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء. والرقّة الأرض اللينة التراب وكلها قريبة الدلالة على موقع المدينة التي أنشأها الكنعانيون العرب بجوار بحيرة (طبريّة).

وقصة مدينة رقّة أو (طبرية) تفنّد المزاعم اليهودية حول أرض الميعاد، أو أرض العودة. فالمدينة لا تتصل بالأخبار التوراتيّة مع كذبها واختلاقها. فلم يطأها أحدٌ من أنبيائهم أو كهنتهم، وليس لهم فيها آثار قديمة، لا تحت الأرض ولا فوقها، ولم تتعلق ذكريات أحدٍ منهم بها..

وزعم بعضهم بلا سندٍ ولا دليل أن تيطس الروماني أحرق القدس عام 70 ومنع اليهود من سكناها؛ وسمح لهم بالإقامة في طبرية وعلى فرض صحة الخبر، فإنَّ المانح هذا الحق، غريبٌ محتلٌّ، ومنحها لغريب عن البلاد، والسارق لا تصحُّ هديته، ولا ينعقدُ بيعُه.. واليهود والرومان، غرباءُ عن القدس، وغرباء عن طبرية، بل غرباء عن بلاد الشام كلها.

ومع ذلك فإنَّ الوقائع التاريخيّة لم تثبتْ خبر سكنى اليهود في طبرية سنة 70، وربما كان ذلك منفى، أو سجنًا، غادروه بعد نهاية وقته وذهاب مَنْ أمر به.

ذلك أن أخبار الفتح العربي الإسلامي لطبرية لم تذكر وجود فئة من الناس يدينون باليهوديّة، وهذا القول ينطبق على طبريّة، وعلى جميع المدن الفلسطينية.

فالعهد الذي أُعطي لأهل طبرية يدلُّ على وجود أهل ملّة واحدة فقط هي النصرانيّة..

قال البلاذري في (فتوح البلدان) ففتح شرحبيل بن حسنة (طبريّة) صلحًا بعد حصار أيام على (أَمْن أهلها على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكنائسهم ومنازلهم، إلا ما جلوا عنه وخلوه، واستثنى لمسجد المسلمين موضعًا ثم إنهم نقضوا في خلافة عُمر، واجتمع إليهم قوم من الروم وغيرهم، فأمر أبو عبيدة عمرو بن العاص بغزوهم فسار إليهم.. ففتحها على مثل صُلْح شرحبيل). وعهود الصُّلْح إنما يكفلها ويفاوض عليها زعماء الناس وقادتهم.. وإذا كفل زعيم النصارى قومه، فإنه لن

يكفل اليهود إن وُجدوا، لأنَّ اختلاف الدين يؤدي إلى اختلاف الشروط والمطالب فاقتضى ذلك وجود عقدين للصُّلْح.. ولكن ذلك لم يُوجد، ولم ينصّ أحد من المؤرخين على عقود صُلْحٍ بين العرب الفاتحين، وبين يهودٍ يسكنون بلاد الشام، مما يدلُّ على عدم وجودهم.

وإن ما ذكره بعض الرحالة والمؤرخين من أن طبرية وأطرافها تضمُّ رُفات بعض الأنبياء - شعيب، وسليمان، ويهوذا، وروبين.. فهو كلام لا يقوم على أساس تاريخيّ، فهي مقامات على قبور وهميّة وبينّا ذلك في مكان آخر من هذا الكتاب عند الحديث على مقام شعيب وابنته زوجة موسى.. وقلنا إنه لا يصحُّ وجود قبر شعيب في جهات طبريّة، لأنَّ (مَدْين) بلد شعيب، كانت في جهات مدينة تبوك بين الأردن والسعودية. وقلنا إن الصلة بين موسى وشعيب النبي غير ثابتة، فالذي رعى له موسى الغنم في مدين، هو رجل آخر غير شعيب النبي، والله أعلم.

وأول تأريخ حقيقي لسكنى اليهود في طبريّة، بل هو تأريخ أقدم هجرة لهم إلى فلسطين بعامّة، كان في العهد العثماني. ففي المصادر اليهودية أن اليهود الفارين من إسبانيا نزلوا طبرية، بعد أن سمح لهم بذلك السلطان سليمان القانوني العثماني المتوفى سنة 1566م. وفي قول آخر أن السلطان سليم العثماني الثاني بن سليمان (1566 - 1574م) سمح ليوسف ناسي، زعيم اللاجئين من البرتغال بنزول طبرية. (عن / بلادنا فلسطين - في ديار الجليل / 11).

ويرجّح أن يكون السلطان سليمان القانوني هو الذي سمح لهم بذلك وربما كان لزوجته الروسية (روكسيلانة) أثر في هذه المنحة، والله أعلم.

وقد سُجّلَ في زمن السلطان سليمان، أو ابنه سليم تأريخ أول سماح لليهود، بزيارة حائط البراق في القدس، والبكاء بجواره.

قال مصطفى الدبّاغ رحمه الله: لا ذكْر لهذا السماح - بزيارة حائط البراق - بأنه تمَّ في عهد المماليك (ورجح أنه تمَّ في عهد السلطان سليمان القانوني أو في عهد ابنه سليم الثاني يوم سُمح لليهود الفارين من إسبانيا والبرتغال باللجوء إلى طبرية. قال: واشتهر من هؤلاء اللاجئين (يوسف ناسي) الذي حصل على امتيازات كثيرة من السلطانين المذكورين) (القدس / 262) قلنا: ولا نعلم أسباب هذه الامتيازات التي حصل عليها اليهودي البرتغالي، يوسف ناسي.

مع العلم بأن هؤلاء اللاجئين من أسبانيا والبرتغال، كان عددهم قليلاً، لأنا أرخنا أن عدد اليهود في النصف الأول من القرن التاسع عشر في فلسطين، كان ثمانية آلاف يهودي موزعين على أربع مُدُن هي القدس وطبرية والخليل وصفد وقد سُمِح لآخرين - في العهد التركي - بالهجرة إلى طبرية.

ففي رحلة (بيركهارت) سنة 1812: قال: يسكن يهود طبرية حيًّا على شاطئ البحيرة.. وقد وُسِّعَ مؤخرًا إلى حدّ كبير بشراء عدة شوارع،

ويفصله عن بقية البلدة سور عالٍ، وله بوابة واحدة للدخول تغلق بانتظام عند غروب الشمس.

.. وفي الحيّ مئة وستون عائلة.. فمنها أربعون أو خمسون عائلة من أصل بولندي، والباقون من يهود أسبانيا وشمالي أفريقيا..

وفي دليل (بدكر) المطبوع سنة 1912 (أن طبرية مركز قضاء من لواء عكا يسكنها ثمانية آلاف وستمائة نفس منهم حوالي سبعة آلاف يهودي وأكثرهم من مهاجري بولونيا ويتكلمون الألمانية..).

وفي كتاب (ولاية بيروت) المؤلف في سنوات الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 (يسكن طبرية 3028 يهوديًا و343 مسيحيًا و1844 مسلمًا والقسم المهم من يهودها هم من أهالي بولونيا ويعيشون من تجاراتهم أو من الصدقات التي تأتيهم من أوروبا).

طبريّة العربيّة، ذات الوجود العربيّ الأقدم المتصل عبر القرون قدّمها الإنجليز لليهود هديّة وفاء وتواصل، قبل أن ينتهي انتدابه البغيض على فلسطين، وقد حدثنا الأستاذ طلعت السيفي - مدير مدرستها الثانوية - بقصة هذه الصفقة بين اليهود والإنجليز، أوجز منها: أنه حدث في 1948/3/13، اشتباك العرب واليهود في طبرية مدة أربعة أيام، كاد أن ينتهي بانتصار العرب واندحار اليهود مولين الأدبار ولكن قائد القوة الإنجليزية في المدينة، دعا السيد صدقي الطبري وجيه العرب، وأبلغه أن الإنجليز مسئولون عن الأمن لغاية 1948/5/15 وأنه لا يسمح بحدوث الاضطرابات. وفي حوالي منتصف شهر نيسان فاجأ

اليهودُ السكانَ العرب بهجوم وحشي واستولوا على المدينة فجأة مع وجود الجيش البريطاني دون أن يحرك ساكنًا،وإنما أرسل قائد الجيش الإنجليزي سيارات نقل كبيرة تزيد على العشرين، وحمل السكان العرب في هذه السيارات، وأوصلهم إلى الناصرة، ليقيموا في الأديرة والجوامع. ونهب اليهود بيوت العرب وسكنوها.

فكانت أول بلدة عربية فلسطينية يسلمها البريطانيون إلى اليهود أيام حكمهم.

حمامات طبرية:

كان للكنعانيين بلدتان تحمل اسم (حمّات) بمعنى ينابيع حارة. الأولى كانت تقوم على البقعة المعروفة اليوم باسم (حمامات طبرية) الواقعة في جنوب مدينة طبرية. والثانية: تقع غربي نهر الأردن. يُعرف موقعها باسم (تلّ الحمّة) في أراضي طوباس من أعمال نابلس.

وفي العهد الروماني عُرفت (حمّات) باسم (أماتوس).

ذكرها المقدسي في كتاب (أحسن التقاسيم) فقال: (بطبرية عين تغلي تعمُّ أكثر حمامات البلد. وقد شُق إلى كل حمام منها نهر. فبخاره يحمّي البيوت فلا يُحتاج إلى وقود. وفي البيت الأول ماء بارد يمزج مقدار ما يتطهرون به، ومطاهرهم من ذلك الماء).

وفي كتاب (ولاية بيروت) المؤلف أيام الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918: أما المياه المعدنية في طبرية، فإنها قائمة في الجهة الجنوبية من

طبرية فتنقل المركبات إليها يوميًا الراغبين بالاستحمام والقاصدين النزهة هناك.. جُمعت حمامات طبرية تحت ثلاث قباب:

وقد بنى القبة الأولى الحاج يوسف الزيادني، باني الجامع الفوقاني.

وبنى القبة الثانية جزّار باشا عام 1214هـ.

وبنى القبة الثالثة إبراهيم باشا المصري عام 1251هـ.

وفي الكتاب المذكور: (تقوم الحمامات المعدنية على بُعْد نصف ساعة من جنوب القصبة، وهي مرتبطة بها بطريق معبّدة حسنة.. ويوجد حمامان، أحدهما قديم والآخر جديد. والحمام عبارة عن حوض كبير يبلغ تربيعه عشرة أو خمسة عشر مترًا وفي جوار الحمام الكبير حمامات صغيرة للاستحمام وهي ذات غرفتين، ويجري الماء الساخن أيضًا في هذه الأحواض الصغيرة، وتستوفي البلدية سنويًا من هذه الحمامات من 45 – 50 ألف قرش وذلك بطريق الالتزام وقد أُعطي قبل بضع سنوات امتياز لسامح الفاخوري البيروتي وأمين عبد النور وشركاءهما بتعمير هذه الحمامات على الطراز الجديد وإقامة حديقة ونُزُل وأمثال هذه التحسينات أخذت الشركة الامتياز لمدة 35 سنة، على أن تقوم برأس مال لا يتجاوز العشر آلاف ليرة (جنيه ذهب) وتعهدت بأن تدفع للبلدية سنويًا ألف ليرة فقط)..

وفي بيان للهيئة العربية العليا لفلسطين سنة 1960 (وهذه الحمامات وقف إسلامي، ولكنَّ حكومة الانتداب الإنجليزية ادّعت أنها

ملك للدولة، وقام خلاف طويل حول هذه القضية انتهى بإعطاء الأوقاف الإسلامية حصة الثلث فقط.

وقد حصل بعض أثرياء لبنان في العهد العثماني على امتياز لاستغلال هذه الحمامات. ولكن حكومة الانتداب أقامت العراقيل أمامهم ولم تمكنهم من القيام بمشروعهم، ثم أعطت الامتياز لشركة يهودية بإيجار قليل لا يتناسب مع ما تدرّه هذه الحمامات من مكاسب وأرباح).

الناصرة: المسافات بين الناصرة، وغيرها من المدن الفلسطينية والموقع الطبيعي

القدس	141 كيلومتر عن طريق جنين،نابلس
يافا	111 كيلومتر عن طريق الخضيرة
نابلس	75 كيلومتر
حيفا	38 كيلومتر
طبرية	33 كيلومتر
شفا عمرو	21 كيلومتر
صفد	69 كيلومتر
عكا	46 كيلومتر
بيسان	41 كيلومتر
جنين	33 كيلومتر
المطلة	96 كيلومتر
الرملة	116 كيلومتر
سمخ	44 كيلومتر

ترشيحا	60 كيلومتر
جبل تابور/طابور	عشرة كيلومترات
قرون حطين	23 كيلومتر
بئر السبع	208 كيلومتر
المرشرش	443 كيلومتر
مرج بني عامر	خمسة كيلومترات

وتقوم الناصرة فوق رقعة متوسطة الارتفاع داخل الجليل الأدنى. ترتفع نحو 400م عن سطح البحر و300م عن مستوى سهل مرج بني عامر. وتحيط بالناصرة جبال مرتفعة، هي جزء من جبال الجليل الأدنى التي تمتد من الغرب إلى الشرق وتنحدر تدريجيًا نحو سهل مرج بني عامر. وأهم الجبال المجاورة للناصرة: جبل طابور (الطور) وجبل صرطبة شرقي الناصرة، وجبل القفزة، وتل العدس، وجبل الدحي، في جنوبها الشرقي، وجبل السيخ في شمالها الشرقي، وجبل الرينة في شمالها.

الناصرة (الاسم)

الناصرة: اسم عربيّ عتيق، معناه (القضيب) أو (الحارسة) أو (المحروسة) أو (المحبوسة) وفي لسان العرب (ونصَرى، ونصْرى، وناصرة، ونصُورية، قرية بالشام. والنصارى منسوبون إليها).

قال ابن سيدة: هذا قول أهل اللغة. قال: وهو ضعيف، إلاّ أن نادر النسب يسعه.

وأما سيبويه فقال: أما (نصارى) فذهب الخليل إلى أنه جمع (نُصْري) و(نصران) كما قالوا: ندمان، وندامى، ولكنهم حذفوا إحدى اليائين، وأبدلوا مكانها ألفا، كما قالوا: (صحارى).

قال: وأما الذي نوجهه نحن فإنه جاء على (نصران) لأنه قد تكلم به فكأنك جمعت (نصرًا) كما جمعت (مَسْمعًا) و(الأشعث) وقلت: نصارى. كما قلت: ندامى، فهذا أقيس. والأول مذهب وإنما كان أقيس، لأنا لم نسمعهم قالوا (نصْري).

قال أبو إسحاق: واحد النصارى في أحد القولين (نصران) كما ترى مثل (ندمان) و(ندامى) والأنثى (نصرانة) مثل (ندمانة) وأنشد

لأبي الأخزر الحماني؛ يصف ناقتين، طأطأتا رؤوسهما من الإعياء، فشبه رأس الناقة في تطأطئها برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها.

فكلتاهما خرّتْ وأَسْجد رأسُها كما أسجدتْ نصرانةٌ لم تَحَنَّف

.. فنصرانة: تأنيث نصران. لكن لم يستعمل (نصران) إلا بيائي النسب لأنهم قالوا: رجل نصرانيّ وامرأة نصرانيّة.

قال ابن بري: قوله إن النصارى جمع (نصران ونصرانة) إنما يريد بذلك الأصل، دون الاستعمال. إنما المستعمل في الكلام (نصراني) ونصرانية بيائي النسب، وإنما جاء (نصرانة) في البيت على جهة الضرورة وقال آخرون: يجوز أن يكون واحد النصارى (نصريًا) مثل بعير مَهْريّ وإبل مَهَارى.

وفي التهذيب، وقد جاء (أنصار) في جمع (النصران) قال الشاعر:

لما رأيتُ نبطًا أنصارا

بمعنى النصارى.

وفي (الصحاح) و(نصران) قرية بالشام يُنسب إليها النصارى، ويُقال: (ناصرة).

ونأخذ من مجموع ما نقله ابن منظور في (لسان العرب) أن لفظ (الناصرة) المعرف بأل، ليس هو الغالب، فقد جاء في الأناجيل لفظ (ناصرة) و(ناصرة الجليل) و(الناصرة).

ونقل البكري في (معجم ما استعجم) زيادة على ما تقدم، لفظ (ناصرتْ) بفتح الصاد وتسكين الراء بعدها تاء معجمة باثنتين من فوقها. وربما توهم البكري هذا الضبط،والأقرب أن يكون بسكون الصاد والتاء وفتح الراء (ناصْرَتْ) أو بكسر الصاد.

واختلفوا في تفسير اسم (الناصرة) فقال بعضهم سميت الناصرة لكثرة غاباتها ونضارة أغصانها. فناصرة يعني (ناضرة). وقيل: الناصرة: مؤنث (الناصر) وهو مسيل الماء يأتي من بعيد إلى الوادي، فنصر سيل الوادي، والناصر أعظم من القلعة، وقيل: (ناصرة) بمعنى (نذير) ودعي عيسى ناصريًا لأنه كان نذيرًا.. وكلها تفسيرات محتملة. ولكنهم لم يذكروا معنى (النصرة) بمعنى الإعانة على دفع الظلم. وفي القرآن ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾

(آل عمران: 52) فلعل الحواريين الذين نصروا عيسى كانوا من الناصرة.. والله أعلم. ففي الناصرة نشأ عيسى، وفيها قضى معظم حياته.

من العائلات التي تسكن الناصرة

بعد سنة 1948

حـرف الألـف:

إبراهيم ، أبو أحمد، أبو أسعد، أبو اعسل، أبو النعاج، أبو آمنة، أبو تايه، أبو جابر، أبو حمد، أبو حنا، أبو خضر، أبو خميس، أبو خيال، أبو دبي، أبو دقة، أبو دية، أبو راس، أبو ربيع، أبو رحال، أبو رحمون، أبو زامل، أبو زهية، أبو زيد، أبوزينة، أبو سالم، أبو سمرة، أبو سنة، أبو شقرة، أبو طواش، أبو عرب، أبو عطا، أبو عقاب، أبو علوان، أبوعياش، أبو غزال، أبو قرطومة، أبو لاشين، أبو ناجي، أبو نصار، أبو نصرة، أبو نوفل، أبو هاني، أحمد، أرسلان، إرشيد، أرموطة، أسبانيولي، استيتة، أسعد، إسماعيل، اشتيوي، أشقر، أصيلي، أطرش، اغبارية، اكبارية، الياس، أندريا، أيوب.

حـرف البـاء:

بشارة، باشا، بتريس، بجالي، بحطيطي، بخاري، بداح، بدرة، بدعان، بدوي، بديع، بدين، برانسي، بربور، برجوت، برغوث، برقيني،

بركات، بركة، بزيع، بسيوني، بشارات، بيدس، بشارة، بشتاوي، بشر، بشلاوي، بشوتي، بشري، بصول، بضعان، بطحيش، بطو، بكر، بلال، بلان، بنا، بني ربيعة، بهار، بهنسي، بواردي، بوطو، بولس، بياضي، بيطار، بيومي.

حرف التاء:

تابري، ترك، توتري، توما.

حرف الجيم:

جابر، جبارين، جبالي، جبران، جبعي، جبور، جدعون، جرادات، جرايسي، جرجورة، جرم، جروس، جروش، جريس، جفلي، جفري، جفيلي، جماحنة، جمال، جمالية، جميل، جندلي، جنومي، جهشان، جيوسي.

حرف الحاء:

الحاج، الحافي، حامد، حايك، حبشي، حبيب، حبيبي، حتي، حجاجرة، حجازي، حجر، حجة، حجير، حجيرات، حجية، حماد، حداد، حرب، حربجي، حرمة، حريرة، حريري، حزان، حسان، حسن، حسني، حسين، حسيني، حشمة، حصري، حكيم، حلاق، حلاونجي، حلبي، حلو، حلومة، حلونجي، حلوة، حليحل، حماتي، حماد، حمادة، حمادي، حمامي، حمانة، حمد، حمدان، حمود، حمودة، حمودي، حميدان، حميدة، حنا، حنانية، حنين، حنيني، حوا، حواري، حيادرة.

حرف الخاء:

خازن، خاص، خالد، خالدي، خبيص، خرطبيل، خرمان، خرمة، خشمة، خشيبون، خضر، خطاب، خطبا، خطيب، خل، خلايلة، خلداوي، خلف، خليفة، خليل، خليلية، خليفية، خمايسة، خمسان، خمشة، خميس، خواجا، خوالد، خوالدة، خوري، خير، خيرية.

حرف الدال والذال:

داغر، داموني، داميانوس، دانيال، داود، داي، دبس، دبور، دبيني، دبية، دحدح، دحدل، دحلة، دخان، درّ،دراوشة، دريني، دعاس، دعبول، دعيبس، دغش، دفراوي، دكوار، دلاشة، دلة، دلو، دندشي، دندن، دهامشة، دواهري، دوحان، دوشي، دويري، ذياب، ذيب.

حرف الراء:

راشد، راغب، رباح، رباعية، ربيع، رحال، رحمون، رحيل، رزاوي، رزق، رشرش، رشيد، رضا، رضوان، رفيديا، رمضان، رواشدة، روحاني، روك، ريّا، ريّان، ريناوي.

حرف الزين:

زاروبي، زامل، زبيدات، زرعيني، زرنوق، زرنوقة، زريق، زريني، زطام، زطمة، زعاترة، زعبتي، زعتري زعرب، زعرور، زعرورة، زعزوع، زعايرة، زغيرة، زكريا، زهار، زهر، زهير، زيّاد، زيادنة، زيبق، زيتاوي، زيتون، زيدان، زيداني، الزير، زينة، زيود.

حرف السين:

سابا، ساحوري، سارجي، سالم، سانوري (صانوري) سبوبة، سجراوي (شجراوي)، سخنيني، سراحنة، سرحان، سروجي، سرور، سعد، سعدي، سعفان، سعيد، سعيفان، سكران، سكس، سلام، سلامة، سلايمة، سلطي، سلمان، سليم، سليمان، سليماني، سمارة، سمعان، سندياني، سنوري، سهيل سواحلة، سوري، سوطي، سويدان، سويدي، سيباني، سيد، سيدة، سيدي، سيلاوي.

حرف الشين:

الشاعر، شاما، الشامي، شامية، شاهين، الشايب، شباط، شبلي، شتيوي، شجراوي، شحادة، شحبري، شحتوت، شحيبر، شداد، شدافنة، شرارة، شربيني، شرش، الشريف، شعبان، الشعبي، شقحة، شقور، شكري، شلبي، شلبية، شلش، شلوفة، شليان، شما، شماس، الشماع، شمردق، شمس، شمسة، شمشوم، شموط، شهاب، شهوان، شوشاري، شوفاني، شوكن، شومر، شيبان، شيتي، شيخ إسماعيل، شيخ سليمان، الشيني.

حرف الصاد، والضاد:

صادق، صافي، صافية، صالح، صايغ، صباح، الصباغ، صبري، صبيحات، صبيحي، صرصور، الصفدي، صفوري، صلاح، صليبا، صهيون، صوالحة.

حرف الطاء، والظاء:

طاطور، طبر، طبعوني، طرعاني، طقطق، طلوزي، طنوس، طه، الطويل، ظاهر.

حرف العين:

عابد، عاقلة، العالم، عامر، عانق، عباس، عبايه، عبدالجواد، عبدالحليم، عبدالخالق، عبدالرزاق، عبدالعزيز، عبدالغني، عبدالقادر، عبدالله، عبدالمسيح، عبد النبي، عبدالهادي، عبده، عبد عبود، عبوي، عبيد، عتابا، عثاملة، عثامنة، عثمان، العدوي، العديني، عرار، عرطول، عروق، عزام، عزايزة، عزيزي، عساف، عسوس، عصفور، عطاالله، عطوة، عطية، عفيفي، عقيطة، علاء الدين، علوش، علي موسى، العليمي، عمارة، عمر، عمران، عمري، عواد، عواودة، عوايسة، عودة الله، عودة، عوض، عوكل، عون الله، عويد، عويس، عياد، عيد، عيسى، عيساوي، عيلوطي.

حـرف الغين:

غازي، غانم، غاوي، غرابلي، غريب، غزال، غزالة، غزاوي، غطاس، غميص، غنايم، غنطوس، غنيم.

حرف الفاء:

فاخوري، الفار، فاروق، الفاهوم، فايد، فراج، الفران، فرانش، فرح، فرحات، فرنسيس، فريد، فلاح، فلش، فلفل، فياض.

حرف القاف:

قاسم، قاطعلو، قالوش، قبطي، قبعين، قبلاوي، قميز، قدادة، قدادو، قدح، قدسي، قردحجي، قزعورة، قزموز، قس، قسيس، قسيم، قصيني، القط، قطوف، قعوار، القلق، قمر، قموع، قنازع، قندلفت، قويدر.

حرف الكاف:

كايد، كبها، كتان، كتورة، كتيلي، كرابلي، كرام، كردوش، كرزم، كرم، كريم، كسايري، كنج، كنجو، كنعان، كيلاني، كيوان.

حرف الـلام:

لاشين، لاون، لبّس، لحام، لداوي، لوابنة، لوباني، لولو.

حـرف الميـم:

مارون، مازن، ماهلي، مبحيش، مبدي، متى، متوالي، متولي، مجلي، محاميد، محروم، محمد، محمود، مخزومي، مرجيه، مرداوي، مرشي، مرعي، مرة، مروات، مريسات، مزاوي، مساد، مسلم، مسلماني، مسمار، مسيس، مشارقة، مشرقي، مشعور، مصاروة، مصالحة، مصري، مصطفى، مصلح، مطانس، مطر، مطران، المعلوف، معمر، معيجل، مغاربة، مقازحة، مقبعة، مقلشة، ملحم، منادرة، منسي، منصور، مهاوش، موسى، موعد، مويس.

حـرف النـون:

ناصر، الناطور، نايف، النجار، نجم، نجيم، نحاس، نخاش، نخلة، النداف، نسيم، نصار، نصر، نصرالله،نصراوي، نصرة، نصير، نصيري، نعامنة، نعراني، نعرة، نعيم، نفاع، نفاعنة، نقولا، نمر، نوفي، نويصر.

حرف الهاء والواو والياء:

هادية، هاشم، هبرات، هروش، هريش، هنداوي، هِواري، هيب، وارد، واكد، واوي، ورور، وهداني، ياسين، يزبك، يامين، يعقوب، يمبنو، يونس، يوسف.

ملاحظة: حددت زمن إحصاء العائلات بعد سنة 1948 لأن الناصرة صارت بعد النكبة سنة 1948 دار هجرة لكثير من العائلات التي هُجّرت من قرى قضاء الناصرة.. فأصبحوا يُعدّون ضمن سكان الناصرة.

وأما العائلات التي كانت تسكن الناصرة قبل سنة 1948 فسوف يأتي ذكرها في مكان آخر من هذا الكتاب إن شاء الله.

القُرى الصامدة في قضاء الناصرة

إكسال:

تقع جنوب شرق الناصرة بثلاثة كيلومترات ومن سكانها العائلات التالية:

أبو بندورة، أبو شهوان، أبو عودة، أسعد، اشتيوي، جرار، جماحنة، جوابرة. حبش، حبشة، حبشي، حجاجي، حجازي، حسن، حسين، حنا، حيشي، الخطيب، خلايلة، خليلية، دراوشة، رزق، زرزور، الزعبي، السعدي، شتيوي، شدافنة، شراب، شلابنة، شلبي، شهوان، صوالحة، عبدالعال، عبدالهادي، عرابي، عودة، قاسم، قنانبة، كيوان، محمدية، مقصقص، مناصرة، وجيه، ياسين، يحيى.

.. تقوم القرية على موقع (كسلوت) العربية الكنعانية، بمعنى (جنب) أو منحدرات. تقع بين جبل إكسال والسفح الشرقي لجبل القفزة على الأطراف الشمالية لسهل إكسال. أُقيمت على جزء من أراضيها الشمالية مستعمرة (الناصرة العليا). بلغ عدد سكانها سنة 2000 حواليّ عشرة آلاف نسمة. ويعمل قسم كبير من سكانها في الزراعة.. كانت

القرية تملك سنة 1945: 16.000 دونم بقي لها بعد المصادات سنة 1962 : 4396 دونم وتمكنت بفضل نضالات أهلها والمجلس المحلي من توسيع نفوذ مجلسها إلى سبعة آلاف دونم عام 1993.

البعينة:

اسمها: تصغير (بعنة) العربية الآرامية، بمعنى بيت الغنم تقع شمال شرق الناصرة بنحو 12 كم، وغرب بحيرة طبرية بنحو 18 كم وتقع عند الأقدام الشمالية لجبل طرعان (500م) تجاورها (عرابة) ودير حنا، ونجيدات، وعيلبون، وطرعان، والعزير، ورمانة، كان للقرية 9214 دونماً، لم يُبق لها المحتلون إلا 1882 دونماً بلغ عدد سكانها 6700 نسمة، من العرب سنة 2000.

من عائلاتها: سليمان، وحمودة، وفقرا، وجعباط، وبكر، وخليل، ومراد، ودلاته، وزيادنة، وموسى، وطه، وشعبان، وعيادة، وعفان.

تمرة (طمرة):

طمرة المرج، أو تمرة الزعبية، نسبة إلى الجد الأول لسكان القرية: عبدالرزاق الزعبي.

تقع جنوب شرق الناصرة بنحو 13 كم.. وهي كلمة عربية سريانية بمعنى الثمر. يمرّ من أراضيها خط أنابيب التابلاين المهجور الواصل إلى حيفا. كانت القرية تمتلك عشرة آلاف دونم، فلم يُبق المحتلون منها إلا 10٪. بلغ سكانها سنة (2000) 1500 نسمة.

دبورية:

تقوم على موقع قرية (دبرة) (دبرت) العربية الكنعانية، بمعنى (مرعى) وعرفت في عهد الرومان باسم (دبريتا).

تقع شرق الناصرة 6.5 كم عند الأقدام الشمالية الغربية لجبل طاور، وعند الأقدام الجنوبية الشرقية لجبل دبورية يجتازها مسيل البيرة. كانت تمتلك 18.185 دونماً.. لم يُبق لها المحتلون إلا 2974 دونماً، بلغ عدد سكانها 7000 نسمة.

من سكانها العائلات التالية:

إبراهيم، أبو جوهر، أبو زراقي، أبو سبية، إرشيد، الأطرش، أمونة، جبارين، جوفي، حبيب، حلجل، حمامدة، الخطيب، داود، دراوشة، دملخي، دواس، راشد، زبيدات، سخنيني، سعدة، سليم، السموعي، الشايب، شحبري، عزايزة، عكاشة، الفاهوم، كتيلات، كراد، كردي، كنعان، كناعنة، مصالحة، مطر، مقطرن، النجار، ياسين، يوسف، يوسفية.

الدّحي:

نسبة إلى الصحابي: دحية بن خليفة بن عامر الكلبي وإلى بني عامر نسب (مرج ابن عامر).

تقع القرية جنوب شرق الناصرة على بُعد عشرة كيلومترات، تقع على السفح الشمالي الغربي لجبل الدحي (515م). كانت القرية تمتلك

8038 دونم. لم يُبق لها المحتلون إلا (2029) دونم. بلغ عدد سكانها 343 نسمة.

رُمّانة:

تقوم على موقع (رمون) العربية الكنعانية، بمعنى (رمان) وظلت تحمل الاسم نفسه في العهد الروماني. تقع شمال الناصرة على بُعد عشرة كيلومترات. يمرّ منها وادي الخلادية. يجاورها كفرمندا،وسخنين، وعرابة، والعزير. كانت القرية تمتلك 1493 دونم. لم يُبق لها المحتلون إلا 271 دونماً. بلغ عدد سكانها 850 نسمة.

ومن عائلات رمانة: أبو جاموس، أبو حسين، اسعيد، حسين، سعيد.

الرينة:

قد تكون النون مبدلة من الميم، ولفظها (الريمة) بمعنى الصخر العظم أو بمعنى الظبية والغزالة (الرئم).

تقع شمال الناصرة بنحو كيلومترين.. يجاورها جبل أبو الهوا (366م) وجبل السيخ والمشهد، وطرعان، ورمانة، وعين ماهل.

كانت القرية تمتلك (1609) دونم، لم يبق منها إلا نصفها.

بلغ عدد سكانها 13800 نسمة من العرب.

ومن عائلات القرية: أبو حنا، أبو خضرة، أبو رحمون، إسماعيل، أيوب، برانسي، بصول، بهنسي، جبران، حامد، حجير، الحريري،

حزبون، حسام، حسن، حشمة، الحصري، حكارشة، حكيم، الحلو، حمدان، الحوت، خشمة، خطبا، خليل، خميس، خوري، دخل الله، دفراوي، راشد، راضي، رحمون، رزق، رواشدة، رنياوي، زامل، زبيدات، زبيدة، زيادنة، زيدان، زعرورة، سكران، سليمان، سمارة، سيدة، سيدي، الشريف، شلبي، شيخ خليل، الصايغ، صالح، صفراوي، طاطور، عبدالهادي، عثاملة، عثامنة، عرابي، عزام، عكاشة، عواد، عويس، عياش، فراج، فودة، فودي، قبطي، قصيني، كريم، ناصر، نجم، نواطحة، نويصري، معامرة، مغاربة، مناصرة، منصور، موسى، موعد، وهبة، وهيب، اليعقوبي، يونس.

ومن أبناء الرينة: صالح خليل سكران، هاجر إلى أمريكا، ودرس الحقوق، ودافع عن قضايا العرب، وترأس عدة جمعيات (العصبة الفلسطينية الوطنية) وله كتب كثيرة في القضايا العربية.

سولـم:

تقوم على موقع قرية (شونم) العربية الكنعانية، بمعنى الراحة. تقع جنوب شرق الناصرة بنحو أحد عشر كيلومترًا.. على السفوح الجنوبية الغربية لجبل الدحي (515م) مجاورة لقرى (الدحي) و(نين) و(ناعورة).

كانت القرية تمتلك (3605) دونم، لم يُبق لها المحتلون إلا 1629 دونم بلغ عدد سكانها 2200 نسمة من العرب.

من عائلاتها المقيمة على أرضها: الزعبي، أبو صيام، أبو قنديل، خضيري، جمعة، أبو صالح، خضر، سمدية، شلبي، عبدالغني، عصيري، مصاروة، مفرع.

طرعـان:

اسمها تحريف (طارانة) العربية السريانية، بمعنى (صوان) وقد تكون مركبة من (طور + عانة) بمعنى جبل البقر الوحشي أو حظيرة الغنم والضأن.

تقع شمال شرق الناصرة على مسافة تسعة كيلومتر وغرب طبرية 17 كيلا على السفح الجنوبي لجبل طرعان (500م).. وفي الجنوب الغربي منها، منطقة وعرية تتخللها أشجار حرجية تسمى (كبشانة) سقط فيها 16 شهيدًا سنة 1938 فسميت (وعرة الشهداء)، يجاورها (العزير) و(رمانة)، و(عيلبون). و(كفر كنا)، و(المشهد).

كانت القرية تمتلك 29743 دونمًا.. بقي لها بعد الاحتلال اليهودي 17150 دونمًا.. بلغ عدد السكان، عشر آلاف نسمة.

ومن عائلاتها المقيمة على أرضها:

أبو جبل، أبو ذيبة، أبو رحال، أبو صفية، بدارنة، بدر، بشارة، بكر، جابر، الحداد، حسن، حنا، حنيف، الخطيب، خليل، خوري، خير الله، دحلة، دولة، ديابات، رحال، زرعيني، سعد، سلامة، سلايمة، سمعان، شعبان، صباح، صفوري، طه، العدوي، عزيزي، عودة، عيساوي،

غبن، فراج، قاسم، ناصر، ونصار، محمد، محمود، محيلية، مناصرة، موسى، هيا جنة، يعقوب، يوسف، آل مساد، بكارنة، أبو شقارة، مرادات.

في القرية مسجدان: المسجد العمري القديم، ومسجد صلاح الدين، وفيها من الكنائس كنيسة الروم الكاثوليك، والروم الأرثوذوكس، والمعمدانية.

ومن شخصياتها: البروفيسور إبراهيم حسن عدوي، مختص في الهندسة الفيزيائية، يقيم في أمريكا، والدكتور غسان فايز الخوري.. أحد المناضلين والحاج محمود يوسف عدوي، مختار، ورئيس المجلس المحلي، من وجهاء الجليل توفي سنة 1995.

العزيـر:

تقع شمال شرق الناصرة بنحو عشرة كيلومترات، وغرب طبرية بنحو تسعة عشر كيلومتر، تجاورها عرابة، والبعينة، ونجيدات وعيلبون، كانت تمتلك 766 دونم.. لم يبق الاحتلال منها إلا 566 دونم. يبلغ عدد سكانها 3300 نسمة من العرب.

من عائلات القرية: أبو أحمد، أبو سمرة، حجيرات، الخطيب، عمر، قيّم، فاعور، ياسين، عودة.

عيلوط:

والاسم كلمة عربية سريانية بمعنى القمة أو المرتفع. تقع شمال غرب الناصرة بنحو ثلاثة كيلومترات ونصف الكيلو.. يحيط بها: بير

المكسور و(مشهد) و(كفر كنا) و(رمة الهيب). وعين ماهل، ويافة الناصرة.

كانت القرية تمتلك 27 ألف دونم. لم يبق لها المحتلون إلا 2359 دونم. يبلغ عدد السكان 4600 نسمة من العرب. أحدث اليهود سنة 1948 فيها مجزرة، استشهد 500 نسمة. وقد هاجر جزء من أهل عيلوط إلى دمشق سنة 1948.

ومن عائلات القرية المقيمة على أرضها: أبو راس، أبو عياش، أبو موسى، الخطيب، السلطي، شحادة، عبود، عودة، عطا الله، كنعان.

عين ماهل:

لفظها بمعنى (عين الراحة) وفي العربية (المَهْل)، والمَهَل والمُهْلة: بمعنى السكينة والتؤدة والرفق.

وقد تكون (ماهل) محرفة من (ناهل) من النهل، وهو الشرب. تقع القرية شمال شرق الناصرة بنحو ستة كيلومتر. وتقع إلى الشمال من جبل (دبورة) ويحيط بها قرى (كفر كنا) و(المشهد) و(دبورية). كانت تمتلك 13390 دونماً. لم يبق منها إلا 4145 دونم. يبلغ عدد السكان 9200 نسمة من العرب.

ومن عائلات القرية: أبو ليل، أمين، حبيب الله، حسنين، الخطيب، دبابسة، الشامي، شحادة، صالح، علوان، الشلبي، مصطفى، مطر، ملكاوي، موعد، نفافعة، حوايطة، عودة الله، عون الله.

كفر كنا:

(كنا) قد تكون من (الكِنّ) بمعنى الستر والغطاء، أو التأصل في الأرض والثبوت. أو (قانا) بمعنى العش، وكلها بمعنى واحد. وذهب جماعة من المؤرخين إلى أن القرية تقوم على بقعة (قانا الجليل) المذكورة في الإنجيل. و(قانا) هو المكان الذي صنع فيه المسيح معجزتين: الأولى، تحويله الماء إلى خمر (إنجيل يوحنا 1/2). والثانية: شفاؤه عن بُعْد ابن خادم الحاكم المريض في كفر ناحوم (عند بحيرة طبرية) وفي كنيسة الروم الأرثوذوكس في كفر كنا جرة، يزعمون أنها استعملت في معجزة تحويل الماء إلى خمر. ذكر (كفر كنا) ناصر خسرو في رحلته (سفر نامة) عام 438هـ وذكرها ياقوت في معجمه. وهذا يدل على أن حاضرها موصول بتاريخ قديم لم ينقطع ومن أشهر مَنْ نسب إليها من العلماء عبدالله بن عمر الكناوي، توفي سنة 912هـ. ذكره صاحب الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة. تقع كفر كنا شمال شرق الناصرة بنحو ستة كيلومترات وغرب طبرية بنحو عشرين كيلومتر. يحيط بها قرى (رمة الهيب) و(العزير)، و(طرعان)، و(عين ماهل)، و(دبورية)، و(المشهد).

كانت القرية تمتلك 19455 دونماً، لم يُبق لها المحتلون سوى 7868 دونم يبلغ عدد سكانها 15100 نسمة من العرب.

ومن عائلات كفر كنا: أبو داود، أبو خلف، أبو سويد، أديبة، إسماعيل، أمارة، الياس، بلانسي، برجس، بلان، بياطرة، جرايسي،

جما حنة، حسن، حسون، حسين، حكارشة، حكروش، حماد، حمدان، حمزة، حنا، خشيبون، خضر، خضراوي، خطاب، الخطيب، خمايسة، خمايسي، خميس، خوالدي، خوري، داموني، داود، دبي، دبيات، دحدل، دقدوقي، دهامشة، زريق، زريقات، زريقي، زيتون، سالم سبيت، سعدة، شاهين، شحادة، صالح، صبيح، صفوري، صقر، عبابسة، عباس، عبدالله، عبدالنور، عثمان، العدوي، عزيزي، عمارة، عمر، عنبتاوي، عواد، عوادة، عواودة، عيادة، عيسى، غريب، كريم، ناصر، نجيدات، نخلة، نعسة، مزيد، مصطفى، مطر، مقاري، مقطرن، مكعبل، منزل، هبرات، هياجنة، ياسين.

من شخصيات كفر كنا الاجتماعية الثقافية: الشيخ كمال الخطيب الذي كان له أثر في إحلال المحبة والوحدة بين الأهل، وسعى في جعل المسجد العمري منارة لكلمة الحق والموعظة الحسنة ونشر العلم.. في المسجد مكتبة عامرة فيها أكثر من عشرة آلاف كتاب. هذا وتشتهر كفر كنا برمانها الفاخر.. المليصي، وراس البغل، واللفاني.. وخلده الشاعر الفلسطيني الخالد الذكر، إبراهيم طوقان فقال:

جـزتُ بـالحيِّ في العشـيِّ فهـبَّتْ ... نفحـة أنعشـت فـؤادي المعَـنَّى
قـلت: مـنها، ودرتُ أنظـر حولـي ... نظـرات الملهوف يُسرى ويمنى
وإذا طيِّـب جـنيِّ مـن الـرمان ... مـثل الـنهود لوهـي تجـنى
وافقـت نظـرتي نـداء غـلامٍ ... ناصري يا رُمان من كفر كنا
قـلتُ أسـرع بـه فـدى لـك مـالي ... وتـرنَّمْ بذكـره وتغـنَّ
يا رسول الحبيب من حيث لم تدر ... لقـد جئـتني بمـا أتمـنى

كفر مندا:

(مندا) محرف من (مناة) بمعنى حصة ونصيب، ومنه الإله (مناة) إله القسمة والنصيب فيكون المعنى قرية الإله مناة. أو يكون تحريفاً للكلمة الإغريقية (مندرا) ومعناه حظيرة الغنم أو مكان رهبنة وتنسك.

تقع القرية شمال غرب الناصرة على مسافة اثني عشر كيلومتر.. يحيط بها قرى كوكب وبير المكسور، وشفا عمرو.

كانت تمتلك 14935 دونماً، لم يُبق لها المحتلون إلا 4998 دونماً يبلغ عدد سكانها 13.000 نسمة من العرب.

من عائلاتها: أبو الهيجا، أبو زهرة، أبو زلوطة، أبو شقارة، بشناق، الحاج، حجيرات، حسن، حلومة، حمود، حوش، حوشان، الخطيب، خلايلة، خلف، خليل، خليلية، خيش، الدالي، دراغمة، زابط، الزعبي، زعرور، زعرورة، زياد، زيادنة، زيدان، زيداني، السعدي، سعدية، سعسعاني، سماحات، سمحات، السيد، سيف، شناوي، شواهنة، طه، العالم، عباس، عبدالحليم، عبدالحميد، عبدالغني، عبدالله، عرابي، عزام، علي، عموري، عيساوي، قدح، نصار، حسين، محمد، محمود، مراد، مرادات، مريسي، ملكاوي، مندلاوي، موسى، ياسين، يعقوب.

ويحسن أن نسجل في تاريخ (كفر مندا) الرسالة الأدبية اليتيمة، التي كتبها أمير أدب الجهاد،والشهادة والحياة الأبدية ابن كفر مندا،

الفتى الشهيد محمد محمود أحمد حسين، قبل تنفيذ حكم (الإعدام) الشهادة والحياة الأبديّة عليه يوم الاثنين 1938/7/25، وهو في الثاني والعشرين من عمره، وجاءَت في صورة كتاب موجه إلى أبيه، ومؤرخ في 3/20 ومختوم بختم سجن عكا المركزي، حيث كان الشهيد مسجونًا.. يقول:

سبحان الحيّ الذي لا يموت، سبحان مَنْ له الدوام ولا دايم غير الله. لحضرة والدنا العزيز محمود أحمد حسين المحترم.

بعد تقبيل أياديكم والسؤال عن شريف خاطركم، مع كثرة الأشواق إليكم أُعرفكم يا والدنا - إن سألتم عنا - فإننا سننتقل إلى رحمة الله يوم الاثنين الواقع في 1938/7/25 الساعة (8) صباحًا. لأن القائد العام وافق على (إعدامي) بالتاريخ المذكور، ولأن مدير سجن عكا، بلغنا ذلك. فالرجاء يا والدنا أن تحضروا أنتم وجميع المحبين من أهل بلدنا لأجل رؤياكم لأنا (مشتاقين) إليكم، عند وصول تحريرنا هذا، قبل تنفيذ الحكم، ويا والدنا أرجوكم أن تقول إلى الشيخ حسن، الإمام، أن يقول إلى أهل البلد رجالاً ونساءً وأولادًا أن يسامحونا بما عملنا في دار الدنيا. سلامي لأرواحكم الطاهرة وإلى والدتنا الحنون وإلى (خواتنا عموم) وإلى أخينا عليّ ألف سلام وإلى دار عمنا سليم وأهل بيته وأولاده (عموم) ألف سلام، وسلامي على جميع أقاربنا (جميع) كل حيّ باسمه، وسلامي على أهل بلدتنا عموم ألف سلام. ويا والدنا أرجوكم أنه عندما (تستلموا) جثتي أن لا تبكوا أبدًا، بل يجب أن تهللوا وتكبروا

وتصبروا، إن الله مع الصابرين لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: 169) .

الداعي لكم بطول العمر
ولدكم / محمد محمود أحمد حسين
يقبل أياديكم

العنوان (ليد الخواجا نخلة بشارة المحترم، ومنه ليد والدنا محمود أحمد حسين مستعجل - ختم سجن عكا المركزي).

.. إن هذه الرسالة تزري بكل أدب وشعر قيل في الرثاء.. إنها رسالة مودع مسافر يرى نفسه مخلد الحياة غير ميت.. ومن أجل هذه الروح استعجل اليهود بعقد اتفاقيات (الصلح والسلام) ومن أجلها حرص اليهود والأمريكان على حرمان الشعب العربي من حريته وإبعاده عن المشاركة في الحكم، بإيجاد الأنظمة المستبدة التي ترى الدنيا مبلغ همها وتستعجل الحصول على متعة الجلوس على كرسي الحكم، فيسهل عليهم إرهابهم وتخييرهم بين الموت الذي لا يرون بعده حياة، وبين حياة آنية يلبون فيها شهوة بطونهم وفروجهم، ومن أجلها يلجمون شعوبهم، ويكونون مع اليهود والأمريكان، عونًا على شعوبهم وأوطانهم..

وعرفت من أبناء كفر مندا الأستاذ نواف عمر عالم، له مكتب تأمين ومحاسبات في الناصرة، وقد أمدنا بالصور التوثيقية عن مدينة الناصرة.

كوكب أبو الهيجا:

أبو الهيجا: شيخ مدفون في شمال القرية. وهي آخر أعمال الناصرة من الشمال.. يحيط بها، حرفيش، وبيت جن والرامة، وسجور. كانت القرية تملك 14196 دونم، بقي منها 3500 دونم.

يبلغ عدد السكان 5250 نسمة من العرب

من عائلاتها: أبو الهيجا، أحمد، الحاج، حجوج، خليل، صالح علي، محمد، منصور.

المشهد:

معنى الاسم: الحضور، أو المجتمع من الناس، والمشهد: مكان اجتماع الناس في المواسم، ومنه قيل (مشهد الحسين) في عسقلان. ومنه (صلاة المشهد) مكان اجتماع الناس يوم العيد لحضور الصلاة. وربما قيل (المشهد) بمعنى مكان (الشهداء) حيث شهدت القرية عام 1837 زلزالاً لم يبق بيتًا قائمًا فيها..

تقع القرية شمال الناصرة بنحو أربعة كيلومترات.. يحيط بها (رمة الهيب) و(كفر كنا)، و(طرعان)، و(عين ماهل)، و(عيلوط)، و(أطلال صفورية المدمرة). كانت القرية تمتلك 11600 دونم، بقي منها 4000 دونم.

يبلغ عدد سكانها 6400 عربي.

من عائلات القرية: بركات، بهوتي،أبو إسماعيل، التركي، حجر، حسن، حمدان، حمودة، حميد، حميدة، حميدي، خميس، خير الدين،

دحلة، دخل الله، ربيع، سليمان، سيدة، سيدي، شحادة، صلاح، عبيد، عرفات، علي، عيسى، فايز، فخري، كريم، مرعي، منصور.

ومن سكان (المشهد) الأستاذ الأديب المؤرخ جميل عرفات، باحث في تاريخ وجغرافية فلسطين.. له كتاب (من قرانا المدمرة في الجليل) وكان ينشر في جريدة (الاتحاد) في فلسطين المحتلة سنة 1948.

ناعورة:

تقوم على موقع قرية (أناحرة) العربية الكنعانية، بمعنى مضيق أو ممر. ومنها قيل (ناحورة، أو ناعورة) وعرفت في العصور المسيحية باسم (ناران) وهو تحريف من سابقه.

تقع القرية جنوب شرق الناصرة بنحو 13 كيلومتر، وغرب نهر الأردن بنحو 17 كيلومتر، وشرق جبل الدحي، يحيط بها قرى الدحي ونين وأم الغنم وطمرة وسولم.

كانت تملك 11036 دونم بقي منها 3482 دونم. يبلغ عدد السكان 1200 نسمة من العرب.

من عائلاتها: الزعبي، شعراوي، هبرات.

نـيـن:

ورد ذكرها في الإنجيل بلفظ (ناين) وهي كلمة آرامية سريانية بمعنى لذيذ، أو جمال. وفي إنجيل لوقا أن المسيح أقام فيها ابن الأرملة الوحيد من التابوت وسلمه إلى أمه معافى.

تقع جنوب شرق الناصرة بنحو تسعة كيلومترات: وتقع على الأقدام الشمالية لجبل الدحي يحيط بها قرى إكسال ودبورية، وأم الغنم وكفر مصر وناعورة، كانت تملك 4687 دونم، لم يبق منها إلا 1887 دونم.

يبلغ عدد السكان 1350 نسمة.. ينسب إليها في كتب التراجم عدد من الأعلام، ابتداءً من القرن الثامن الهجري.. ومن (نين) أصل عائلة الفاهوم في الناصرة، وأول مَنْ انتقل منها الشيخ أحمد الفاهوم النيني سنة 1205هـ - 1791م.

ومن عائلاتها: الزعبي، جهيم، عباس، عبيد، عمري.

يافة الناصرة:

ويقال: يافة الجليل، وقرية يافا، تمييزًا لها عن مدينة يافا الساحلية. وهي تقوم على موقع بلدة (يافيع) العربية الكنعانية بمعنى بهيج، وجميل.

تقع في جنوب غرب الناصرة بنحو 3 كم. وتقوم على صهوة جبل القفزة الغربي في شمالها الغربي (الغزالين، والجواميس، والغريفات، والمزاريب ومنشية زبدة) كانت تمتلك 17809 دونم، بقي منها 4887 دونم

يبلغ عدد سكانها 14100 نسمة من العرب.

من عائلاتها: أبو أحمد، أبو تنها، حاطوم، أبو سنة، بشارات، بشتاوي، جرادات، جمامعة، الحاج، الحافي، حجاجرة، الحلو خلايلة،

خوري، درمح، الشاعر، شحبري، صالح، عروق، علي، عيساوي، فحماوي، كسابرة، لباني، مرجية.

عرب الصُبَيْح:

شرق الناصرة بنحو سبعة كيلومتر.. يحيط بها عين ماهل، وكفر كنا والمشهد والرينة، ودبورية وإسكال..

يبلغ عدد سكانها 3900 نسمة..

ومن أشهر بطونهم: المقطرن، الشديد، الشبلي.

عرب النجيدات:

في شمال غرب الناصرة بنحو 14 كيلومتر، عند الأقدام الغربية لجبل الديدبة يبلغ عددهم 2700 نسمة من أفخاذهم: القرطاوي، المناصرة، اعمر، ذياب.

أُم الغنم:

جنوب شرق الناصرة بسبعة كيلومترات. أُعطيت هذا الاسم، لامتلاك أهلها عددًا كبيرًا من الأغنام. تقع عل السفح الجنوبي لجبل طابور.. يبلغ عدد السكان (2000) نسمة من العرب.. من عائلاتها: أبو جابر، سعايدة، كحيلي، سلقيني.

عرب الزرازير:

عشيرة عربية تقيم قرب نهلال شمالاً في منطقة الغابة من فروعهم: بشير، جواميس، ذيابات، رحال، عيادات، غريفات، مزاريب، هيب.

عرب الحجيرات:

في سهل البطوف قرب قرية العزبر.

بسمة طبعون:

تجمع من عشائر الزبيدات، والسعدية، وحلف. تقع في شمال غرب الناصرة نحو خمسة كيلومترات يبلغ العدد 6800 نسمة.

جواميس:

في شمال غرب الناصرة نحو ثمانية كيلومترات يبلغ عدد سكانها 755 نسمة.

الحلف:

شمال غرب الناصرة نحو 15 كيلومتر، يبلغ عدد سكانها 785 نسمة.

رمة الهيب:

شمال شرق الناصرة بنحو ثمانية كيلومترات يبلغ عدد سكانها 825 نسمة.

غريفات:

غرب الناصرة بنحو ثمانية كيلومترات، يبلغ عدد سكانها 1600 نسمة.

غزالين:

شمال غرب الناصرة ثمانية كيلومترات، يبلغ عدد سكانها 1200 نسمة.

أم قبيّ:

في الغرب من مدينة الناصرة، ثم أصبحت من أحيائها. من عائلاتها: الحربجي، الفاخوري، الزيني، حمد العبدالله.

القرى المدمرة في قضاء الناصرة

المجيدل:

تقع إلى الغرب من مدينة الناصرة على طريق الناصرة - حيفا، تبعد عن الناصرة ثمانية كيلومتر.. طرد الأعداءُ سكانها سنة 1948 ودمروا القرية.

ومن عائلاتها المهاجرة:

سلام، لوباني، عروق، أبو خميس، نخاش، سوطري، دفراوي، عبدالهادي، أبو عدس، الخوري، بطو، نصار، صليبا، أبو النور. ومن مشاهير القرية الشاعر الشعبي فرحان سلام والمجاهد أبو طارق اللوباني (عبدالحسين اللوباني)، الكسابري، بشري الصوص، الحريري، النخاش، شريف، علي الموسى، واكد.

إندور (عين دور):

كانت تقوم على بقعة (سميتها) العربية الكنعانية. (عين دور) بمعنى (عين المأوى) تبعد عن الناصرة حوالي عشرة كيلومترات، وبجوارها جبل الدحي من الجنوب الغربي.

بلغ عدد سكانها سنة 1945: 620 نسمة. وفي إحصاء اليهود، كان في إندور في 1948/11/8: 278 نسمة وفي سنة 1949: 299 نسمة ثم أخرج اليهود هؤلاء العرب من بلدهم ودمروها، وأقاموا على أراضيها قرية تحمل اسم القرية العربية.

ينسب إلى القرية الشيخ توفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) من عائلة (القنانبة).

ومن عائلات أندور: الحايك، والمناصرة، وأبو جوهر، والصوالحة، والزيادنة، ويوسف، وأبو مسرة.

معلول:

كانت تقوم غرب الناصرة.. دُمرت وضمت إلى القلاع اليهودية المجاورة. وبدأت نكبتها في بداية القرن العشرين عندما بيعت أراضيها إلى آل سرسق ثم انتقلت إلى شركة يهودية سنة 1921.. بعد النكبة تفرق أهلها، فمنهم من سكن الناصرة أو في القرى المجاورة ومنهم مَنْ لجأ إلى البلاد العربية المجاورة.

ومن عائلاتها في الوطن والمهجر:

السرحان، جبر، البشارات، صالح، سالم، عواد، خضر، أبو غانم، القط، الحايك، المعبوك، الغريفات، المزاريب.

صفورية:

من لفظ (صافراية) العربي السرياني بمعنى أسفر الصّباح أو من (صفرة) الآرامي بمعنى (الطائر). وهناك طائر يسمى (الصفارية).

استولى عليها اليهود وطردوا أهلها وأقاموا على أنقاضها مستعمرة بلفظ (تسيفوري) عام 1949.

وكان لصفورية شأن في التاريخ، ففي القرون الأربعة المسيحية كانت أكبر وأهم مدينة في الجليل، وكانت مقرًّا لمقاطعة. حررها العرب المسلمون على يد شرحبيل بن حسنة سنة 13هـ، وكان عرب مكة يفدون إليها في الجاهلية.. ونسب إلى صفورية عدد من أعيان العلماء في المدة التي تلت طرد الصليبيين.

كانت صفورية أول بلدة في إقليم الجليل زارها عز الدين القسام وتعرف على رجالها وأنشأ فيها مجموعات من المجاهدين.. ومن رفاق القسام في صفورية المجاهد محمد التوبة والشيخ نايف المصلح، والمجاهد محمد الغز، أبو محمود والمجاهد أحمد عبدالقادر زعرورة..

سكن آلاف منهم في شرق الناصرة، ومنعوا من العودة إلى بلدتهم، وهاجر بعضهم إلى البلاد الغربية..

من عائلات صفورية في الوطن والمهجر:

نجم، موعد، الزغايرة، بركة، مراعنة، أبو النعاج، البلادحة، الحوايطة، خطاب، شحادة، الأشراف، الغنايمة، الشيخ خليل، كنعان، علاء الدين، المقاسمة، زعرورة، قبلاوي، شرقاوي، مصلح، أبو غانم، القيسي، أبو حيط، أبو قاسم، بدارنة، أبو عرابي، عطية، جفالي، الخطيب، كسرى، علاونة، شربيني، هاشم، أبو دبوس، الغز، مصاروة،

أبو شقرة، فليفل، السعدية، العيلوطي، التوبة، المقادحة (مقدح) كيوان، أبو صلاح،عباس، السعدية، مراد، عطية، أبو دبوس، جفيلة، البعيصة، بشر، خلف، كرز، الهندية، عبدالنبي، عباس، الياسين، علاء الدين، خطاب، عتابا، مصلح، كنعان، كليب، الغلوبة، مغامس، الطوباسي، أبو رجب، ملحم، كريم، راشد، أبو ناصر، حلومة، نوفل، أبو ناصر.

المعالم التاريخيّة في الناصرة

كنيسة البشارة:

تقومَ على الموضع الذي بشّر فيه الملائكة مريم بأنها ستلد ابنًا وتسميه (المسيح) قال الله تعالى في القرآن: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ (آل عمران: 45). وقد أفصح إنجيل لوقا عن مكان البشارة أنه في الناصرة فقال: (وفي الشهر السادس أُرسل جبرائيلُ الملاك من الله إلى مدينة من الجليل اسمها (ناصرة) إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف واسم العذراء مريم، فدخل إليها الملاك وقال: سلام لك.. وهاأنت ستحبلين وتلدين ابنًا وتسمينه يسوع.. (لوقا/27/1). وفيه شاهد على أن الناصرة كانت مسكونة من قبل الميلاد، وأن مريم كانت تسكن (الناصرة).

تقوم كنيسة البشارة في الطرف الجنوبي من الناصرة القديمة. وكنيسة البشارة الحالية كنيسة حديثة بنيت بين عامي 1960 - 1969م..

وقامت حفريات بهذه المناسبة قدمت معلومات عن الكنائس التي تعاقبت في هذا المكان.. وتأتي في المقدمة (مغارة البشارة) التي كانت تؤلف جزءًا من مسكن مريم المبني على غرار ما كانت عليه مساكن الناصرة التي كشفت الحفريات عن كثير من بقاياها.. ودلت الحفريات على أنه كان هناك كنيسة صغيرة بالقرب من المغارة منذ القرن الرابع الميلادي (أُقيمت بدل الكنيسة المذكورة كنيسة بيزنطية مرصوفة بالفسيفساء). 427م وفيها درج ينزل عليه من القسم الشمالي منها إلى المغارة، وبقيت هذه الكنيسة حتى القرن الحادي عشر أو الثاني عشر عرضة للخراب تارة والترميم تارة أُخرى وفي أوائل القرن الثاني عشر أقام الصليبيون على أنقاض الكنيسة المذكورة كنيسة أُخرى أكبر منها، وكانت المغارة ضمن القسم الشمالي من الكنيسة وينزل إليها بدرج.. وقد صلى لويس التاسع ملك فرنسا في هذه الكنيسة سنة 1254 وبعد ذلك بعشر سنوات كان آخر العهد بها.. وتوالت القرون، وفي سنة 1620 سمح الأمير المعني فخر الدين بن قرقماز، للآباء الفرنسيسيين بأن يأتوا إلى الناصرة، فحصلوا على مكان الكنيسة وبعد ذلك (1730) بنوا في سبعة أشهر كنيسة خالية من كل مظهر فني..

والكنيسة الحالية امتدّ بناؤها من 1960 - 1969 بعد كشف وافٍ عن جميع آثار الماضي.. وتتألف الكنيسة الجديدة من الكنيسة السفلى والكنيسة العليا وطولهما معًا 67.85م وعرضهما 28.60م وعلوهما 20 مترًا مع قبة علوها 57 مترًا.

وقد أُفرغ الجهد في أن تحافظ الكنيسة السفلى على كلٍّ ما تبقى من الكنائس السابقة وأن تكون مغارة البشارة محور هذا البناء. ففي سقف الكنيسة السفلى فتحة كبيرة تمكن من رؤية المغارة من الكنيسة العليا والقبة التي تعلو السقف تخيم على المغارة.

كنيسة القديس يوسف: أو (العيالة المسيحيّة):

بنيت سنة 1914 على آثار كنيسة صليبيّة، على الموضع الذي كان فيه بيت القديس يوسف، فإلى هذا البيت جاء يوسف بمريم نزولا عند أمر الملاك (متّى/20 – 24) وفيه عاشت الأُسرة المقدسة (يسوع ومريم ويوسف، وقضى يسوع نحو ثلاثين سنة.تقع هذه الكنيسة على مسيرة 170 مترًا شمالي شرق كنيسة البشارة).

كنيسة القديس جبرائيل أو (البشارة) للروم الأرثوذكس:

على بُعْد 800م من كنيسة البشارة على طريق طبرية، تقع عين (مريم) وقد بنيت سنة 1862، ودعيت كذلك، لأن ماءَها يجري من عين الناصرة التي كانت مريم تردها كسائر النساء في القرية، وهذه العين قريبة من كنيسة الروم الأرثوذكس المدعوة كنيسة (مار جبرائيل) أو كنيسة البشارة.. وفي القسم الشمالي من الكنيسة ينزل إلى بناء معقود قديم جدًا تجري فيه ماء العين، وكان هذا البناء يؤلف القسم الأسفل من الكنيسة أيام الصليبيين. ويعود اسم الكنيسة إلى ما ورد في إنجيل (يعقوب) (وهو إنجيل غير قانوني برأي بعض الطوائف) من أن الملاك

جبرائيل ظهر للعذراء وهي قادمة بجرتها لترد الماء، فتركت الجرة من خوفها وركضت إلى بيتها حيث وافاها جبرائيل بالبشارة.

كنيسة الروم الكاثوليك والمجمع القديم:

في ساحة كنيسة الروم الكاثوليك تشاهد على بُعْد 150م شمالي الكازانوفا عن اليسار، كنيسة صغيرة تسلمها الروم الكاثوليك سنة 1771، ويقول تقليد من القرن السادس الميلادي إنه كان يقام هناك المجمع الذي كان المسيح يتردد إليه في الناصرة وفيه جرى ما رواه (لوقا) في الفصل الرابع من إنجيله (14 - 30) عن مصارحة المسيح مواطنيه بأن ملكوت الله ليس موقوفا عليهم وعلى أُمتهم بل مفتوح لجميع الناس، فثار ثائر الجماعة لما سمعوا هذا الكلام، ودفعوا المسيح إلى خارج الضيعة كي يفتكوا به (وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل، أما هو فجاز في وسطهم ومضى).

كنيسة البلاطة:

أقامها اللاتين، وتدعى أيضًا كنيسة مائدة المسيح. طولها 12 قدمًا وعرضها 9 أقدام وعلوها 3 أقدام، ويقال: إن المسيح تغدى في تلك البقعة مع تلاميذه. وجدد البناء عام 1860.

كنيسة سيدة الرجفة او سيدة الرعشة (دير البنات):

أُقيمت على طريق جبل (القفزة) في عام 1882 في بقعة تكسوها الأشجار وفيها الفواكه والآثار. ودعيت باسمها نسبة إلى تقليد مسيحي

يعود تاريخه إلى أواخر الثامن يقول: إن مريم العذراء لما بلغها ما جرى لابنها الوحيد من أن اليهود مضوا به إلى جبل القفزة ليطرحوه إلى أسفل، مضت مسرعة في أثره، ولما بلغت المكان الذي أُقيمت عليه الكنيسة شاهدت اليهود عائدين في حنق وهياج، فامتلأت خوفاً وارتعشت، إلى أن علمت بأن ولدها تخلص من أيديهم، فسكن روعها.

عين العذراء:

تقع على مسيرة أربع دقائق للماشي من كنيسة العيالة لجهة الشرق. وهي النبع الرئيس للمدينة، مضافة إلى مريم العذراء، لأنها كانت تستقي منها.. ويقال: إن الملاك بشّر العذراء على العين وهي تملأ جرتها ثم أتمَّ البشارة في البيت.

وكانت مياه العين تسحب في قناة من الفخار مما يفقدها الكثير من مياهها بسبب تسربها، ثم قام أمين عبدالهادي قائمقام الناصرة بجرّ المياه في أنابيب حديدية سنة 1911، فزاد ماء البلدة بنسبة 40٪ .

.. وفي الناصرة 24 كنيسة وديرًا.

جوامع الناصرة

الجامع الأبيض:

بوشر بعمارته في سنة 1227هـ - 1812م وذلك أنه بينما كان (علي باشا) مساعد سليمان باشا والي عكا في زيارة للناصرة، أقلقه عدم وجود جامع فيها للمسلمين، فقرر أن يقوم ببناء جامع فيها، وبعد أن تمَّ بناؤه وبناء مأذنته خصصت له الأوقاف الكافية لنفقاته، وولي عليه عبدالله الفاهوم قاضي الناصرة. ويروى في سبب بناء هذا الجامع أن علي باشا كان مرة في الناصرة يحيط به وجهاء المسلمين فقال لهم: أليس بينكم مَنْ فيهم الكفاءَة لبناء جامع، فقال له أحمد أبو زريقيه - من البياطرة - : إن كلَّ واحد منا قادر على بناء جامع، وإنما أجر بنائه محفوظ لأفندينا (أي: لعلي باشا) فسُرَّ من جوابه وشرع ببناء الجامع على نفقته. قلتُ: وكان التقصير من الطرفين: الحاكم والمحكوم: أما الحاكم، فلأنه لا يتفقد أحوال الرعيَّة ولا يتحسس حاجاتهم، لأن حُكّام العرب - كانوا وما زالوا - لا يقفون عند حاجات الأُمة. وأما حاشية الحاكم - فإنها انغمست في النفاق، وحجبت معاناة الشعب عن عين الحاكم، وأوهموا السلطان أن الرعية تنعم في بحور من السمن والعسل..

مسجد بلال:

شيد عام 1401هـ مكون من طابقين وبه سدّة للنساء.

مسجد السلام:

شيد عام 1961 مساحته 700م وسدة 100م وقاعة 300م، ويحتوي على مكتبة للمطالعة.

مسجد شهاب الدين:

في وسط البلد شيد عام 1971، مساحته 70م، وله أوقاف كثيرة ما زالت مصادرة.

مسجد الصديق:

شيد عام 1982، مساحته 125م، يقام فيه نشاط علمي ورياضي.

مسجد عمر بن الخطاب:

شيد عام 1402هـ مؤلف من طابقين، وبه وسدة للنساء.

مسجد النور:

شيد عام 1987 مساحته 250م، مؤلف من طبقتين: الأولى للصلاة، والثانية للمحاضرات.

مسجد الهدى:

شيد عام 1965 مساحته 170م، أوقف أرضه السيد عمر إبراهيم النخاش.

من أعلام الفكر والأدب في الناصرة

خليل إبراهيم بيدس:

ولد في الناصرة عام 1875 وتخرج من دار المعلمين الروسية، ثم تولى التدريس والإدارة في سوريا ولبنان وفلسطين.

أنشأ مجلة (النفائس العصرية) في حيفا سنة 1908. له مؤلفات منها (العقد الثمين في تربية البنين). و(تسريح الأبصار فيما تحتويه بلادنا من الآثار). وعُني بالقصة. ويعد رائد القصة العربية في فلسطين. نزل عام النكبة بيروت وتوفي فيها سنة 1949.

ماري بنت الياس زيادة (1886 - 1941):

الأديبة المشهورة باسم (ميّ زيادة) ولدت في الناصرة وتلقت تعليمها الأوليّ فيها. والدتها ناصرية من أُسرة (مُعمّر) ووالدها لبناني الأصل، سكن الناصرة وتعلّم في مدارسها.

نبيه أمين فارس:

ولد في الناصرة عام 1906، وتلقى تعليمه بالقدس عمل أستاذاً للتاريخ العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت، له مؤلفات بالعربية

والإنجليزية. من آثاره (العاديات في جنوب الجزيرة العربية) (العرب في التاريخ)، (الميراث العربي). وتوفي في بيروت عام 1968.

مطلق عبدالخالق الناصري (1909 - 1937):

وُلد في الناصرة، وأتم في مدارسها المرحلة الابتدائية، وبعد ذلك التحق بكلية روضة المعارف بالقدس.. شاعر، نبغ في سن مبكرة.. فيه صوفية وفي شعره فلسفة. قُتل في تصادم سيارة في حيفا، ودفن في بلدته. من آثاره (الرحيل) ديوان شعره، أصدره شقيقه صبحي عبدالخالق سنة 1937، وله (خواطر وآلام) مقالات أدبية، وتأملات نفسية.

أمين سليم جرجورة:

من مواليد 1886 ومن خريجي السمينار الروسي بالناصرة سنة 1906، كان معلمًا في المدرسة الروسية حتى سنة 1918.. درس المحاماة ومارس المهنة.. رئيس بلدية الناصرة.. توفي 1975 وهو شاعر لم يجمع شعره وصدر له (السبيل).

توفيق بشارة معمر:

ولد في الناصرة عام 1917. وتعلم في الناصرة وصفد والجامعة الأمريكية في بيروت، ودرس المحاماة، وعمل في مكتب النائب العام 1935 - 1938 له مؤلفات منها (مذكرات لاجئ - أو حيفا في المعركة) صدر في الناصرة 1958 (المتسلل وقصص أُخرى) صدر في الناصرة 1957 و(تاريخ ظاهر العمر).

توفيق أميـن زيّاد (1929 - 1996):

وُلد توفيق زيّاد في الناصرة عام 1929، وتعلم في مدارسها. وانضم منذ حداثته إلى الحركات الوطنية داخل الأرض المحتلة سنة 1948، وانتسب إلى الحزب الشيوعي، ليجد فيه الحماية في معركته مع المحتلين. وتولى رئاسة بلدية الناصرة حوالي ثلاثين سنة.

كتب المقالة والبحث والشعر، وله عناية خاصة بالأدب الشعبي، ونشر فيه مقالات، وأبحاثًا، ذاعت شهرته بوصفه شاعرًا مقاومًا للاحتلال اليهودي.. وله قصائد حفظتها الجماهير ورددتها فأصبحت من أناشيدها القومية.. من ذلك قصيدته (هنا باقون) التي تُعدُّ عمود المقاومة والثبات، والقوت اليومي للشعب الفلسطيني حيث يقول:

كأننا عشرون مستحيل
في اللد والرملة والجليل
هنا على صدوركم باقون كالجدار
في حلوقكم
كقطعة الزجاج كالصبَّار
وفي عيونكم
زوبعة من نار
هنا.. على صدوركم باقون كالجدار
ننظفُ الصحون في الحانات

ونملأ الكؤوس للسادات
ونمسحُ البلاط في المطابخ السوداء
حتى نسلَّ لقمة الصغار
من بين أنيابكم الزرقاء
هنا.. على صدوركم باقون كالجدار
نجوعُ.. نعرى.. نتحدى
ننشد الأشعار
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الأطفال.. جيلاً ثائرًا وراء
جيل
كأننا عشرون مستحيل
في اللدِّ والرملة والجليل

..

وفي قصيدة بعنوان (أشدُّ على أياديكم) ينادي الشاعر أبناء أُمته العربية فيقول:

أُناديكم
أشدُّ على أياديكم
أبوس الأرض تحت نعالكم
وأقول: أفدّيكم
وأهديكم ضيا عيني

ودفْ القلب أُعطيكم
فمأساتي التي أحيا
نصيبي من مآسيكم
أناديكم
أشدُّ على أياديكم
أنا ما هنتُ في وطني
ولا صغرت أكتافي
وقفت بوجه ظلامي
يتيمًا عاريًا حافي
حملتُ دمي على كفي
وما نكستُ أعلامي
وصنتُ العشب فوق قبور أَسلافي..

.. توفي الشاعر في حادث سير قرب القدس سنة 1995.

من مؤلفاته: (ادفنوا أمواتكم وانهضوا)، (أشدُّ على أياديكم)، (أُغنيات الثورة والغضب)، (عن الأدب الشعبي الفلسطيني)، (كلمات مقاتلة)، (صور من الأدب الشعبي الفلسطيني).

حنا امين ابو حنّا:

ولد حنا بن أمين أبو حنا في قرية (الرينة) من قضاء الناصرة سنة 1928، وأنهى دراسته الثانوية في مدينة الناصرة. وتخرج من دار

المعلمين العرب بالقدس سنة 1948.. عمل في التعليم وأصبح مديرًا للكلية الوطنية الأرثوذكسية بحيفا.. وهو شاعر مقاوم، من آثاره (نداء الجرح) وله كتب مترجمة.

جمال إسكندر قعوار:

ولد بالناصرة سنة 1931، تعلم في مدارسها، وفي جامعة حيفا، وتخصص في اللغة العربية. من آثاره (سلمى) مجموعة أقاصيص شعرية، (أغنيات من الجليل)، و(الريح والمطر)، و(خباء حاتم).

فوزي جريس عبدالله:

وُلد في الناصرة عام 1940، وتعلم في مدارسها وعمل في التعليم، وهو شاعر له آثار مطبوعة (موعد مع المطر) و(الطيور المهاجرة) و(شدّوا الخطى).

كلثوم عودة:

وُلدت في الناصرة عام 1892، وتوفيت في روسيا سنة 1965.. تخرجت من المدرسة الروسية في بيت جالا، وارتبطت سنة 1914 بضابط في الجيش الروسي القيصري، وسافرت إلى روسيا.. وعملت زمنًا في التعليم والترجمة.. وترجمت عشرات الكتب من الأدب العربي إلى اللغة الروسية. ومنحت وسام الشرف تقديرًا لجهودها في ميدان التقارب العربي الروسي.. من آثارها: (حضارة العرب في الأندلس) ترجمة، و(دراسات في تاريخ الأدب العربي) ترجمة، و(اللغة العربية) للروس.

فرحان سلام:

وُلد في قرية المجيدل، وتعلم في مدارسها وفي سنة 1932 عمل في سلك البوليس.. وعند اندلاع الثورة عام 1936، شارك فيها بسيفه ولسانه، ولقّب (ثائر وشاعر) فهو شاعر شعبي عبر في شعره عن أماني وأحلام هذا الشعب بروح وطنية عالية.. نفي إلى الأردن 1940 - 1944 بسبب قصائده التي مجدت الثوار، وبسبب علاقاته مع بعض الشخصيات الوطنية مثل رشيد الحاج إبراهيم والحاج أمين الحسيني، ثم عاد إلى البلاد وبقي حتى سنة 1948 ثم التجأ إلى سوريا وسكن مخيم اليرموك.

توفيق إبراهيم (أبو إبراهيم الصغير):

المجاهد توفيق إبراهيم، لقب بأبي إبراهيم الصغير تمييزًا له عن المجاهد: خليل محمد عيسى (أبو إبراهيم الكبير).. ولد في قرية أندور (عين دور) من قضاء الناصرة، وكان من أوائل المؤيدين لحركة الشيخ القسّام، فانتظم في حركته، وأصبح من القادة المعدودين في حركة الجهاد في الشمال الفلسطيني. اشترك في عدة معارك (عين ماهل)، (الشجرة)، (الناصرة)، (مقرّ حاكم طبريا الإنجليزي).. هاجر إلى دمشق، وتوفي عام 1966.

جميل عرفات:

من بلدة المشهد في قضاء الناصرة.. باحث وكاتب.. له مؤلفات موثقة وجيدة في تاريخ القضية الفلسطينية ويكتب في تاريخ القرى

الفلسطينية التي دمرها اليهود سنة 1948 وله كتاب، من قرانا المدمرة في الجليل.. ويتابع الكتابة في جريدة الاتحاد الحيفاوية.

فهد ابو خضرة:

ولد في بلدة (الرينة) من قضاء الناصرة عام 1939 وتعلم في مدارس الناصرة، وفي جامعة حيفا، وحصل على دكتوراه في الأدب العربي، من إحدى جامعات الوطن المحتل.

أصدر سنة 1964 قصته الأولى (الليل والحدود)، ثم أصدر ديوان شعر (الزنبق والحروف)، وصدرت له مجموعة شعرية (البحث عن أجنحة).

وليد خليف:

وُلد بالناصرة سنة 1938، وتعلم في مدارسها، وعمل موظفًا وصحفيًا. وكان مسؤولاً عن الشؤون الثقافية في المركز الثقافي البلدي بالناصرة. نشر أدبه في الصحف والمجلات، وشارك في نشاطات أدبية وشعرية. صدر له مجموعة شعرية باسم (الأيام المهجورة) بالناصرة 1957 و(الدرب الصامت) سنة 1970.

وليد الفاهوم:

من الناصرة. محام، صدر له (ولابُدَّ للقيد أن ينكسر).

يعقوب جريس الخوري:

وُلد في الناصرة عام 1915، وكان أبوه معلمًا في المدارس الروسية.. وعين أبوه كاهنًا في طنطا بمصر، فسافر مع أبيه فأكمل الدراسة الثانوية بطنطا، ثم تخرج من كلية طب الأسنان ببيروت وعاد إلى القاهرة. وأسس النادي العربي الفلسطيني. من آثاره: (فلسطين أمام العالم) 1953، و(أملاك العرب وأموالهم المجمدة في فلسطين المحتلة) عام 1955، و(حقوق الإنسان في فلسطين المحتلة) 1968.

نعمة الصباغ:

وُلد في الناصرة عام 1886، وأنهى دراسته الثانوية في مدارس الناصرة عام 1904 ومن زملائه في الدراسة نسيب عريضة وميخائيل نعيمة.. عمل في التعليم وإدارة المدارس في الناصرة ولبنان وكان شاعرًا، ولكن ديوانه لم يطبع.

نجوى قعوار فرح:

من الناصرة، وتعلمت في الناصرة والقدس. بدأت نشاطها الأدبي في إذاعات القدس ولندن، وهولندا ومحطة الشرق الأدنى.

صدر لها سنة 1954 أول مجموعة قصصية بعنوان (عابرو السبيل) ولها (سلسلة قصص للأحداث) في ثلاثة أجزاء. و(عبير وأصداء) من الشعر المنثور. و(سرّ شهرزاد) تمثيلية في فصلين.

وعملت في الأردن، في باب الصحافة والإذاعة ، ولها عدد من التمثيليات.

عزمي بشارة (الدكتور):

عضو البرلمان في فلسطين المحتلة (الكنيست) قوميّ عربي، يناضل لإثبات الهوية العربية في فلسطين المحتلة سنة 1948 رفع عنه اليهود الحصانة البرلمانية سنة 2002 لمحاكمتهِ بتهمة الانتماء العربيّ.. ومناصرة المنتفضين على الاحتلال اليهودي..

من الأحداث الكبرى في لواء الجليل

1- ولادة المسيح عيسى بن مريم، وبعثته؛ في الناصرة:

إننا نميل إلى الأخذ بالرأي القائل: إنَّ مولد المسيح عليه السلام كان في (الناصرة) وليس في بيت لحم، القريبة من القدس، وإذا أردنا أن يكون تعبيرنا أكثر دقة نقول: إن المسيح وُلد في لواء الجليل أو في قضاء الناصرة، ولنا في ترجيح هذا الرأي أسباب:

1- لم تتفق الأناجيل على تحديد مكان ولادة المسيح في بيت لحم القريبة من القدس. وإنما حدد مكان الولادة في بيت لحم، إنجيل متّى، وإنجيل لوقا. وأما إنجيل (مرقس) فقد سكت عن تحديد مكان الولادة.. وفي سياق الإصحاح الأول من إنجيل مرقس ما يشير إلى أن المسيح وُلد وعاش وشبَّ في الناصرة، وكان بدء نزول الوحي عليه في غور نهر الأردن. حيث يقول: (وفي تلك الأيام جاء يسوع من (ناصرة الجليل) واعتمد من يوحنا في الأردن. وللوقتِ، وهو صاعد من الماء رأى السموات قد انشقت، والروح مثل حمامةٍ نازلاً عليه).

ولم يذكر إنجيل (يوحنا) مكان الولادة في بيت لحم. وفي سياق الإصحاح الأول نسب يسوع إلى (الناصرة) وفي السياق ما يشير إلى أنَّ

عيسى من الناصرة ولادة ونسبًا. حيث يقول: (فيلبس وجد نثنائيل وقال له: وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء: يسوع ابن (يوسف) الذي من الناصرة، فقال له نثنائيل: أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح).

2- اعتمد إنجيل (متى) في تحديد مكان الولادة على قصة مجيء المجوس الذين رأوا نجم ميلاد اليسوع، وسؤال هيرودوس الكهنة عن مكان ولادة المسيح، فأخبروه أنه يولد في بيت لحم.. وأن النجْم سار أمام المجوس حتى وقف على ولادة الصبي في بيت لحم. قلت: هذه قصة لا يُبنى عليها تأريخ حقيقيّ: فالنجوم لا تطلع ولا تغيب لمولد إنسان أو موته، بل إن النجوم والكواكب، لا تطلع ولا تغيب فهي موجودة في هذا الكون، وكلّ في فلك يسبحون.. والشمس لا تغيب عن الكون، وكذلك القمر، وإنما يغيبان عن إقليم ساعات ويكونان ظاهرين على إقليم آخر.. وفي الآثار الإسلاميّة أنه طلع نجم أحمد، ولكنه خرافة مأخوذة من كلام يهود، وربما أُخذت من خبر طلوع نجم يسوع.

وليس من العِلمْ في شيء، بل وليس من الدّين بعامة أن يسير النجم أمام الناس، ثم يقف فوق مكان الميلاد..

بل إن في القصة ما ينافي الحكمة الإلهية: فقد أراد الله أن يُولد المسيح وأن يكبر، ليكون نبيًا ورسولاً يبلغ رسالة ربّه.. والنجوم مسخرة بإذن الله، فكيف يهدي الله أعداء المسيح إلى مكان ولادته لقتله؟.. وسنة الله في الأنبياء، أن لا يعلم أحد بنبوتهم إلا بعد أن يبلغوا السنّ التي ينبؤون فيها، ويعلنون رسالتهم إلى الناس.

وكلّ الأخبار التي وردت حول اكتشاف نبوّة (محمد) قبل سن الأربعين أخبار مخترعة ولا يصحُّ منها شيء.

وقصة خوف هيرودس من ميلاد طفل يكون ملكًا لليهود.. وأمْر هيرودس بقتل الأطفال.. هذه القصة مقتبسة من قصة فرعون وموسى، وهناك فرق بين فرعون وهيرودس: فرعون ملك متأله على جميع بلاد مصر وأما هيرودس فهو وال من ولاة الروم على بلاد الشام.

ثم إن عيسى عليه السلام لم يُرسل إلى اليهود أو إلى بني إسرائيل وحدهم، وإنما أُرسل إلى كلِّ مَنْ كان في فلسطين أو في بلاد الشام، وما اليهود في زمن ولادة عيسى وبعثته إلا قلّة قليلة من الناس، ولكن الفساد كان عامًا فيهم، فهم أحوج الناس إلى نبيّ يردّهم إلى الطريق المستقيم.

وقول نص الإنجيل (أين يولد المسيح فقالوا في بيت لحم اليهوديّة) كلام لا يؤيده التاريخ، فوصف بيت لحم بأنها (يهوديّة) كلام غير مستقيم تاريخيًا، فهو مبني على خرافة توراتية تقول إن يعقوب أقام في بيت لحم وأن (راحيل) أم يوسف توفيت ودفنت في بيت لحم.. فأُم يوسف لم تمت في فلسطين، وإنما ماتت في مصر، حيث رحلت مع زوجها يعقوب، لأن القرآن قال في قصة يوسف ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (يوسف: 100) وأبواه: أبوه وأُمه.

و(بيت لحم) كان لها اسم آخر هو (أفراته) بمعنى المثمرة ربما كان هو السائد في زمن المسيح.

3- وأما إنجيل (لوقا) فجعل ولادة عيسى في (بيت لحم) مصادفة، وكان حقه أن يولد في الناصرة. فزعم أن مريم جاءَت إلى بيت لحم مع خطيبها يوسف، لإحصاء العائلة مع أُسرة بيت داود وعشيرته، فجاءها المخاض في هذه الأثناء فولدت في بيت لحم.

وهذه مقولة ليس لها ما يؤيدها في خارج نصّ الإنجيل: فالإحصاء المشار إليه لم يثبته المؤرخون. وإذا ثبت وجود الإحصاء، فإنه من المفترض أن يُحصى كلُّ أُناس في مكان إقامتهم. وإذا كان يوسف (خطيب مريم) من نسل داود، فليس هناك دليل على نسبة مريم إلى عشيرة داود. وكانت مريم - كما يقول الإنجيل - مخطوبة، وليست زوجة، فهي تتبعُ أهلها ومن المفترض أن مريم تكون معتزلة عن الناس بسبب ظهور علامات الحمل عليها، والناس يعرفون أن خطيبها لم يدخل بها. وفي القرآن ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ (مريم: 22) بعيدًا عن الناس..

ويظهر أنها لم تختلط بالناس مُدَّة الحمل، حيث فوجئ الناس بولادة عيسى.. ولم يعرف الناسُ أن مريم حُبلى.. قال الله تعالى في القرآن ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ (مريم: 27) .

4- سياق قصة عيسى في القرآن يرجح ولادته في الناصرة وليس في بيت لحم. وقصة عيسى موصولة بقصة مريم منذ كانت في بطن أُمها..

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ (آل

عمران: 35) والنذر المحرر، أن يكون الولد مخلصًا للعبادة. وكان هذا النذر مشروعًا عندهم، وما زال مشروعًا في النصرانية، وتأثر بهذا التقليد بعض المسلمين في أفريقيا، فكانوا في زمن سابق يهدون أولادهم للحرمين في مكة والمدينة.

فلما صارت مريم في سنّ التكليف انفردت عن أهلها في مكان للعبادة وكان يرعى شؤونها ويكفلها زوج خالتها زكريا ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران: 37). وكان ذلك بداية معجزاتها التي أكرمها الله بها. وفي سورة مريم ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانًا شَرۡقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابًا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (مريم: 16-17) فهي منفردة للعبادة.. قد يكون هذا المكان جزءًا من الدار، وقد يكون مكانًا منعزلا، يشبه الدير فيما بعدُ. ولعلَّ انفراد مريم بالعبادة هو الأصل في وجود الأديرة في الملّة النصرانية، فلم يُعرف في الملة الموسويّة هذا الانعزال للعبادة.

وجاءت إليها البشارة بالحمل وهي في معبدها الذي اعتزلت فيه، فلما حملت ﴿ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ﴾ (مريم: 22) أي: بعيدًا عن الأهل والناس ويظهر أنه مكان آخر غير مكان العبادة ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴾ (مريم: 23).

فولادة عيسى كانت في المكان القصيّ عن الناس الذي اعتزلت فيه، وهذا ينفي كونها سافرت وهي حامل إلى بيت لحم لغرض الإحصاء، لأنها مشغولة بالعبادة، فلا تهمّها شؤون الدنيا، ولأن حالة الحمل التي دعتها إلى الاعتزال في مكان قصيّ، تمنع من التقاء الناس والاختلاط بهم، خوفا من كلام الناس، وليس عندها ما تدفع به التهمة حين الحمل.. أما بعد الولادة فقد طمأنها الله إلى أن مولودها سيكلم الناس في المهد، ويدافع عن أمه ﴿ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ۝٢٩ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ (مريم: 29-30).

وأتاها المخاض عند جذع النخلة.. وهذا يقتضي أن تكون النخلة قائمة ولم يكن وجودها معجزة، وإنما كان هزّها وإسقاطها الثمر هو المعجزة.. قد تكون النخلة في غير أوان الثمر، وقد تكون مثمرة والمعجزة في قدرة مريم على هزّ جذع النخلة مع عجز الجمّ الغفير من الرجال عن

هزّها.. ويرجح أن النخلة كانت مثمرة، فقد يتأخر نضوج ثمر النخيل في المناطق الباردة إلى شهر كانون الأول، والمشهور أن الولادة كانت في أواخر كانون الأول.

وحدوث الولادة تحت جذع النخلة يعطينا ترجيحًا آخر لولادة عيسى في الناصرة أو ضواحي الناصرة.. فمناخ الناصرة أكثر ملائمة من مناخ بيت لحم لزراعة النخيل، فبيت لحم ترتفع عن سطح البحر حوالي 800م، وترتفع الناصرة عن مستوى سطح البحر حوالي 300م..

5- وقد نصت مصادرُ قديمة وحديثة على ولادة المسيح في (الناصرة) فقال ياقوت الحموي في ترجمة (الناصرة) فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم، ومنها اشتق اسم النصارى، وكان أهلها عيّروا مريم.. وأهل بيت المقدس يأبون ذلك ويزعمون أن المسيح إنما وُلد في بيت لحم .. وإنما انتقلت به أُمه إلى هذه القرية...

وفي تاريخ المسيح للفيلسوف آرنست رينان، أن المسيح وُلد في الناصرة وناقش ول ديورانت في كتاب (قصة الحضارة) قضية مولد المسيح ونشأته مشيرًا إلى أقوال (متى) و(لوقا) بأن مولد المسيح كان في بيت لحم القائمة على بُعْد خمسة أميال جنوبي القدس، وأن أُسرته انتقلت منها إلى الناصرة في الجليل.. أما مرقس فلا يذكر بيت لحم، ولا يذكر المسيح إلا باسم (يسوع) الناصري. ويظن الناقدون أن متى ولوقا قد اختارا بيت لحم، ليقويا بذلك الادعاء بأن يسوع هو المسيح وأنه من نسل داود، كما تتطلب ذلك النبوءَة اليهودية لأن أُسرة داود كانت تقيم

في بيت لحم، ولكننا لا نجد ما يؤيد هذا الظن.. (قصة الحضارة جـ 3 /المجلد/3/ ص213).

6- وإذا كان المسيح قد وُلد في (بيت لحم) فهي ليست (بيت لحم) المقدسية، وإنما هي (بيت لحم) الناصرية التي تبعد نحو سبعة أميال للشمال الغربي من الناصرة، وهي بلدة قديمة، واسم (بيت لحم) كان خاصًا بها، أما بيت لحم المقدسية، فكان اسمها (أفراته) بمعنى المثمرة، ولا ندري متى أخذت اسم (بيت لحم).

7- وخلاصة مرجحات ولادة المسيح في الناصرة أو في الجليل، كون أُمه مريم، نشأت وعاشت في الجليل، وبُشرت بالحمل وهي في الجليل والذين عابوا مريم لولادتها عيسى بدون زوج، كانوا من الناصرة أو من الجليل، لأن العيب مبنيٌّ على معرفة تاريخ الحياة والأُسرة، وأهل منطقة القدس لا يعرفون تاريخ حياة مريم.

وجُلّ معجزات المسيح ظهرت في الجليل، ونُسب عيسى إلى (الناصرة) فقيل: الناصري. ومن الناصرة أُخذ اسم دعوة المسيح فقيل (النصرانية) وسُمي الأتباع (النصارى) والواحد (نصراني) واثبت القرآن هذا الاسم (النصارى) وهذا يعني أنه كان معروفًا عند العرب، ومستعملاً في لغتهم.

وكون مريم اعتزلت الناس للعبادة، ثم اعتزلت في مكان قصيّ بعد الحمل.. والمكان القصي يكون في قضاء الناصرة.. وكونها اعتزلت الناس بعد الحمل، يمنع ذهابها إلى بيت لحم المقدسية، لكتابة اسمها في سجلّ

بني داود كما يقول الإنجيل، لأن ذهابها إلى بيت المقدس، يجعلها تختلط بالناس في الشهر التاسع من الحمل، وقد ظهرت عليها علامات الحمل..

ومريم أُم عيسى، لم تثبت نسبتها إلى أُسرة (داود) فقد نصّ القرآن على أن (مريم) بنت عمران. وعمران (أبو مريم) ليس هو عمران، والد (موسى) فبين الاثنين أزمنة متطاولة. بدليل أن زكريا أبا يحيى، هو الذي كفل مريم، وهو في عصر مريم وقد جعل القرآن (آل عمران) أهل مريم، أُسرة منفردة بنفسها عندما قال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران: 33)

وآل عمران، قبيلة مريم، لأن القرآن، ذكر قصة مريم في السياق نفسه، فقال: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (آل عمران: 35) ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا (أي: امرأة عمران) قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: 36).

ويرجح أن آل عمران أُسرة عربية كنعانية من سكان فلسطين كانت تقيم في نواحي الجليل. فلفظ (عمران) عربيّ. ومريم من الجذر العربي (ريم) أو (روم) ومنه (الريم) والرئم و(الرَّوم) بمعنى العطف والحنان. ومن محرفات مريم (مارية) و(ميّ). وعيسى: اسم عربي آرامي، قيل إنه منقول عن (إيسوع) ومن معانيه السعة والرحمة والرجاء.

وسواءٌ ولد عيسى في (الناصرة) أم في (بيت لحم) المقدسية، فإنَّ مولده في (فلسطين) وفي فلسطين أنزل الله الإنجيل على نبيّه عيسى عليه السلام. وكان العرب الفلسطينيّون أول المؤمنين برسالة عيسى،وهم الذين آزروه ونصروه، ومن فلسطين الحواريّون أنصار عيسى. ومن فلسطين نقل تلاميذ المسيح وصحابته وحواريّوه إلى العالم رسالة المحبة والسلام والتسامح.. وكلُّ مَنْ دان بالنصرانية، ويدين بها إلى اليوم، مدين بالفضل لأرض فلسطين وأهل فلسطين العرب. وحقٌّ عرب فلسطين على كلِّ مَنْ دان بالنصرانية أن يجد منهم المحبة والنصرة، حُبًّا لعيسى المسيح صاحب الرسالة لأنه أحبَّ أهل فلسطين وأحبوه: أحبوه في نصرانيتهم، وأحبوه وآمنوا به في إسلامهم..

فبماذا كوفئ أهل فلسطين العرب على حبّهم لعيسى وأُمّه؟

الجـــواب: لقد كوفئ أهل فلسطين ممن يزعمون أنهم أتباع المسيح بحروب متوالية تريد اجتثاث أصلهم وإبادتهم.. بدأت بالحروب الصليبية التي قادتها أوروبا ولم تهدأ إلى يومنا هذا.. حيث طرد أهل

فلسطين من أرضهم، وأُحُلَّ مكانهم قوم حاربوا المسيح وآذوه، وكفروا به.. وكان ذلك بتأييد ومساندة الزعامة المسيحية اليوم في أمريكا وأوروبا..

إنه العقوق والغدر، ونكران الجميل والظلم، والكفر بالمسيح ورسالته وكلها ظلمات حاربها المسيح، لأنه دعا إلى البرّ والوفاء والعدل والإيمان بالله تعالى إله الناس كافة.

2- يوم الأرض، أو انتفاضة الجليل:

يوم الأرض، هو يوم الانتفاضة الوطنية العارمة التي تفجرت في 1976/3/30. على شكل إضراب شامل ومظاهرات شعبية في جميع القرى والمدن والتجمعات العربية في فلسطين المحتلة عام 1948، وخصوصاً في منطقة الجليل.

وكان ذلك ثورةً على الإرهاب الصهيوني، وسياسة التمييز العنصري، ومصادرة أراضي العرب الفلسطينيين الذين صمدوا على أرضهم بعد الاحتلال الصهيوني سنة 1948، وإقامة الكيان اليهودي. وتحاول السلطة الإسرائيلية اقتلاع العرب من أرضهم وتمزيقهم إلى مجموعات صغيرة منعزلة،والتضييق عليهم بمختلف الوسائل والأساليب الإرهابية.

والسبب المباشر لأحداث يوم الأرض،وتفجير بركان الغضب، وبلوغ السيل الزُّبى كان إقدام السلطات اليهودية يوم 1976/2/29 على

مصادرة نحو واحد وعشرين ألف دونم من أراضي عدد من القرى العربية في الجليل الأوسط منها: عرّابة - وسخنين - ودير حنا، وعرب السواعد، وغيرها.. لتخصيصها لإقامة المزيد من المستعمرات اليهودية في نطاق مخطط تهويد الجليل ومحاولة إفراغه من سكانه العرب الذين يشكلون نصف مجموع السكان هناك.

وكانت سلطات الاحتلال اليهودي قد صادرت بين سنة 1948 - 1972 أكثر من مليون دونم من أراضي القرى العربية في الجليل والمثلث، زيادة على ملايين الدونمات من الأراضي العربية التي اضطر أصحابها إلى الهجرة خارج فلسطين المحتلة سنة 1948 بعد العدوان اليهودي.

وقد جاءَت أحداث يوم الأرض تتويجًا لتحركات ونضالات طويلة، تكثفت في الشهور التسعة التي سبقت يوم الأرض.

ففي 1975/7/29 عُقِد اجتماع في حيفا حضره مبادرون لتنظيم حملة الإنكار على سلطات الاحتلال لمصادرة الأراضي العربية، بعد أن أعلنت سلطات الاحتلال عزمها على مصادرة (21) ألف دونم من أراضي نحو اثنتي عشرة قرية عربية، وضم الاجتماع عددًا من رؤساء المجالس المحلية العربية وشخصيات وطنية تضم محامين وأطباء ومثقفين ورجال دين وفلاحين. وتقرر في هذا الاجتماع تشكيل لجنة للدفاع عن الأراضي العربية. ودعت هذه اللجنة إلى عقد اجتماع شعبي موسع في الناصرة بتاريخ 1975/8/15.. وتقرر فيه الدعوة إلى مؤتمر شعبي عامّ للمطالبة بوقف مصادرة الأراضي وصدر عن الاجتماع نداء موجه إلى الرأي العام يدعو إلى المشاركة في الحملة التي تستنكر مصادرة الأراضي العربية، ووقع

على هذا النداء آلاف المواطنين، وجميع الهيئات الشعبية والمجالس المحلية العربية، وعقدت لجنة الدفاع عن الأراضي العربية بعد ذلك عشرات الاجتماعات الشعبية في الجليل والمثلث.

وكان المؤتمر الشعبي العام الذي عُقد في الناصرة بتاريخ 18/10/1975 أكبر مؤتمر شعبي يُعقد في فلسطين المحتلة عام 1948 حتى ذلك الحين. وفي هذا المؤتمر تقرر إعلان الإضراب العام وتنظيم مظاهرات إذا لم تتراجع سلطات الكيان اليهودي عن مخططات مصادرة الأراضي العربية وتهويدها. ولكن السلطات تجاهلت ذلك،وضربت بمطالب العرب عرض الحائط.

عندئذ تقرر عقد اجتماع موسع لرؤساء التجمعات العربية في (الناصرة) بتاريخ 6/3/1976، وحضره أكثر من سبعين مندوبًا، يمثلون القرى والتجمعات العربية في الجليل والمثلث،وفي هذا الاجتماع اتخذ القرار التاريخي بإعلان الإضراب العام يوم 30/3/1976..

ولكن السلطات المحتلة استمرت في تنفيذ مخططها، وحاولت السلطات بكل ما في وسعها من وسائل الترهيب والترغيب والخداع، شقّ الإجماع العربي وكسر الإضراب.. وقررت الحكومة تجنيد قوات كبيرة وحشدها في القرى العربية، وداوم وزير الشرطة اليهودي في (الناصرة) ليشرف على إدارة عمليات الإرهاب.

وفي يوم 30/3 أضربت مدن وقرى الجليل والمثلث العربية عن بكرة أبيها وحاولت السلطات كسر الإضراب بالقوة، فأدّى ذلك إلى الصدام

بين المواطنين العرب وقوات العدوّ اليهودي، وكانت أعنف الصدامات في قرى سخنين وعرابة ودير حنا.. وبدت كأنها عملية احتلال يهودي جديدة للقرى العربية.

وشمل الإضراب عرب الأرض المحتلة عام 1948 وعرب الضفة الغربية وقطاع غزة الذين هبّوا لمؤازرة إخوانهم عرب الجليل، وانطلقت مظاهرات عمّت المناطق الفلسطينية كلها.

أما في منطقة الجليل فقد جرى تسلسل الحوادث كما يلي:

اقتحمت القوات اليهودية في (الناصرة) منزل الشاعر توفيق زيّاد رئيس البلدية، وأحرقته وأصابت أفراد أسرته بجروح. وهاجم المتظاهرون جنود العدو في الشوارع بالحجارة، وكانت جماعات الطلاب تتصدى للعدوّ في جميع الأماكن، فقتِل ثلاثة جنود إسرائيليين وأصيب 12 جنديًا بجروح، واستشهد ثلاثة من العرب وأصيب 27 بجروح.

وفي شفا عمرو: قُتل جنديان يهوديان وأُصيب تسعة بجراح، واستشهد أربعة من العرب وجرح ثمانية عشر عربيًا.

وفي سخنين: استشهد أربعة من العرب وجرح سبعة عشر عربيًا وقتل أربعة من جنود العدوّ،وقذف أبناء سخنين قوات العدو بالقنابل البترولية والحجارة.

وعمت المظاهرات والاشتباكات باقي قرى الجليل مثل عرّابة البطوف ودير حنا ومجد الكروم من قضاء عكا.

وفي قرية (قانا) بالجليل الأعلى كانت حصيلة الاشتباكات قتل جنديين من جنود الاحتلال وجرح خمسة جنود، واستشهد ثلاثة من العرب وجرح 12 عربيًا.

وعرفنا من أسماء الشهداء في يوم الأرض:

خير ياسين: من عرابة.
رجا أبو ريّا: من سخنين.
خضر خلايلة: من سخنين.
محسن طه: كفر كنا
رأفت علي زهري: من مخيم نور شمس بالضفة الغربية،استشهد بالطيبة.

وقد اتفق المراقبون في تقويم يوم الأرض، على أنه شكّل إضافة نوعية إلى نضال الجماهير العربية في فلسطين المحتلة سنة 1948، وكان هزة عنيفة تلقاها المجتمع الاستيطاني اليهودي وسلطته اليهودية واختبار قوة لطرفي النزاع.

وقد أصبحت انتفاضة 3/30 عيدًا وطنيًا ثوريًا تُحيي ذكراه الجماهير الفلسطينية والأمة العربية، باسم (يوم الأرض). وقد ابتدع الناسُ في عصرنا أعيادًا: منها عيد الأم، وعيد المعلم، وعيد الطفل، وعيد الشجرة: والحقيقة أن (عيد الأرض) هو عيد الأعياد كافة، وما أحوج العرب إلى هذا العيد، ليجعلوه عيدًا وطنيًا في كلِّ إقليم، وفي كل مدينة وقرية.. فليست أرض فلسطين هي المستهدفة من الأعداء، فكل بلاد العرب من الأهداف المرحلية لليهوديّة والصليبيّة.

المبتدا، والتاريخ

(الناصرة) من فلسطين، و(فلسطين) من بلاد الشام. و(الشام) من جزيرة العرب. وقد سكن الإنسانُ جزيرة العرب - شامها وجنوبها، وشرقها وغربها - قبل التاريخ المدوّن بآلاف السنين.. وكان الإنسان العربيّ الكنعانيّ تطورًا طبيعيًا لإنسان ما قبل التاريخ، فلم يأت إلى فلسطين وبلاد الشام (سوريا الكبرى) مهاجرًا إليها، وإنما كان من نبات هذه الأرض، يضرب بجذوره إلى أعماق الأرض السابعة. لم يسبقه إلى الوجود على هذه الأرض شعبٌ ولم يقطع وجوده على هذه الأرض شعب، وإنما كُتِبَ لهذه الأرض (فلسطين) أن تكون ممرًّا لعابري السبيل من كلّ أُمِم الأرض.. وحالها حال جبل ابن جفاجة الأندلسي الذي وصفه قائلا:

وأرعنَ طمّاح الذؤابة باذخٍ ... يطاول أعنانَ السماءِ بغاربِ
يسُدُّ مهبَّ الريح عن كل وُجهةٍ ... ويزحم ليلاً شُهْبه بالمناكب
وقورٌ على ظهر الفلاة كأنه ... طوالَ الليالي مُفْكرٌ في العواقب
أصْختُ إليه وهو أخرس صامتُ ... فحدثني ليل السُّرى بالعجائب
وقال: ألا كم كنتُ ملجأ قاتلٍ ... وموطن أوّاه تبتّل تائب
وكم مرّ بي من مدلج ومؤوِّبٍ ... وقال بظلي من مطيّ وراكب
ولاطم من نُكب الرياح معاطفي ... وزاحم من خُضْر البحار غواربي
فما كان إلاّ أن طوتهم يدُ الردى ... وطارت بهم ريحُ النوى والنوائبِ

.. ويقول المثل العاميّ الفصيح (يا جبلُ ما يهزُّك ريحٌ) وفلسطين جبل عربيٌّ لم تستطع عواصف الزمن أن تنال من شموخه وأصالته وعروبته. و(الناصرة) من فلسطين.. دلت الحفريات الأثرية على أنها كانت مسكونة في العصر البرونزي المتوسط (2000 ق.م) وفي العصر الحديد (1200 ق.م) وقد وُجدت في الناصرة قبور أثرية منقورة في الصخور أو في الكهوف.. ولكن هذا التاريخ المذكور، ليس بداية السكنى.

ومن الأخطاء الفاضحة التي وقعت فيها (الموسوعة الفلسطينية) قول محرر مادة (الناصرة): (إن المدينة - الناصرة - لم تكن ذات شأن في العصور القديمة السابقة للميلاد.. حيث لم يرد لها ذكر في العهد القديم (التوراة)..).

وقد اتفق أكثر المؤرخين اليوم - من العرب والأوروبيين والأمريكان - أن التوراة لا تصلح أن تكون مصدرًا للتاريخ، لأنها تقوم على الأسطورة والخرافة والاختلاق.. ذكر المؤلفون في هذه الخرافات الأماكن التي خيلتها لهم أوهامهم.. وكم من مكان ذُكر في التوراة، وليس له وجود على وجْه الأرض. فوجود اسم المكان في التوراة لا يدلُّ على (القِدم) و(الأهمية والشأن الكبير) أما انعدام القدم، فلأن التوراة قد أُلّفتْ ونسجت خيوطها الوهمية الأولى قبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون، وزادوا عليها ما زادوا بعد الميلاد، وبعد ظهور الإسلام. وأما الأهميّة والشأن الكبير، فهي أهمية خاصة بمن وضع الأساطير.. والتوراة المترجمة إلى العربية، وإلى اللغات الأوروبية ليس لها أصل موثوق منسوب إلى عصر

الوضع الأول.. لقد قيل: إنها مترجمة عن اليونانية ولكن النصَّ الأول كُتبَ باللغة الآراميّة.. فأين الأصل الأول؟ بل أين الأصل الذي نزل على موسى؟

ورد اسم الناصرة في الأناجيل 28 مرة، وكان ذلك أول مرة تذكر في مصدر قديم.

ولكن بداية ذكرها في الإنجيل لا يدلُّ على بداية الوجود.. والمعروف أن الأناجيل كلها دونت بعد المسيح بزمن طويل، وبقعة (الناصرة) كانت عامرة بالسكان قبل ميلاد المسيح بأمدٍ طويل.

بدليل أن (آل عمران) أهل مريم العذراء كانوا يسكنون بقعة الناصرة، وأن مريم وُلدت في الناصرة، وكانت تستقي من عين العذراء القريبة من البلدة.. وقال القرآن مخبرًا عن بداية التكليف بالعبادة ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا ﴾ (مريم: 17) أي من دون الناس.. وقال الله تعالى: ﴿ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ ﴾ (آل عمران: 44)

فهناك عدد من الرجال الصالحين كلهم حريصون على كفالة مريم وكفلها زكريا ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗا ﴾ (آل عمران: 37) ويسألها ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ (آل عمران: 37) واستعجاب زكريا ناتج عن انه يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء

في الصيف.. وهذا يعني وجود زراعة،ومواسم زراعية يشتغل فيها ناسٌ كثيرون وعندما حملت بابنها انتبذت به مكانًا قصيًا.. والانتباذ يعني الابتعاد عن القرية لوجود الناس فيها.. وعندما ولدته ورجعت به ﴿ قَالُواْ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴾ (مريم: 27)، ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ (مريم: 29) وقبل الآيتين: ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾ (مريم: 27) كلٌّ هذا يدل على الجمع الغفير من الناس فالمتعجبون من ولادتها ليسوا أهلها فقط.. وإنما هم أُناس كثيرون ﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ﴾ (مريم: 27) والقوم جماعة من الناس كثيرة ومن الآثار المسيحية في الناصرة (كنيسة العيالة) أو (كنيسة القديس يوسف) أُقيمت على بيت وحانوت يوسف النجار، وكان يوسف يعمل في صنعة (النجارة) وعمل معه المسيح لبعض الوقت.

ولم يكن يوسف النجار يصنع لنفسه، وإنما يصنع للناس.. فالبقعة إذنْ مسكونة وفيها أُناس يزرعون، وأُناس يصنعون، وهناك توزيع في العمل. ولا يكون الاختصاص إلا عند كثرة الناس..

ربما كانت بقعة الناصرة في قرون ما قبل الميلاد تابعة لعاصمة مجاورة فالبقاع والمدن يعتريها عبر التاريخ أحوال، يعلو شأنها في زمن ثم تنصرف الزعامة إلى غيرها..

وعلى بُعْد خمسة كيلومترات - في الشمال الغربي - من الناصرة، تُوجد قرية صفورية التي كان لها شأن في قرون ما قبل الميلاد، حيث ذُكرت سنة 103ق.م عندما هاجمها (بطليموس لاتيروس) ابن كليوباترا ملكة مصر. وأصبحت صفورية عاصمة لإحدى الولايات الخمس التي تشكلت منها المنطقة. واحتلها هيرودس، وجاء بعده ابنه، فرفع شأنها وجعلها عاصمة له حتى سنة 26م، وفي العهد المسيحي سنة 518م بُني فيها أول كنيسة على آثار بيت (حنة) أم السيدة العذراء.

حارات (أحياء) مدينة الناصرة

قبل سنة 1948

في كتاب (ولاية بيروت) القسم الجنوبي المؤلف في العهد التركي، وصف لحارات مدينة الناصرة فالقائمة على سفوح التلال الشرقية تسمى الحارة الشرقية. والقائمة على التلال الغربية تسمى الحارة الغربية. ودورُ الحارة الشرقية مبنية وسط الجنائن، وهي بعيدة عن بعضها. وأكثرها مبنية نحو الغرب ويسمون هذه المحلة (حارة الميدان) ويسكنها أبناء طوائف عدة.

وفي أطراف الجهة الشمالية والشمالية الغربية حارة الروم، وهي أحسن دور الناصرة هواءً وبناءً، فأمام كل دار حديقة صغيرة تحيط بها غرائس الصّبار، ويفرق بينها أحيانًا طريق أو جدار قصير ولطيف. وفي الحدائق أشجار التفاح، والخوخ، واللوز، ويسكن هذه المحلة أبناء الروم الأرثوذوكس.

أما الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية، فتُعرف باسم حارة اللاتين ودورها متلاصقة.

وتقوم بين الحارات الأربع وفي وسط الوادي تمامًا، حارة الجامع أو حارة الإسلام، وسكانها مختلطون، ودورها متفرقة.

وفي العهد البريطاني ذُكرت الأسماء التالية:

1- محلة الجامع 2- محلة دار قعوار 3- المحلة الشرقية 4- محلة الجريفة 5- محلة فرح 6- محلة دار قوار 7- محلة دار أبو حمد 8- محلة دار علي جاويش 9- محلة العديني 10- محلة اليمانية 11- محلة اللاتين 12- محلة العين 13- محلة الغربية 14- محلة الحوش 15- محلة العرقية 16- محلة الشوافنة 17- محلة البيادر.

وتوجد أبنية أُخرى كثيرة خارج المدينة وفي الكروم.

أسـواق النـاصــرة

قبل سنة 1948

وصفت فرنسيس إملي نيوتن الناصرة في كتابها (خمسون عامًا في فلسطين) - في العهد البريطاني -، فقالت: كانت الناصرة يومذاك مدينة زاهرة: بندرًا وسوقًا، وفيها من الحدادين والصاغة والعطارين والبقالين والسروجيين وأصناف التجار، ما كفى حاجات الزمن، فكانت الناصرة حاضرة يؤمها القرويون فيجدون ما يطلبون.

وفي (تاريخ الناصرة) المطبوع سنة 1924 ذكر المؤلف أسماء أسواق الناصرة على النحو التالي:

1- **ساباط الشيخ:** والساباط: سقيفة بين دارين، تحتها طريق، وهذه السوق ليست متخصصة، نجد فيها (الخواجات) باعة المنسوجات، والخياطين والنجارين وغيرهم.

2- **سوق الشيخ:** ونجد فيه الخواجات باعة المنسوجات، والساعاتية والعطارين والسنكرية والحلاقين وغيرهم.

3- **سوق الصباغين،** متصلة بسوق الشيخ من الشمال.

4- **سوق دار فرح:** وهي فرعان: فرع من سوق الشيخ إلى مخازن سوق وقف البروتستانت،وفيه باعة الألبسة وصنّاع الأحذية وغيرهم. وفرع من سوق الشيخ إلى سوق الخضرة وتجد فيها بائعي الخضر والإسكافية وغيرهم.

5- **سوق البروتستانت:** من فرع دار فرح الأول إلى الجرينة.

6- **الجرينة:** ساحة جنوبي وقف مدرسة البروتستانت، يباع فيها كل أنواع الحبوب والخضار والبقول، وفي الدكاكين المحيطة بها أيضًا الحبوب والعطارون وقوالب الطرابيش.

7- **سوق القهاوي والخمارات،** وهي متصلة بالجرينة إلى الجنوب الغربي وتجد فيها أيضًا الحلاقين وغيرهم.

8- **سوق الخضرة:** وفيه باعة الخضرة والجزارون وباعة السمك والمطاعم،والعطارون.

9- **سوق الصياغ (الصاغة)** عن يمينك وأنت نازل من سوق الخضرة إلى سوق ساباط الكاثوليك، وتجد فيه الخياطين والمقاهي والنحاسين.

10- **سوق الخواجات:** أهم أسواق المدينة للمنسوجات.

11- **سوق الأساكفة** (السكافية) شمال سوق الخواجات.

12- **سوق المواستية والحدادين:** يمين سوق الخواجات، فيه الحدادون وتجد النحاسين والفرّائين، والسروجية والصباغين.

13- **سوق النجارين:** شمال غربي (الكازنوفا) وكان مخصصًا لنجاري المحاريث، ثم تحول إلى مساكن أو أُدخل في الكازنوفا وفي ملك راهبات الناصرة.

14- **سوق الخان:** بجوار خان الباشا حيث محطة العربات.

البيوت في الناصرة: أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

قالت فرنسيس نيوتن في كتابها (خمسون عامًا في فلسطين): البيت - في الناصرة - غرفة من المدر (الطين) والسقف مُدَّ على روافد من جذوع الشجر. فإن كان كبيرًا حملت الروافد على جسرٌ بين حائطين، والأرض أيضًا من الطين، وقد ارتفع ثلثاها دكة يُقال لها (المصطبة). شقة لربّ البيت وعياله وخصّ الثلث لحلاله من بقر أو جمال أو خيل وحمير وديوك ودجاج وحمام، فالجميع تحت سقف واحد. وبحافة إفريز الدكة المذاود. وبفضل من العناية كنسًا ورحضًا بالماء بلا توانٍ، يعيش (القومان) من بشر وحيوان على ما يُرام من النظافة وبركاتهاً.. فإذا أصبحوا خرجت المواشي إلى الحقل، للحرث أو للرعي، فتعود مع المساء.

وفي كتاب (ولاية بيروت) أواخر العصر التركي، جاء ما يلي:

(جميع الدور في الناصرة مبنية على الطراز الحديث، يدخلها الهواء والضياء ويجدر بنا أن نسمي الناصرة، بالبلدة البيضاء، لأن الأقسام الخارجية من الدور مبنية بالأحجار المالطية المنحوتة، وتُرى

أخشاب النوافذ الملَوّنة كأنها أزهار متفتحة، وفي الناصرة دور مبنية من طابقين).

وفي كتاب (تاريخ الناصرة) المطبوع سنة 1924 جاء ما يلي:

(البيوت الحديثة تسقف بالخشب المجلوب من خارج المدينة أو القرميد وهي مزيج من الكلس والحصى فتدوم طويلاً ولا ينبت عليها عشب بخلاف الطين. والناصرة الآن فيها من الأبنية الفخمة ما يضاهي أبنية المدن الكبيرة، وبعض القائم منها في سفح الجبل مبني أمام جرف، فصار طبقة واحدة من جهة الجبل وطبقتين أو أكثر من جهة الواد، وبما أن أسفل وادي الناصرة في الجنوب وأعلاه في الشرق وهو ضيق من أسفله واسع من أعلاه فيتكون في الجبل الغربي وسفوحه شبه دائرة. ولم تكن مساكن الناصرة مرقّمة قبل الحرب العالمية الأولى فرقمتها البلدية بعد الاحتلال الإنجليزي).

اخلاقٌ وازياء في تاريخ النّاصرة

قلتُ: في تاريخ الناصرة، يعني أنها (كانت) في مُدّة من التاريخ، أو كان بعضها، فالأخلاق كالأزياء (الملابس) سريعة التبدل والتغيّر، وقد لا تنتظر القرن من الزمان، وإنما تتبدّل في عقد، أو عقود من الزمان. بل نشاهد التغيّر بين الأصل والفرع في البيت الواحد. ففي القرى تجد الأُم تلبس الثوب الفلاحي الموروث، وتجد ابنتها تمشي بجوارها تلبس الزيّ الوافد من المدينة. و تجد الوالد يلبس العمامة والشروال أو القمباز، وبجواره ابنه يلبس البنطال حاسر الرأس.. وما قلناه في الملابس ينطبق على السلوك والخلق..

وقد ذكرتُ هذه المقدمة لأقول: إن الأخلاق والأزياء التي نصفها هي في حكم (باعتبار ما كان) أو كان (بعضه) وبقي بعضه. وأما (الحاضر) فله وصف خاص.

ويؤرخ القسّ أسعد منصور لأخلاق أهل الناصرة كما عايشها في العقدين الأوليين من القرن العشرين، فيقول:

(الناصريون) (جمع ناصريّ) وباللغة الدارجة (نواصرة): هم أشدّ سكان فلسطين عصبة (ويراد منها عندهم «حمولة») وهذه الصفة

تقودهم إلى ما يُشْتَمُّ منه رائحة (الاحتقار) لغيرهم. كقولهم (شوافنة) لأهل الشمال. و(قبالوة) لأهل الجنوب، ولا يقطع أحدهم عصبته فثبت فيهم روح الإقدام والكرم، ومع إكرامهم للضيف، فهم مقتصدون لقلة مصادر الثروة عندهم. وهم أُمناء في معاملتهم التجارية، واسم تاجرهم شريف. وقد صاغهم الإقليم حتى صاروا مثل كلّ سكان الجليل قديمًا وحديثًا. إذا تكلموا، جهروا، وقلما يستطيع أحدهم أن يتكلم بصوت منخفض.

ولهم مثل أكثر الجليل لهجة خاصة مثل (خيّا وخيتا) بدلاً من (أخي وأُختي) ومثل استعمال ضمير المؤنث (هِنّ) (بكسر الهاء والنون) للمذكر والمؤنث. ولهم لهجة خاصة في لفظ بعض الحروف، وهم فيها ثلاثة أقسام.

فالبعض يلفظون (القاف) كافًا مخففة. وبعضهم يلفظون القاف همزة. وبعضهم يلفظون الكاف همزة، فيقولون: (أيف حالك) بدلاً من (كيف حالك) وبعضهم يلفظون القاف كالجيم المصرية.

ويكثر في لغة أهل الناصرة إلحاق (أل) التعريف بالأعلام التي لا يجوز إلحاقها بها لغويًا. مثل (الجريس، واليوسف، والحنا، والسمعان).

قال أبو أحمد: وسوف نرى تبدلاً في هذه الأخلاق فيما بَعْدُ: ذلك أن العصبية للحمولة التي كانت سائدة في أواخر العصر التركي، أوجدتها الحاجة إلى الأمن في غياب سلطان الدولة، بل غياب الدولة عن رعاية المجتمع، وانهماكها في جمع الضرائب، فبعد أن طغى الإنجليز وبغوا،

واستنسر البغاث (الصهاينة) في حماية الإنجليز، تحولت العصبية للحمولة إلى العصبية الوطنية، لأن الطوفان كان يقصد جميع العرب الفلسطينيين أهل القرى، وأهل المدن على السواء..

وفي أعقاب النكبة سنة 1948، آوى إلى الناصرة ألوف من أهل القرى التي هُجّر أهلها، فتكون مجتمع ناصريّ جديد، وخُلقت فيه روح جديدة، روح المقاومة أمام الغزو اليهودي الذي سعى وما زال يسعى لطمس الهويّة، والفصل بين الجذور والفروع والإزالة الماحقة لكل ناطق بالعربية، ويوم الأرض الذي يجدد الثورة في نفوس العرب كلّ عام، هو عنوان الوحدة، وعنوان التغيّر الاجتماعي الجديد. الذي جمع العرب تحت شعار واحد: التشبث بالأرض أو الشهادة وإرواء ثرى الأرض بالدماء.

المـرأة الناصريـة

(كانت) نساء الناصرة من أجمل نساء العالم وأكثرهن معونة لأزواجهنّ. فإن لم تعمل في شغل (الدانتيلا) الرائعة أو تطريز الحرير، فهي تخرج مع زوجها إلى الحقل، وعلى رأسها سرير الطفل ليستنشق الهواء الطلق، وربما كان حظه منهن عنايتها أُرجوحة بين فرعي زيتونتين، تغنيه عن السرير. وما نصيب المرأة من الزراعة إلا ما خفّ عناؤه كالبذر من قمح في الثلمِ أو التعشيب، ولها دورها وقت الحصاد. وبعد البيدر نجد للنساء أعمالاً وأشغالاً: فمن طوال القش تحيك صناعُ اليدين سلالاً وأطباقاً. وتبقى خميرة صغيرة ليخمر العجين كله. وبعد أن تطمئن الناصرية إلى تخمّر عجينها، تتنفس الصعداء وتطلب البركة قائلة: (عجنتك وتعبت بيك (بك) ربّ السما يبارك فيك، منك غدا، ومنك عشا، ومنك زوادة للطريق) والعذارى الناصريات دقيقات أنيقات في الأشغال اليدوية.

الأزيــاء (الملابــس)

الأزيـاء: جمع (الزِّي) بكسر الزين وهو اللباس، والـهيئة،والشارة، والمنظر. ولكل أُمة لباس ذو هيئة خاصة تتميّز به، إذا رأيت أحد أفراد هذه الأمة، قلت: إنه من الأُمة الفلانية، تعرفه من لباسه. وهذا الزِّيُّ قديم في الأُمم. قال الله تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ (مريم: 74) وقرئ: (هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَزِيًّا) بالزين: يعني الـهيئة والمنظر، وهو معنى (ورئيا) بالراء.

والعربُ تقول: قد زيّيتُ الجارية، أي: زينتُها وهيأتها، فإذا رأيتها قلتَ: إنها عروس..

وتتعدد الأزياءُ في داخل الأُمة، وفي الإقليم. قال الراجز العربيّ:

ما أنا بالبَصْرة بالبَصْريّ　　　ولا شـبيه زِيّهـم بـزِيّي

.. وتتشابه الأزياءَ في البلد الواحد في أشياء، وتنفرد في أشياء، ولكن مجموعها لا يخرج عن الطابع أو الزي العامّ الجامع.. فتقول: هذا زيّ فلسطيني من المجدل، أو من بيت لحم، أو من صفورية..الخ والزِّيُّ

للأُمة عنوان وجودها، ودليل قِدمها ورمز وحدتها.. وفيه معنى الانتماء،وحبّ الوطن.. وهو الهويّة الوطنية. وتنبهت الأمم والشعوب إلى أهميته، فأخذت تحيي مواته وتجدد حياته وتقيم له المعارض..

والعدوّ الصهيوني الذي اغتصب أرضنا، يعمل على اغتصاب تراثنا حيث يجمع كلّ ما له علاقة بفلسطين من أغان ورقصات شعبية وحكايات وآثار وأكلات شعبية وملابس وطنية وينسبها لنفسه، ولذلك اتخذت شركة (العال) قرارًا بتوحيد زيّ مضيفاتها باختيار الثوب الفلسطيني ليقولوا للعالم إنه تراثهم..

فاقتضى الأمر تدوين صفات الزيّ الفلسطيني للناصرة وقضاء الناصرة: وأقدم ما وصل إلينا عن أزياء أهل الناصرة يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر، وربما لم يختلف عما قبله كثيرًا، فكادت تكون أزياء أهل فلسطين - خصوصًا في داخل البلاد قبل اختلاطهم بالغربيين - واحدة، ثم أخذت بعد ذلك تتنوع.

لباس المرأة:

تاريخيًا كان لباس المرأة (الصمادة) و(الزربند) تلبسه المرأة على رأسها. وهو شقة من الحرير مخططة خطوطًا تكون غالبًا بيضاء ضاربة إلى السواد، أو حمراء أو صفراء، طولها أربعة أمتار وعرضها نحو نصف متر، تطوي المرأة أعلاه مزدوجًا وتضعه فوق (الصمادة) - من حلي المرأة - وتغطيه بمنديل، مرسلة إياه على ظهرها. وتشده على وسطها

بزنار، تاركة جزءًا منه منسدلاً فوق الزنار حتى يغطيه، ومن ثم ترسله تحت الزنار حتى القدمين.

والعصبة: و هي منديل تطويه المرأة طيًا عريضًا، وتتعصب به حتى يكسو أعلى الصمادة، وترسله إلى الخلف تاركة أحد طرفيه أطول من الآخر بقليل.

والجلاية: وهي جبة طويلة من نسيج قطني، مشقوقة من الأمام، ذات كمين قصيرين ضيقين، لونها في الغالب نيلي. ولعلّ الجلاية مأخوذة من الجلوة، وهي ما يعطيه الزوج عروسه عند الزفاف. وتطلق كلمة (جلوة) في القرن العشرين على الاحتفال الذي يقام ليلة العرس، وبحضرة العريس.. وفي هذه الليلة ترقص العروس أيضًا بعد أن تغير ملابسها قبل كل رقصة. وأُطلقت كلمة (جلاية) بعد الثلاثينات من القرن العشرين، على فستان العرس.

والدامر: (محرف طومار بالتركية - بردعة الفرس) وهو جبةٌ قصيرة تصل إلى الوسط فقط. كُمّاها بطول كمي الجلاية أو أقصر قليلاً وتكون غالبًا من جوخ مقلم بالقصب، وإذا زاد قصر الأكمام سميت (السلطة).

السلطة: كالدامر، ولكن كميها أقصر.

القميص: يلبس تحت الجلاية على الجلد مباشرة، ويكون أسفله فوق السروال إلى ما تحت الركبتين.

والسروال: ويعرف باللباس، والشنتيان، ويُقال له تأدبًا (نصف كسوة). وهو كساء ضيق أشبه ببنطلون واسع، لونه أبيض أو نيلي، مقلم على الرجلين بالحرير أو القصب.

الزنار: على أنواع كثيرة، وهو من نسيج بسيط، أو مقلم أو من فضة وذهب.

والحذاء: أنواع كثيرة، أشهرها (البابوج) يكون غالبًا من جلد أصفر يكسو مشط القدم، له من خلفه إطار علوه نحو قيراط، وكعبه حديد يشبه حذوة الفرس.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر استبدل بالجلاية (القمباز) ويختلف عن الجلاية في أن قماشه أنعم،وألوانه أكثر تنوّعًا والفتحات على جانبيه أطول.

كما حدث تغيير في (السروال) إذْ أصبحت المرأة تلبس شروالين تزم أحدهما وتربطه تحت الركبة وتنزل الآخر بدون زمّ، فيتدلى أعلاه على الساقين بشبه دائرة تدعى (فرّارة) واستبدل بالدامر أو السلطة جلباب قصير الأكمام من جوخ مطرز عرف بالعباءَة.

وفي أوائل القرن العشرين - بسبب الموجة السياحية، وتغيّر وسائل النقل والاختلاط بالغربيين - أُلغيت ملبوسات كثيرة منها (الصمادة ، والدامر، والعباءَة والزربند، والعصبة، والقمباز). ومن غطاء الرأس حوفظ على الحطة ومن حولها العَصْبة، ثم أُلغيت الأخيرة واستعيض

عنها بـ (البشنيقة) وهي منديل (بأُوية) والأوية: إطار أو كنار يحيط بمنديل ناعم مزخرف وتكون من شغل الإبرة وتأتي بأشكال الزهور المختلفة ذات الألوان الزاهية، ومن فوق المنديل أو البشنيقة، يلبس الشال، أو الطرحة، وكلها أوشحة من حرير أو صوف.. ومما جدّ من الألبسة: الكبوت والجاكيت والفستان على أنواعه، والسروال الأصفر أو الأبيض والأحذية الإفرنجية من جلود ناعمة.

حليّ النساء:

الصمادة: هي كيس أسطواني يُحشى بمواد لينة كالقطن، ويُدعى هذا الكيس (مقرعة) ثم يُحنى حتى يحيط بالرأس ويتدلى قليلا تحت الذقن، وتخاط على الجهة الخارجية منه مسكوكات أطرافها مثقوبة، وقائمة على حروفها وعددها 200 - 400 قطعة، وفي مؤخرتها قطعة قماش تكسو مؤخرة الرأس تُخاط فيها المسكوكات أيضًا.

الصفة: كانت قطعة نسيج تُخاط بها مسكوكات ذهبية وتوضع في أعلى الصمادة فوق الجبهة.

الكرامل (القرامل) ما تشدّه المرأة إلى شعرها، وهي ست كرات من فضة، مفرغة بحجم الجوزة، ويعلق في أسفل كلّ كرة سلاسل وبنود حرير تضفر المرأة بها شعرها.

الشوكة: قطعة من فضة أو ذهب تشبه فقاعة الماء ذات ثقوب وفي وسطها حجر ثمين وعلى محيطها سلاسل في أطرافها نقود، تناط حول العنق بسلسلة.

الدمالج: هي أساور فضية عريضة تلبس في العضد، وقد تناط بها كرات تحدث صوتًا عند الحركة.

الأساور: على أنواع كثيرة، من فضة أو ذهب، عليها بعض النقوش ويعرف منها (المكويج) و(السليتات) ومنها ما يكون من زجاج فيعرف (بالغويشات).

الخلاخيل: هي أساور الرجلين، ويناط بها ما يحدث صوتًا عند المشي.

الكتاب: هو صورة كتاب من فضة بحجم الكف تقريبًا تعلق بأطرافه مسكوكات ويناط بالعنق ويرسل إلى الصدر أو إلى أحد الجانبين، وقد توضع فيه آيات من القرآن أو التعاويذ، للمسلمين، وبعض آيات الإنجيل للمسيحيين.

القلائد: وهي أنواع كثيرة، من كهرمان ومرجان وخرز بسيط، أو مسكوكات تسمى (براغيث الست).

الكردان: اسم فارسي يعني (العقد) وهو قطع صغيرة من ذهب، تثقب عرضًا وتنظم في سماط يحيط بالعنق.

.. **ومن الحلي:** الخواتم، والحلق، والطوق، وهي معروفة.

الفرق بين زي المتزوجة والعذراء:

ومما تجب ملاحظته الفرق في الزي بين المتزوجة والعذراء. فالمتزوجة تعصب العصبة،والعذراء لا تعصبها. ويندر أن تلبس العذراء

(صمادة) وإذا لبستها تكون نقودها أقلّ قيمة من نقود صمادة المتزوجة،وتطرح عليها منديلاً يُدعى (بزما).

وبالإجمال: إن العذراء لم تكن تتبرج كالمتزوجة.

وكان عقاب البنت الزانية الموت. ففي سنة 1225هـ خنق علي آغا ست بنات عاهرات في الناصرة وأمر بطرحهن عاريات على مزابل الناصرة وبسبب هذا انقطع تواجد العاهرات في عكا اللاتي كنّ يترددن عليها في زمن الجزّار. (عن كتاب/تاريخ ولاية سليمان باشا لإبراهيم العورة).

زِيّ الرجل:

وأشهر ما كان يميز الرجال قديمًا، هو إطلاق اللحى، وكان بعضهم لا يجرّ موس على ذقنه كلّ أيام حياته. وندر أن يوجد رجل تجاوز سن الأربعين ولا يطلق لحيته.

ومفردات الزيّ بعد اللحية:

العمامة: أو (العِمّة) أو (الطبزية) أو (الكفّية).

قماش يلف على الرأس فوق طاقية أو طربوش. وكان الرجل المسلم يعتمّ بالعمامة البيضاء، أما المسيحي فكان يعتمّ بالسوداء أو الصفراء. قال أبو أحمد: وهذا التميز في اللباس، بين المسيحي والمسلم، لعله كان اختيارًا فلكل قوم أن يختاروا ما يشاؤون من اللباس.. وعند المسلمين اختيارات فالرفاعية يلبسون العمامة الخضراء مختارين، كما يلبسها أيضًا المنتسبون إلى الدوحة الهاشمية.. وعند الشيعة، يلبس

المنسوبون إلى الحسين العمامة السوداء، ويلبس غيرهم العمامة البيضاء.

أما إن كان لباس المسيحي العمامة السوداء أو الصفراء مجبرًا، فهو من البدع التي اخترعها السلاطين وأعوانهم، ولا نجد لها أصلاً في القرآن، ولا في السنّة النبوية، فلم نعرف أن رسول الله فرض على اليهود في المدينة زيًّا معينًا.

الشطفة: طربوش يخاط على حافته زان (زيف) من الحرير ويكسر إلى الوراء إلى جهة اليمين، ويكون على الزيف قطعة نسيج حمراء تسمى (حرشة) وفوقها منديل يدعى (السمك بالشبك) كان يلبسها المسلم والمسيحي، إلى أن منعها عبدالله باشا.

والحطة والعقال: معروفان مشهوران.

الطاقية العراقية تلبس تحت الطربوش.

الحطة: ويلبسها الأحداث وحدها وتكون غالبًا مطرّزة.

القنباز: أو (الغنباز) بالغين، أو (الكبر) أو (الدماية): وهو رداء ضيق من الأعلى يتسع قليلاً من الأسفل، مشقوق من الأمام، ويرد أحد الشقين على الآخر، كما أنه مشقوق من جانبيه إلى الزنار.

المنتيان: قميص أبيض قطني يُلبس تحت القنباز.

السروال: يزم عند الوسط بدكة، وهو طويل يكاد يلمس الحذاء.

الصدرية: مثل المنتيان، ولكنه بدون أكمام ويلبس فوق القنباز.. وتزرر بأزرار.

الشريحة: سير عريض من جلد، يكون مزدوجًا على محيط الرجل.

والحذاء: ويعرف غالبًا (المداس).

والعباءَة: وهي أنواع؛ وألوان متعددة.

.. ثم تطور لباس الرجل، فقلّ لبس العمامة، وكثر لبس الطربوش المغربي، وصار يلبس اللباس والشروال بدون قنباز، ويلبس على الصدر الصدرية أو الدامر ويشد الوسط بزنار من قطن أو صوف أو حرير.. وبعد ذلك أُبدل الطربوش المغربي بالإسلامبولي (التركي) ويسمى البابوري.. وأخيرًا غلب الزي الفرنجي المشهور. وعلى الإجمال، فلباس الرجل كان عبارة عن قنباز مشوق وعباءَة وكفية وحذاء.

ولباس النساء قنباز مفتوح من أطرافه الثلاثة وزنار كبير وغطاء رأس. وهذا لباس السكان التقليديين.

من عادات الزواج القديمة

(كان) فيما مضى: عند الزواج، تخبر البنتُ عن عريسها، ولا تستشار، ولكن يوصف لها. ويتمّ الاتفاق على عدد (الخلعات) من العبي (العباءات) للأب والأخ والعم والخال قبل الخطبة. وبعد الخطبة تذهب قريبات الرجل لزيارة الخطيبة، وتُهدى نقودًا أو حُليًا تسمى (الشوفة) وتحسب من المهر. وهدايا الخطيب في الأعياد والمواسم لا تحسب من المهر. وهذا نصّ عقد نكاح بتاريخ 30 من ذي الحجة سنة 1240هـ - 1825م.

(بمجلس الشرع الشريف قد أجرينا عقد المرأة الخلية من العيوب الشرعية خضراء المصرية العكاوية على الرجل الرشيد السيد أحمد شلبي المصري القاطن سابقًا في (سمونية) - قضاء الناصرة - على مهر قدره مائة قرش الحالّ منه (المقبوض) المعجّل سبعون قرشًا واصل الزوجة. وهو: حمارٌ بأربعين قرشًا وثلاثون قرشًا نقدًا. ومؤخر الصداق ثلاثون قرشًا باقيًا في ذمة الزوج، وصار العقد عليها مستوعبًا الأركان المعتبرة شرعًا).

والإنجاب هدف رئيس من الزواج، فماذا يكون عند الولادة:

(كانت) الداية - القابلة - هي الطبيب والممرضة التي تلجأ إليها المرأة الريفية والمدنية، وكانت لها منزلة كبيرة وخصوصًا إذا اشتهرت، بمهارتها وقدرتها على التشخيص والعلاج.

وكان لكل عائلة قابلة معينة، تأتي وكرسيها معها، وبعد انتهاء الوضع وجلوس النفساء على الفراش، يأكلون (العصيدة) وتسمى لقمة الخلاص المصنوعة من طحين مطبوخ أو سميد يحرك على النار حتى يشتد قوامه ويصب في إناء ويحفر في وسطه حفرة يوضع فيها السمن والعسل والسكر، تغمس فيه اللقم.

وتملح القابلة المولود في الأيام الثلاثة الأولى، وفي الأيام الثلاثة التالية تدهنه بالزيت، وفي اليوم السادس تلصق الخميرة في الحائط فوق رأس النفساء، وتزين بالزهور.

وفي اليوم السابع: تغسل القابلة المولود ويدعى غسله أول مرة (فتح الرأس وبعْد غسله تمزج قليلاً من العطورات بماء وتسقيه منه وتدهن يافوخه وأنفه ومفاصل جسده، لئلا يشمّ رائحة أُخرى شديدة تضره ويكحل المولود من يوم ولادته بكحل أسمر، ويقمط بقماط يقي جسمه من الاهتزاز عند الحمل، كما يقيه من البرد.ويوضع عند النوم في (مرجيحة) أو سرير يُهزُّ به، فيتعود الهزّ، فلا ينام بعدها بدونه وإذا كان الوالد في البيت، يأتيه البشير فيأخذ (حلوانًا) إذا كان المولود ذكرًا..وعندما يذهب الأصدقاء للتهنئة يأخذون معهم هدايا من سكّر أو أرز، أو دراهم تُسمّى (النقوط) وكلٌّ، أو جلّ ما ذكرناه، أضحى في ذمة التاريخ.

النشاط البشري في الناصرة

1- النشاط البشري قبل ميلاد المسيح:

وصلنا إلى القول فيما سبق من الكلام، أن بقعة الناصرة، وضواحيها القريبة كانت مأهولة بالسكان بدليل أن (آل عمران) قوم مريم كانوا يسكنون البقعة وما حولها.. وذكرنا أدلة أُخرى على وجودٍ العمران البشري.. ربما كانت البقعة تابعة إلى غيرها - كصفورية مثلا - وأن اسم الناصرة لم يوضع بَعْدُ.. وتكون البقعة أخذت اسم (الناصرة) بعد ميلاد المسيح. وليس ببعيد أن يكون اسم (الناصرة) من الفعل: (نصر) لأن أنصار عيسى وحوارييه كانوا منها ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ (الصف: 14). وقد تكون من الفعل (نذر) وفي القرآن حكاية قول أم مريم ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ (آل عمران: 35) وكانت أُم مريم تسكن هاتيك البقاع.. ولعلّ الناسَ كانوا يلقبونها (الناذرة).

2- الناصرة بعد الميلاد:

وسواءٌ وُلد المسيح في الناصرة، أم في بيت لحم فإنه أمضى طفولته وشبابه في الناصرة، ومنها انطلقت دعوته في الجليل ولكن الناصرة أخذت تنمو وتتقدم، وتستقل بوصفها قرية أو مدينة بعد تنصير الملك قسطنطين (306 - 337م) فبنيت فيها الكنائس والأديرة، وأمّها الكثيرون للإقامة، والزيارة والتبرك ببقاعها.

3- وفي سنة 13هـ - 634م

عادت الناصرة إلى حوزة العرب المسلمين على يد شُرَحْبيل بن حسنة، فاتح شمال فلسطين. وفي التراتيب الإدارية قسمت فلسطين إلى قسمين: الشمال (الجليل) مع شمال الأردن وكان يسمى جند الأردن، وقاعدته طبرية. فكانت الناصرة من جند الأردن. وأما (جند فلسطين) فكان يشمل جنوب فلسطين مع جنوب الأردن. ولم تُذكر الناصرة في أسماء البلاد (المفتوحة).. لأنها لم تكن من حصون الروم، ولم تكن قاعدة عسكرية، وكانت قرية صفورية - على بُعْد خمسة كيلومترات منها - من عواصم الروم التي يتحصنون فيها، ويعرف المسلمون أن الناصرة من مراكز العبادة، ومساكن الرهبان، وكانت وصية أبي بكر لجيوش المسلمين ألا يهيجوا الرهبان في صوامعهم.

وفي سنة 670م (بداية العصر الأموي) روى بعضهم أنه كان في الناصرة كنيستان.

وفي سنة 750م زار الناصرة أسقف إنجليزي فوجدها قريةً فيها كنيستان إحداهما على العين، والأخرى في مغارة، تدعى (بيت العذراء) وهذا التاريخ يتفق مع أواخر العصر الأموي. وقوله: (فوجدها قرية) يحقق أنها كانت آهلة بالسكان، غير العاملين على خدمة الكنيستين.

وفي سنة 808م (أيام هارون الرشيد)، ذكر تقريرٌ أنه كان يوجد بالناصرة ديرٌ، واثنا عشر راهبًا. وعلى بُعد ميل منها - في المحل الذي أراد اليهود أن يطرحوا المسيح عنه - دير وكنيسة، تذكارًا لمريم أم عيسى فيهما ثماني راهبات. وهذا التقرير يتحدث عن الأماكن الدينية فقط، ولا يتحدث عن القرية وسكانها خارج الديرين والكنيسة.

وأقدم المصادر العربية التي ذكرت (الناصرة) كتاب (الإنجيل) وقلتُ: (المصادر العربية) لأن الإنجيل نزل على نبيّ عربي، هو عيسى. وكُتب باللغة العربية الآراميّة.. وسوف يفاجأ القارئ بقولي: إن عيسى عربيّ.. وربما يكون هذا المؤلف أول مَنْ نقل عروبة عيسى. ولكن الحقائق والوقائع الجغرافية والتاريخيّة تشهد لهذه النسبة (عيسى ابن مريم العربيّ). فعيسى عربيٌّ لأنه وُلد في بلد عربي هي (فلسطين)، التي تُعدُّ جزءًا من جزيرة العرب. وأُمُّه مريم، لا نعرف لها أصلاً غير الأصل العربي، لأن (آل عمران) الذين تنتسب إليهم مريم، من العرب أيضًا، وكان عيسى يتكلم العربية الآرامية، وتكلم أتباعه الأوائل - في بلاد الشام - العربية الآراميّة السريانية.. فعيسى ناصريٌّ فلسطيني، سوريٌّ، شاميّ عربي (مسلمٌ) لأن الدين عند الله الإسلام. وما حقد الصليبيون (أهل أوروبا وأمريكا) على العرب، وأعانوا اليهود - أعداء المسيح — على

العرب إلا لأن الأنبياء والرسل من العرب ونزلت الكتب السماوية في بلاد العرب. فنحن - العربَ - نزل علينا النورُ، وهدينا العالم إلى النور، ونحن أساتذة البشرية في القراءَة والكتابة والهداية.

ثم جاء القرآن الكريم، فألمح إلى ذكر (الناصرة) بنسبة أتباع المسيح إليها. وسماهم (النصارى) وهي على التحقيق جمع (نَصْري) نسبة إلى (نَصْرة) وهو اللفظ العربي العتيق (الآرامي السرياني) لاسم (الناصرة) باللفظ العربيّ المتداول. وقياسه في العربية العدنانية، على (مَهْري) نسبة إلى (مهْرة) وجمعه (مهارى) كما قيل (نصارى). وأما (نصراني) بزيادة النون، فهو نسبة إلى (نصران) .. وهو وزن معروف في العربية مثل (نعسان وعطشان..الخ.

ويبدو أن استعمال لفظ (النصارى) في الدلالة على المتدينين بتعاليم عيسى، أول ما ورد في القرآن. فلم يرد في نصوص الجاهلية العربية هذا الاستعمال. كما أنَّ الأناجيل لم تُشر إلى أتباع عيسى باسم (النصارى) مع أنها نسبت عيسى إلى الناصرة وجاء فيها لفظ (الناصريّ). كما أن الأناجيل لم تذكر اسم (عيسى) وإنما ذكرت (يسوع).

أما المؤلفات التاريخية والجغرافية العربية، فإنَّ أقدمها ذكرًا لاسم (الناصرة) اليعقوبي الذي عاش في القرن الثالث الهجري - التاسع الميلادي (ت 260هـ / 874م) وله تاريخ يضاف إليه، وكتاب (البلدان). وقد قال: إن يحيى بن زكريا كان يعمّد المعمودية للتوبة، وكان لباسه وبر الإبل، وأن المسيح جاء من ناصرة الجليل يعمده في الأردن.

ولكن اليعقوبي، لا يصف مشاهداته هنا، وإنما ينقل عن الإنجيل، حيث قال مرقس (وفي تلك الأيام جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا (يحيى) في الأردن) (مرقس / 1 / 9).

وكان المؤرخ المسعودي في كتاب (مروج الذهب) أول مَنْ نقل لنا ما شاهده في (الناصرة) حيث قال: (وقد قيل: إنَ المسيح كان بقرية يُقال لها (ناصرة) من بلاد اللجون من أعمال (جُند) الأردن وبذلك سميت (النصرانية) ورأيتُ في هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت ثخين كالرُّب، تتبرك به النصارى) (جـ1 / 63 — 64) .

الناصرة بين الاحتلال الصليبي والفتح الإسلامي

بَعْد أن تمَّ للصليبيين الاستيلاء على القدس سنة 1099م دفعوا جيوشهم إلى منطقة الجليل في شمال فلسطين، فاستولوا عليها وأقاموا تنكرد) حاكمًا عليها. ووضعوا حاميات في بعض بقاعها مثل: بيسان طبرية والناصرة وغيرها. وشرع تنكرد في تجديد الناصرة، فبنى فيها لكنائس، ونقل إليها أَسقفية بيسان، هي المرة الأولى التي تُجعل في لناصرة (أسقفية)[1].

وفي سنة 1140م انعقد في الناصرة مجمع لفض النزاع بين البابا يكتور الرابع، والبابا إسكندر الثالث، وكانا يدعيان حقّ الخلافة على رسي البابوية، فحكم المجمع لاسكندر الثالث، وألغى دعوى فكتور. بينما كان (بلدوين الرابع) ملك بيت المقدس الصليبي، معسكرًا في سفورية في عام 1182م، مرض مرضًا شديدًا.. فعُقد مجلس في الناصرة

1) أسقف: محرفة من الكلمة اليونانية (أبسكوبوس) التي تعني (المشرف) ومن مؤهلات الأسقف أن يكون قادرًا على أن يُعلِّم الآخرين، وله صيت حسن والأسقفية هي وظيفة الأسقف أو المشرف.

حول فراش بلدوين، وفي ذلك الاجتماع فوّض الملكُ صهره أن ينوب عنه في تدبير أمر المملكة.

وفي عام 583هـ / 1187م كانت موقعة حطين التي هُزِم فيها الصليبيون بقيادة صلاح الدين يوسف بن أيوب.

وبعد موقعة حطين استولى مظفر الدين كُوكُبُوري[1] على الناصرة.. وأظهر صلاح الدين عطفًا على سكان الناصرة، فلم يمسّ كنائسهم وعين اثنين من رجال الدين في كل من كنيسة (القيامة) بالقدس. وكنيسة المهد في بيت لحم وفي كنائس الناصرة، إلى جانب مَنْ كان في تلك الكنائس من رجال الدين المسيحيين.

بقيت الناصرة بيد المسلمين بَعْد موقعة حطين. وبَعْد صلح الرملة 1192/9/2 وحسب معاهدة سنة 1229 التي عُقدت بين الملك فردريك الثاني، والملك الكامل، عادت الناصرة إلى الصليبيين وبعد ذلك أخذت

---

(1) هو ابن زين الدين علي بن بكتيكين. تولى مملكة إربل بعد موت أبيه ولكن عُزل لصغر سنه، ومُلّك أخوه يوسف. ولما شبَّ اتصل بصلاح الدين فكانت له مشاهد مشهورة في الحرب. فزوجه اخته الصغرى (ربيعة) وبعد وفاة أخيه يوسف أعطاه صلاح الدين مملكة (إربل) وكان ملكًا جوادًا توفي سنة 630هـ.
وكان أخوه يوسف قد حضر هو وجنده لنجدة صلاح الدين في عكا. وفي تلك الأثناء مرض يوسف في (شفا عمرو) فاستأذن صلاح الدين في العودة إلى بلاده فلم يُؤذن له. فاستأذن في الانتقال إلى (الناصرة) فأذن له وأقام بها أيامًا يُمرّض نفسه، إلا أن المرض اشتدّ به وتوفي في رمضان سنة 586هـ. و(كوكبوري) كلمة تركية بمعنى (ذئب أزرق).

تتبادلها أيادي الطرفين، تارة يستولي عليها المسلمون، ومرة يحتلها الصليبيون.

وفي سنة 1263 هاجمها الظاهر بيبرس واستولى عليها. وذكر بعض المؤرخين أن الظاهر بيبرس هدم كنائسها وأديرتها، وقتل بعض سكانها. قال أبو أحمد: إن الظاهر بيبرس، لم يهدم الكنائس بوصفها أماكن عبادة للمسيحيين، ولم يقتل مَنْ قتل لأنهم مسيحيّون.. وإنما هدم ما هدم بوصفها قلاعًا حربية يتحصن بها الجنود المحاربون، وقتل مَنْ قتلهم لأنهم جنود محاربون.. وكانت السُّنّة الحربية لكلا الطرفين المتحاربين هَدْم البلدة إذا أرادوا الخروج منها، حتى لا يستفيد منها العدوّ إذا دخلها، وحتى لا يكون بها حصون يحتمي بها..

وفي سنة 1271 جاء الأمير إدوارد الإنجليزي (الملك إدوارد الأول فيما بعد) بحملته الصليبية الأخيرة إلى البلاد، فنزل عكا ومنها زحف إلى الناصرة فاحتلها.

وبقيت بيد الصليبيين حتى عام 1291 حيث أخرج السلطان خليل ابن قلاوون، بقية الصليبيين من عكا، كما طرد الصليبيين من الناصرة. وعادت إلى أحضان العروبة، وبقيت كذلك إلى يومنا هذا.

الناصرة في العهد المملوكي

دخلت البلادُ الشامية في تقسيمات إدارية جديدة، فكانت (الناصرة) من أعمال صفد. فذكرها شيخ الربوة المتوفى عام 727هـ / 1327م في كتابه: (نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر) حيث قال: ومن أعمال صفد أيضًا (مدينة الناصرة) وتسمى (ساعير) ومنها ظهر المسيح عليه السلام، وموضع البشارة به من الملائكة لأُمه مريم - عليها السلام - يزوره النصارى وغيرهم. وفي (التوراة) تسميتها وتسمية مكة شرفها الله، لتبين رسالتي المسيح ومحمد ﷺ، وذلك ما ترجمته: جاء الله من سيناء (يعني موسى بن عمران والتوراة) وأشرف من ساعير - وجبال الساعير يعني المسيح الناصري الذي خرج من الناصرة، وجبال الساعير، جبال الناصرة - واستعلن بفاران، وبرية فاران، يعني مكة والحجاز ونبينا محمدًا ﷺ والقرآن.

وأهل الناصرة كانوا مفتاح دين النصرانية ومنشأه وأساسه وذلك في زمن قسطنطين.

تقديرات عدد السكان

العدد	السنة
3000	1852
5900	1881
6500	1904
80000	1912
8600	1918 - 1914
7500	1922
9000	1931
14.200	1945
17.000	1948
20.000	آخر 1949
34.000	1970
55.000	1995
60700	2000

النشاط البشري في الناصرة، بعد طرد الصليبيين

ما بين أيام حطين سنة 1187، حيث عادت الناصرة إلى المسلمين، وبين أيام السلطان خليل بن قلاوون، حيث كانت آخر أيام الصليبيين في فلسطين سنة 1291 كانت الناصرة قاعدة عسكرية لا تكاد تسكنها إلا الحاميات العسكرية وذلك لتتابع استيلاء المسلمين والصليبيين عليها في هذه المدة (راجع فقرة موجز تاريخ أحوال الناصرة).. فلم تكن تسمح هذه الحال بسكنى الناس فيها.. وبَعْد أن طهّر السلطان خليل بن قلاوون بلاد الشام قاطبة من الصليبيين، عمَّ الأمنُ في البلاد، وزالت المظاهر العسكرية عن مدينة الناصرة، فتوجه الناسُ إليها وسكنوها. لقد انتهى الاحتلال الصليبي سنة 691هـ ولم يتأخر الناس كثيرًا عن التوافد إلى الناصرة وإعمارها. حيث نسبت إليها كتب التراجم أعلامًا في الفقه والأدب.. في القرن الثامن الهجري. من هؤلاء العلماء:

موسى بن ناصر الباعوني الناصري، من القُرّاء، واشتغل بالفقه والعربية، توفي سنة 797هـ. و(الباعوني) نسبة إلى (باعون) قرية من قرى عجلون في شرقي الأردن.

أحمد بن ناصر بن خليفة بن فرج الناصري (نسبة إلى الناصرة) انتقل أبوه ناصر من (باعون - من قرى عجلون) إلى الناصرة وفيها وُلد

له ولده أحمد سنة 751هـ - وهو فقيه قاض خطيب وشاعر توفي في دمشق عام 816هـ.

وإسماعيل بن ناصر بن خليفة أخو أحمد السابق.. كان شيخ الناصرة سكن صفد، وناب في قضاء الناصرة عن قاضي صفد توفي سنة 809هـ..

وقولهم في الترجمة (كان شيخ الناصرة) وقولهم (ناب في قضاء الناصرة عن قاضي صفد) يدل على أن البلدة كانت آهلة بالسكان في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

أول مَنْ سكن الناصرة في العهد المملوكي، بعد طرد الصليبيين سنة 691هـ / 1291م:

يقول المؤرخون: أول مَنْ استقرَّ في الناصرة - بعد طرد الصليبيين - هم المسلمون. وهذا أمر طبيعي، وليس سياسيًا. فالدولة إسلامية وغالبية سكان المنطقة من المسلمين..

ولكنَّ تأخر المسيحيين عن سكنى الناصرة، لم يكن بأمر من السلطان.. وإنما كان طبيعيًّا انفعاليًا نفسيًا ناتجا عن المسيحيين أنفسهم.. فهناك توافق بين (الصليبيين المحتلين) والمسيحيين العرب في الدين، وإنْ اختلفوا في الاتجاه السياسي. وربما خشي المسيحيون العرب أن يؤخذوا بذنب الصليبيين، فأحجموا عن التوافد السريع إلى الناصرة بعد تحريرها. وهذا الإحجام مبنيٌّ على الظنّ، أو التوهم، وليس له

حقيقة واقعية. ولو كان الخوف من واقع، ما بقي مسيحي على أرض الشام بعد رحيل الصليبيين. وكان الخوف من الصليبيين على المسيحيين العرب، لأن الصليبيين كانوا يرون العرب جميعًا مسلميهم ومسيحييهم، من المهرطقين.

ومع أن السكان المسيحيين قد تأخروا في استيطان الناصرة، ولكن ظلَّ الرهبان والحجاج يزورونها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، وكانت الناصرة إذاك قرية صغيرة من أعمال صفد.

وتختلف المصادر التاريخية في تأريخ بداية سكنى المسيحيين في الناصرة بعد طرد الصليبيين، فقد نقلت الموسوعة الفلسطينية (مادة الناصرة) عن الرحالة الأوروبيين أنه لم يكن في الناصرة (رهبان) في أواسط القرن السادس عشر الميلادي، وكان عدد المسيحيين فيها لا يتجاوز بضع مئات، وكلمة (بضع) من 3-9، ومعنى هذا ربما يكون عدد المسيحيين يتراوح ما بين 300 إلى 900 نسمة. وهذا العدد ليس قليلا في (قرية) ناشئة وفي أواسط القرن السادس عشر الميلادي، أي: في بداية العهد التركي. حيث قدّر عدد سكان الناصرة سنة 1852 حوالي ثلاثة آلاف نسمة.

وإذا رجعنا إلى الوراء مائتي سنة، ربما كان عدد السكان جميعًا لا يتجاوز الألفين.

وأما أنه لا يوجد رهبان، مع وجود بضع مئات من المسيحيين، فهذا قول فيه نظر.. فإذا وُجد بضع مئات من المسيحيين، فإنه يتبع هذا الوجود، وجود رهبان، قلَّ عددهم أو كثر..

وربما أراد الرحّالة بقولهم (لم يكن في الناصرة رهبان)، بمعنى الرهبان الرسميين التابعين لمؤسسات دينيّة كبرى في أوروبا، مدعومة من الدول الأوروبية.

وفي كتاب (بلادنا فلسطين جـ7 / ق / 2). قال مصطفى الدباغ - رحمه الله - (وأول منْ استقرَّ في الناصرة - بعد طرد الصليبيين - المسلمون. وفي النصف الأول من القرن السابع عشر، نزلها بعض المسيحيين، وأول مَنْ استقرَّ منهم عائلة (يامينية) وهي لبنانية من (إهدن) وبعد ذلك بمدة وجيزة جاءَت أُسرة مسيحية، روم أرثوذوكس مع كاهنها من قرية(صخرة) في شرق الأردن وحلت بجوار (الطور) أولاً، ثم استوطنت الناصرة، وهم أُسرة (الخليفيّة) وفي حاشية الكتاب ص43، نقل توقيت سكنى عائلة (يامينية) بأيام فخر الدين المعنى الثاني..

قلتُ: والذي نقله الدبّاغ فيه نظر: فالذين حددوا زمن سكنى المسيحيين بالناصرة، بأيام فخر الدين المعنى، إنما كانوا يرصدون السكنى (الرسميّة) التي تكون تحت عين حاكم البلاد، والتي تقع تحت الحماية الحكوميّة، بناءً على اتفاقات دوليّة. أما السكنى الشعبية الحرّة فقد كانت موجودة في ظل التسامح الديني الذي كان الصفة الغالبة في فلسطين..

والمعروف أن الدول الأجنبيّة كانت تتخذ من (حماية المسيحيين) ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة التركية، وتسعى هذه الدول أن

تكون مرجعية (المسيحيين) في الدول الأجنبية. مع أن فلسطين هي المرجعية الأولى للمسيحية، ونبي المسيحية فلسطيني، وحواريّ عيسى كانوا من فلسطين.. فقلبوا المعادلة، وجعلوا الأستاذ يجلس بين يدي تلميذه.

فقد ذكرت المصادر أنه في سنة 1606 عُقدت معاهدة بين السلطان أحمد الأول العثماني، وهنري الرابع ملك فرنسا، فوِّض الأخير بموجبها أن يقيم قناصل في المدن، فأخذت حالة الرهبان تتحسن.

في سنة 1620 سلّم الأمير فخر الدين بن قرقماز المعني الثاني، مغارة البشارة - في الناصرة - إلى الرهبان الفرانسيسكان.. وقال المصدر: ومنذ ذلك الوقت أخذ المسيحيون يتواردون إلى مدينة الناصرة بأعداد متزايدة. وقد وفد إليها أولاً مسيحيون موارنة، ثم مسيحيون من الروم الأرثوذكس..

ويُفهم من السياق أن وفود المسيحيين في منتصف القرن السابع عشر ينطبق على القادمين إلى المدينة من خارج فلسطين أو من خارج إقليم الجليل، أما النصارى المحليون فقد استوطنوا الناصرة قبل هذا التاريخ، والله أعلم.

وربما كان الاختلاف في الروايات حول عدد السكان، ناتج عن الاختلاف في حدود مدينة الناصرة.. وأكثر الرحالة الذين وصفوا الناصرة من المسيحيين زوار الآثار العيسويّة، وأساس الناصرة وقاعدتها (الأماكن المقدسة) فمنْ كان قريبًا ملاصقًا فهو في عرفهم من الناصرة، ومَنْ ابتعد قليلاً فهو خارج عن الناصرة.

وعلى هذا الأساس يفسر وصف أحد زائري الناصرة عام 1621 بقوله: (الناصرة قرية في سفح جبل في مكان قبيح المنظر في وادٍ ضيّق تحيط بها الجبال، أرضها قاحلة حارة لا ينبتُ فيها شجر، لكنها جيدة للحبوب، وفيها ثلاثون بيتًا منها ثمانية وعشرون للمسلمين واثنانٍ للمسيحيين، يدفعون سنويًا (2000) ليرة للأمير فخر الدين). (نقلاً عن «تاريخ الناصرة»).

ولكن هذا الوصف يخالف ما نقله القس أسعد منصور في كتابه (تاريخ الناصرة) حيث يقول: (وفي سنة 1533 - كان في الناصرة مئة بيت لا سقف لها، سكانها مسيحيون لكنهم أشبه بالمسلمين، ولم يكن فيها أحد من الرهبان).

ويريد بالبيوت التي لا سقف لها، أي: أنها معروشة بسقوف غير ثابتة، لا تحميها من المطر، أي: أنها بيوت وقتية، وأما قوله (مسيحيون) أشبه بالمسلمين أي: يشبهونهم في ألفاظهم واعتقاداتهم وأزيائهم، لتأثرهم بالثقافة الإسلاميّة،ويأتي هذا الشبه من كثرة مجاورتهم للمسلمين، فلا يبقى للمسيحي من مسيحيته، إلا ولادته في بيت مسيحي، وخصوصًا إذا لم يكن لهم رجل دين مسيحيّ يجمعهم في يوم الأحد، ويقدم لهم الموعظة الأسبوعيّة..

وقوله (أشبه بالمسلمين) ربما أراد بها الرحالة الغربيون، أن المسيحيين العرب يكرهون (الصليبيين) ويكرهون الدول الأوروبية وريثة الصليبية، وأن لهؤلاء المسيحيين العرب مشاعر وطنية عربية تشدُّ

المسيحيّ العربي إلى أن يكون مواليًا للحاكم المسلم، ويرفض التبعيّة لأيّة قوّة من خارج الوطن العربي. بمعنى أنه يدخل فيما دخل فيه أهل إقليمه.

التنظيم الإداري في الدولة التركية:

حسب التنظيم الإداري في الدولة التركية، كانت فلسطين تتبع الوالي التركي العام لبلاد الشام، ومقرّه في دمشق، وفي أواخر العصر التركي ألحق بعض فلسطين إلى ولاية بيروت.. وفي داخل (الولاية) كانت هناك (ألوية) جمع (لواء).

ولكنَّ (الوالي) أو (الباشا) لم تكن له دائمًا السيطرة التامة على ألوية، ولايته.

فالشيء الذي تريده الدولة من حكام الولايات جباية الأموال وتقديم الرجال للجيش أيام الحروب.

وكان العثمانيون يكثرون من تغيير حكام الولايات وغيرهم من كبار المسئولين ففي خلال 180 عامًا (1517 - 1697) تولى ولاية دمشق - وفلسطين كانت من أعمالها - 138 باشا.

فكان الحاكم يجتهد لجمع ما يمكن جمعه من ثروات وخيرات البلاد التي عُهد إليه بإدارتها، حتى إذا عُزِلَ كان له من المال ما يكفيه للعيش بصورة تتفق وما كان يشغله من مركز.

ولذلك أُطلقت يد الزعماء المحليين غير الرسميين، ما داموا يجمعون المال المطلوب ويؤدونه إلى الخزانة، ويقرّون بالولاء والتبعية للدولة التركية. فإذا أحسوا من أحدهم تقصيرًا في تقديم المال أو مال أحدهم إلى الاستقلال، سلطوا عليه زعيمًا محليًا آخر يحاربه، ويقضي عليه ليحل محله.

وقد وقعت البلاد الفلسطينية بين براثن عدد من الزعماء - في أثناء العهد التركي - أنهكوا السكان بكثرة حروبهم، ومضاعفة المال المطلوب من السكان، فصارت الجباية لقضاء حقّ خزينة الدولة التركية، ولإرضاء حاكم الولاية، ولإشباع نهم هؤلاء الزعماء..

وقد توالى على حكم فلسطين من شمالها إلى جنوبها، عدد من الأُسر والشخصيات مثل فخر الدين المعني، وآل طرباي، وظاهر العمر، وأحمد باشا الجزار، وأبو نبوت، وآل رضوان، وآل مكي وغيرهم. هذا غير الإقطاعيين والملتزمين. وقد عانت البلاد عناءً شديدًا من حروبهم وخلافاتهم وكان أكثرهم على اتصال بالدول الأجنبية لدعمهم.. مع ما يُذكر لبعض هؤلاء - في التاريخ الفلسطيني - من أعمال وأمجاد، ولكنهم كما قال القرآن: ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (البقرة: 219).

وقد تتابع على حكم (الناصرة) خلال العهد التركي، عدد من الزعماء: حيث دخلت تحت نفوذ أحمد بن طرباي الحارثي، وفخر الدين المعني وظاهر العمر، وأحمد باشا الجزار.

وفي أواخر القرن الثامن عشر زار الناصرة الرحالة الأوروبي (فولني) وقال عنها (الناصرة ذات الشهرة العالمية، سكانها ثلثهم مسلمون، والثلثان مسيحيّون. وللآباء الفرنسيين فيها نُزُل ومعبد، وهم عادةً ملتزمو البلدة).

نابليون في الناصرة وناحيتها

عندما كان نابليون يحاصر عكا، بلغه أن العثمانيين جهزوا جيشًا كبيرًا لنجدة (الجزار) زيادة على 7000 مقاتل من جبال نابلس تجمعت في الجليل للالتحاق بذلك الجيش. مما دعا نابليون لإرسال حملة لصد العثمانيين قبل وصولهم إلى عكا.

التقى الجمعان في يوم 1799/4/5 بالقرب من الناصرة وتمكن الفرنسيون من صدّ هجمات العثمانيين الذين كانوا يفوقونهم مرات كثيرة في العدد، واستولوا على الناصرة في اليوم التالي.

وفي يوم 1799/4/16، كوّن جند الدولة معسكرًا في قرية (الفولة) وخرج الجنرال كليبر على رأس ألفين من رجاله، ولما أشرف على (أعدائه) (وكانوا يفوقونه عددًا بنسبة 17: 1) مقابل جبل الطور فوق قريتي (إكسال) و(دبورية). انحدر إليهم ورتب جنده على شكل مربع، وما لبثت هذه المربعات أن طوقها 25.000 فارس عثماني. وظل الفرنسيون عشر ساعات يقاتلون دون توقف، وأخذت ذخيرتهم تنضب، وتأزم موقف الفرنسيين، وإذْ رجال كليبر يسمعون من مرتفع جنوبي ساحة القتال دويّ مدفع حكموا أنه صادر من مدفع فرنسي، وكان المدفع

من مدافع فرقة فرنسية قادها نابليون بنفسه لإنقاذ كليبر، وحين سمع العثمانيون المدافع أخذوا يهربون.. ثم عاد نابليون وكليبر إلى الناصرة وباتا هما وأركان حربهما الليل في دير الناصرة، وبعد أن قضى نابليون يومين في الناصرة وأطرافها، رجع إلى عكا. وأخيراً عاد الفرنسيون من الجليل من حيث أتوا، وتبع ذلك هزيمتهم أمام عكا وعودتهم إلى مصر.

الناصرة سنة 1812

نزل الناصرة الرحالة (بيركهارت) لمدة أربعة أيام، من 6/28/1812 - 1812/7/1. ومما جاء في رحلته عن الناصرة؛ قوله: (نزلت في دير إرساليات الأرض المقدسة.. والناصرة إحدى البلدان الرئيسة في المناطق التابعة لباشا عكا. وسكانها مُجدّون، لأنهم يعاملون بشدة أقلّ[1] من تلك التي يُعامل بها سكان البلدان الأُخرى بوجه عام وثلثا سكانها مسلمون، والثلث الباقي مسيحيون، وفيها حوالي تسعين عائلة لاتينية مع طائفة من الروم الكاثوليك، وأُخرى من الموارنة. والحجاج والمسافرون

(1) ربط بين (الجد) و(المعاملة بشدّة أقل) لعله يريد أن (الظلم) يقتل الهمم في الرجال،كما قال ابن خلدون: (الظلم مؤذن بزوال العمران). والظلم الحاصل أن الناس كانوا يعملون لغيرهم، يعملون ويجوعون ليدفعوا الضرائب الباهظة إلى السلطان والباشا والإقطاعي.. فيؤدي هذا إلى الكسل. أما أهل الناصرة، فيبدو أنهم عوملوا بشدّة أقلّ.. ربما كان ذلك لوجود المسيحيين فيها، أو بناءً على اتفاق مع بعض القناصل. وربما كان (الملتزمون) أرأف بحال أهل الناصرة وكان الآباء الفرنسيسيون، ملتزمي الناصرة وقراها، يؤدون خراجها للدولة، وإذا سلم الفلاحون من الملتزمين فهم في أمنٍ. وكان نزول هذا الرحالة زمن سليمان باشا العادل الذي تولى بعد الجزار (1805 - 1818).

يفدون إلى بيت يوسف النجار لمشاهدته، إلا أن الزيارة الرئيسية في الناصرة هي إلى دير الفرير (الأخوية اللاتينية) وهو بناية واسعة تفي بالمرام لأقصى حد. وفي عام 1730 رممت بكاملها ووسعت إلى حدّ كبير، وفي داخلها كنيسة البشارة التي تبدو فيها البقعة التي وقف عليها الملاك حين أعلن لمريم العذراء الأنباء السارة عن حملها بالمسيح. والكنيسة من أروع الكنائس التي شاهدتها في سوريا،وتأتي في المرتبة الثانية بعد كنيسة القبر المقدس - كنيسة القيامة في القدس - ، وتوجد ضمن أسوار الدير حديقتان ومقبرة صغيرة، والأسوار سميكة جدًا ويمكن استخدامها حصنًا يلجأ إليه جميع مسيحيي البلدة، ويقيم حاليًا في الدير أحد عشر راهبًا.

وحينما غزا الفرنسيون سوريا كان يحتل الناصرة ستمائة إلى ثمان مائة رجل كانت مراكزهم الأمامية في طبرية وصفد.. وقد تناول بونابرت طعام العشاء في الناصرة.

يتمتع مسيحيو الناصرة بحرية كبيرة، فالرهبان يذهبون للصيد وحدهم حسب عوائدهم مسافة تبعد عن الدير عدة ساعات، دون أن يتعرضوا لأية إهانة من المسلمين وقد قيل لي: إنه منذ ثلاثين عامًا (1782) كان الأب الحارس للدير هو أيضًا الشيخ أو قاضي الشرع الأول في البلدة. وهو منصب كان يدفع لإشغاله مبلغًا سنويًا معينًا كل سنة لباشا عكا.

إنَّ الرجل الأول في الوقت الحاضر (عام 1812) في الناصرة هو م. كتافكو وهو من أصل إفرنجي مولود في حلب. وقد استأجر من الباشا

اثنتي عشرة قرية في ضواحي الناصرة، بالإضافة إلى سهل مرج ابن عامر ويدفع أجرة سنوية مقابل ذلك تربو على (3000) جنيه إسترليني وأرباحه من ذلك كثيرة جدًا، لأنه يتداخل كثيرًا في سياسات ومؤتمرات البلاد، فقد أصبح ذا شأن كبير.

في عهد محمد علي باشا المصري:

دخلت بلاد الشام، ومنها فلسطين تحت حكم محمد علي باشا في مصر، بقيادة ابنه إبراهيم باشا، وبقي السلطان المصري من 1831 - 1840.. وقد وصل إبراهيم باشا إلى أبواب العاصمة التركية إسطنبول، ولكن روسيا وإنجلترا، أعانت الحكومة التركية على حرب الجيش المصري فخرج جيش محمد علي وانحصر حكمه في القطر المصري.

وشهدت الناصرة والبلاد كلها عهدًا من التسامح الديني في مدة إبراهيم باشا، وكان عهده بداية عصر جديد من الإدارة الحديثة.

هذا وقد حرضت الدولة التركية الزعامات الفلسطينية المحلية على محاربة الوجود المصري في فلسطين، وتشير بعض المصادر التاريخية الفلسطينية إلى تحرك الزعماء إلى أنه (ثورة) على الحكم المصري.

واستعمال كلمة (الثورة) في هذا السياق خطأ مطلق. لأن الوجود المصري في بلاد الشام، وجود شرعي أعاد الأمور إلى نصابها قبل الاحتلال التركي. ووجود الأتراك في فلسطين، ليس أولى من وجود المصريين، لأن الزعامة الإسلاميّة يجب أن تكون في العرب، فهم

الأكثرية، وهم أهل الإسلام.. ويكفي دلالة على صحة وجود المصريين في الشام أن الذين كانوا يحاربون هذا الوجود هم الإنجليز والروس وهؤلاء لا يريدون خيرًا للأمة..

ويذكر مصطفى الدباغ أنه كان على رأس الذين اشتركوا من الناصرة في (الثورة الفلسطينية ضد إبراهيم باشا): علي آغا عون الله، وأخوه مصطفى، والشيخ عبدالله الفاهوم، والشيخ أحمد الزعبي.

زلزال عام 1837

في الزلزال الشديد الذي حدث في يوم 24 / رمضان 1252هـ- 1837/1/1، قبل غروب الشمس بعشر دقائق، بلغت خسائر الناصرة وضواحيها كما يأتي:

البيوت المصابة بالعطب 373

البيوت الخربة 424

عدد الجرحى 13

عدد القتلى 126

الزلزال الأشدُّ فتكًا، كان من صنع الحكام الأتراك:

الزلزال الأكبر، هو الذي حصل في زمن السلطان العثماني (خليفة المسلمين؟!) (1861 - 1879) ففي عهده سنة 1870 تأسست أول مدرسة زراعية لليهود أُقيمت على أرض منحتها الحكومة التركية لهم. وهي مدرسة (نيتر) بالقرب من يافا وأدْهى وأمرّ من هذا أنه سنة 1869 باعت الحكومة التركية، الصفقة الأولى، كلّ أرض الناصرة وبعض القرى كما يأتي:

أرض الناصرة: السهل والوعر. وقرى: جنجار، والعفولة، والفولة، وجباتا، وخنيفس، وتل الشمام، وتل نور، ومعلول، وسمونة، وكفرتا، وجيدا، وبيت لحم، وأم العمد، وطبعون، وقصقص، والشيخ بريك، منها 19 قيراطاً لحبيب بسترس، ونقولا سرسق.

و3.5 للتويني.

و1.5 لمتى فرح

وكلهم من تجار وأغنياء بيروت.

وسنة 1872 باعت الحكومة التركية قُرى أُخرى (الصفقة الثانية) وهي: المجدل، الهريج، الحارثية، الياجورة، والخريبة.

منها: 18 قيراطاً لسرسق. و4 قراريط لسليم الخوري.

قال لورنس وليفانت في كتابه: (أرض جلعاد) إن البيع جرى سنة 1872 وقد ملك الخواجا سرسق - صاحب بنك في بيروت - نحو سبعين ميلاً مربعًا من أفضل أراضي فلسطين، قيل لي: إنه دفع ثمنها 18.000 ليرة عثمانية. وقد علمت أنه لم يدخل خزينة الدولة منها إلا ستة آلاف ليرة. فالخواجة سرسق يملك الآن عشرين قرية عدد سكانها أربعة آلاف نسمة.

وشعر أهل الناصرة بعد عقد البيع أنهم أصبحوا لا يملكون إلا بيوتهم، فأخذوا يراجعون الحكومة حتى ضايقوها بكثرة شكاويهم، ففاوضت الحكومة المشترين واتفقت على أن ترجع لهم جزءًا من الثمن الأصلي ويرجعون للأهالي كلّ وعر الناصرة. فتم الاتفاق وأرجعت

الحكومة إلى المشترين (2000) ليرة عثمانية مقابل وعر الناصرة، وصدر بذلك قرار مجلس إدارة عكا.

وسنة 1910 باع سرسق (الفولة) لليهود بمبلغ (20.000) ليرة فرنساوية. وكان حينئذ شكري العسلي قائمقام الناصرة، فحاول منع عقد البيع فلم يفلح.

وحال فلاح الناصرة ليس أحسن من أرضها. فالذين يفلحون في أرض سرسق يؤخذ منهم 21٪ والحكومة تأخذ 12.5٪، أي: نحو ثلث الناتج هذا فضلاً عن الضربات البشرية: كاللصوص، في الفريك والحصاد والبيدر، والعشارين الذين تضمنهم الحكومة حقها وتطلق يدهم في الاستبداد. والمرابين لجهل الفلاح وضعفه، يمتصون البقية الباقية. أما الضربات الطبيعية فهي: قلة المطر فتجف المزروعات، أو كثرة المطر فتغرق أو تشرق. والفار، والجراد والمنّ واللفح والوباء البقري، كلّ هذه جعلت الفلاح في حالة من الفقر المدقع.

قال أبو أحمد: إن بيع الحكومة التركية أراضي القرى المذكورة، باطل شرعًا، وباطل قانونًا، سواءٌ أكان المشتري قاضي الشرع الإسلامي أو القسيس النصراني، أوِ الحاخام اليهودي. فهذه الأرض ملك للشعب الذي يزرعها، وتبقى ملكا للأجيال التالية إلى يوم القيامة.. والحكومة تكون حارسة وأمينة، ليس لها الحقّ في انتزاع الأرض من فلاح أحياها، سواءٌ أكانت مسجلة في (الطابو) أم كانت مهملة فالفلاح يملكها بعمله فيها، وشهادة الفلاحين جيرانه له بحدودها. فالذي فعلته الحكومة التركية جريمة لا تغتفر..

وهذا البيع، تأريخ وشاهد أن اليهود قوم وافدون غرباء، حصلوا على أراضي فلسطين (هبة) ممن لا يملكها. وما دفعه اليهود (رشوة) للحكام الأتراك الغرباءً أصلاً عن أرض فلسطين. وقد سبقوا في هذا (بلفور) الإنجليزي، الذي وهب اليهود ما لا يملك.

صورة الناصرة عام 1901

وصف الناصرة جورج بوست في قاموسه المطبوع عام 1901، ومما قاله: الناصرة، مدينة في الجليل، اشتهرت بكونها وطن المسيح مدة طفولته وصباه إلى أن ابتدأ خدمته. يمتدّ من جهة مرج ابن عامر شمالاً وادٍ هلالي الهيئة، طوله ميل وعرضه ربع ميل، يتسع أخيرًا فيكوّن طستًا يحيط به نحو خمسة عشر تلا، علو الواحد منها من 400 إلى 500 قدم. والناصرة مبنية فوق هذا الطست وعلى جانب التلال المحيطة به. ومن قمم هذه التلال يُرى جبل الشيخ والكرمل والطور، وجلبوع ومرج بني عامر.

وفيها من الأهالي من 6000 - 10.000 نفس. وأهلها فلاحون وبستانيون وأصحاب صنائع وتجار، وفيها عدة كنائس وأديرة ومدارس، وبيت لليتامى.

الناصرة في الربع الأول من القرن العشرين

قالت فرنسيس أملي نيوتن في كتابها: (خمسون عامًا في فلسطين)، كانت الناصرة سنة 1905 مدينة زاهرة: بندرًا وسوقًا، وفيها من الحدادين والصاغة والعطارين والبقالين والسروجيين وأصناف التجار، ما كفى حاجات الزمن. فكانت حاضرة يؤمها القرويون فيجدون ما يطلبون. وانقلب عليهم الزمان بعد الحرب العظمى الأولى بقيام طائفة من المستعمرات اليهودية في سهول مرج ابن عامر، في مكان قراه العربية. وأهالي تلك المستعمرات يتدبرون حاجاتهم فيما بينهم، فما يشتري يهوديٌّ من عربي.

والناصرة مدينة قدسها النصارى، وإليها نسبتهم، فلا غرو أن تكثر فيها المعابد، والأديرة، ومنازل الزوار.

واشتهرت الناصرة في القديم بصناعة النسيج التي تأخرت كثيرًا أو اندثرت فقد كان فيها أنوال بعدد أيام السنة وليس فيها - في الربع الأول من القرن العشرين - أكثر من نول، أو نولين لحياكة بعض أنواع الفرشات والشراشف. وإنما توجد فيها بعض الآلات الحديثة لحياكة (الكلسات) وصنع مناجل الحصاد، وسكك المحاريث.

ومن صناعات الناصرة: البناء، والمصنوعات الخشبية والنجارة، وهي أقدم مهنة عرفتها الناصرة - من أيام المسيح حيث عمل نجارًا - وإعداد الجلود وتفصيلها وخياطتها لاستعمالها كالفراء، وصناعة الفخار، وصناعة الهدايا التذكارية التي تصنع من السجاد والأوعية النحاسية وغيرهما.

الناصرة أواخر العصر التركي سنة 1917

وصف الناصرة مؤلفا كتاب (ولاية بيروت - القسم الجنوبي) المطبوع 1917 فقالا: تتألف الناصرة من سفوح تلال أربع، وتتشكل بهيئة دائرة في المركز، وتتلاصق دورها مع بعضها ثم تختبئ بين تلك التلال وكأنها لا تريد أن تُرى عن بُعْد.. ولهذا لا يمكن الإحاطة بالناصرة تمامًا، ولو بعد الاقتراب منها. وإذا خرجت على إحدى هذه التلال وألقيت نظرك على الناصرة يمكنك من هناك رؤية المجموعة لدورها وأبنيتها المبتسمة. ويمكن الإحاطة من مثل هذه المواقع المرتفعة بجميع الدور وطبقاتها وسطوحها المغطى أكثرها بالآجر الأحمر (القرميد) وبأشجار زيتونها، وبخضرتها،ونرى من داخل القصبة مناظر الأحياء البيضاء الضاحكة.

ولا تتجاوز دور أبنية الناصرة ألفًا وخمسمائة بناء. فهي بهذا الاعتبار، قصبة صغيرة، ولكن الحدائق التي تقوم بين تلك الدور تكسبها شكل بلدة كبيرة ذات وقار.

وأبنيتها الكبيرة المرتفعة ومعابدها وقببها، وأبراج نواقيسها تنطق لأول وهلة بلسان واحد قائلة: إنني البلدة التي حضنت السيد المسيح سنين عديدة.

وقالا: منظر الناصرة جميل جدًا أيام الربيع، بدورها البيضاء الناصعة وبجنائنها وكرومها الزمردية، ولقد أخذت قصبة الناصرة تمتد بخطى واسعة نحو الشرق والغرب.

الناصرة في أثناء الحرب العالمية الأولى ودخول الإنجليز إليها

في 1917/12/28 كانت الناصرة مقرًّا لجيوش الصاعقة الألمانية بقيادة فالكنهاين الألماني،ثم بقيادة خليفته (في آذار 1918) ليمان فون ساندرس. وقد وصف القس أسعد منصور، دخول الإنجليز إلى الناصرة، فقال: قد علم القائد الألماني (ليمان) المقيم في الناصرة أن الجبهة مضعضعة، ولكن لم يخطر بباله سقوطها ووصول العدوّ إلى الناصرة بهذه السرعة. فنحو الساعة الخامسة من صباح 1918/9/20 دخلت طليعة الفرسان الأستراليين الناصرة من الجنوب على غرّة من (ليمان فون ساندرس) بل كان لا يزال في فراش نومه حين بلغه الخبر فاستيقظ مذعورًا وأمر بالمقاومة، فنصبت الرشاشات على السطوح وأعالي الجبل، ليمكن جنده من الفرار، وقد نجح فيما قصد. ومما ساعده أن العدوّ ترك له الشمال مفتوحًا ولم يتوغل في المدينة.. ونحو الساعة الحادية عشرة صباحًا ترك الأستراليون المدينة لغير سبب معلوم وعادوا إلى محطة العفولة. أما ليمان فون فلم يترك الناصرة إلا عند الظهر بعد أن تركها كلُّ الجيش حتى عائلته.

.. وبعد خروج الأستراليين، أرسل القاضي خير الدين أفندي ورئيس البلدية توفيق الفاهوم إلى حيفا التي كانت لا تزال تتواجد فيها بعض القوات التركية، فجاءَت منها قوة لاحتلال الناصرة ولكن الإنجليز سبقوهم. ففي يوم السبت 9/21 نحو الساعة الرابعة بعد الظهر كانت جماعة فرسان تحيط بالمدينة، على رؤوس الجبال ثم دخلوها من الشمال، واستلموها بدون قتال. وبلغهم أن القوة العثمانية المذكورة آتية عن طريق صفورية، فكمنوا لها شمال المدينة وضربوها عند وصولها، فلم يسلم منها إلا مَنْ طال عمره، وهكذا كانت نهاية الحكم العثماني وبداية حكم الإنجليز.

وعلى نفسها، وأهلها، وقومها، وأرضها، وأولادها، وأحفادها جنتْ براقش:

كان ذلك عندما وضع العربُ - بل الزعامة العربية يومئذٍ - أيديهم بيد بريطانيا وتعاهدوا معاهدة الذئب والشاة، وتمَ النصرُ لبريطانيا على الجيش التركي بتأييد جنود (الثورة العربية) وبسلاحهم.. وكافأت بريطانيا العرب، بتمزيقهم شرّ ممزق، واقتطاع أرض فلسطين، وإهدائها إلى اليهود، وبث العداوة بين زعمائهم وكبرائهم، والتعمد (الاغتسال) بداء الفقر والجهالة، والتخلف عن ركب المتخلفين إلى أمرٍ لا نعرف له نهاية. من سنة 1914 إلى سنة 2000.. لم يعرف إقليم عربي طعم الحياة الهانئة.. لقد حصلت أقاليمُ عربية على

المال الوفير، ولكن أهلها لم يصبحوا قريري العيون، فالخوف من الفقر - مع كثرة المال - يتهددهم وحصلت أقاليم على شيء من العِلمْ، ولكن علماءَها تركوها ترزح تحت نير التخلف، وغرّبوا (ذهبوا إلى الغرب) فالأبناء يتقلبون على جمر الغربة ولا يقدرون على العودة إلى حضن الوطن. والوطن (الأمّ) يبكي حتى تقرحت منه الجفون شوقاً إلى الأبناء.. فأيُّ عذاب أشدّ من هذا العذاب.. وكلاهما يلوم الآخر.. يقول الأبناء

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

ولكن الأبناء ما زالوا يضعون أيديهم في أيدي مَنْ كان سبب الداء.. وحلت (أمريكا) محل الإنجليز اليوم..

معركة غير متكافئة، وبذل المستطاع

انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار بريطانيا، وهزيمة تركيا، وكان ذلك بسيوف العرب، بناءً على وعْدٍ بالاستقلال.

قال الشاعر عبدالرحيم محمود:

وأتى الحليفُ وقام في أعتابنا ... متحيّرًا إنَّا هُدى المتحيّر
واستنصر العُرب الكرام وإنهم ... غوثُ الطريد ونصرةُ المستنصرِ
وإذا عِتاقُ العُرب تُوري في الدُّجى ... قدحًا وتصهل تحت كلِّ غضنفر
وإذا السيوفُ كأنهنّ كواكبٌ ... تهوي وتلمعُ في العجاج الأكدرِ
رجحت موازينُ الحليف ومَنْ نكن ... معه يُرجّح بالعظيم الأكثر
وبنت لهم أسيافنا صرحًا فلم ... يُحفظ جميلُ العرب يا للمنكر
غدر الحليفُ وأيُّ وَعْد صانه ... يومًا وأيّة ذمةٍ لم يخفر

.. واحتلّ الإنجليز فلسطين، وحصلوا على قرار من عصبة الأمم بالانتداب على فلسطين، لغرض تنفيذ (وعْد بلفور) بإنشاء وطن قومي لليهود.

.. وبَعْدَ أن احتلت بريطانيا فلسطين ونشرت قواتها الحربية والبوليسية وفتحت الأبواب للمؤسسات الصهيونية، لكي تؤسس قواعدها.. استيقظ العربُ من غفلتهم، فتحركوا لمنع وقوع الكارثة.. ولكن المعركة كانت غير متكافئة.. قال إبراهيم طوقان مصوّرًا الأعداء:

أمـامك أيّهـا العـربيُّ يـوم   تشيب لهوله سودُ النواصي
لـنا خصمان ذو حـول وطـول   وآخرُ ذو احـتيال واقتـناص

.. أما الخصمُ ذو الحول والطول، القوي، فهو بريطانيا بآلاتها الحربية التي كانت تمتلك بها أرضًا لا تغيب عنها الشمس، تجند منه الجنود لتحقيق مآربها. ويكفي أن يكون معها شبه القارة الهندية (الهند والباكستان وبنجلادش) وقارة أستراليا.

وأما الخصم ذو الاحتيال: فهم اليهود..

لقد اجتمع هذان الخصمان لمحاربة أهل فلسطين بعد عزلهم عن أُمتهم في إقليم فلسطين وإلهاء الأقاليم الأخرى العربية بمشاكلها الداخلية..

ففرضتْ المعركة (التي تشيب لهولها سود النواصي) على الفلسطينيين، وهم أغرار بلا تجربة ولا قُوّة،ولا قيادة مجرَّبة.. ومع ذلك بذلوا وُسْعهم ولم يدخروا جُهْدًا.. هو جهد المقلّ، ولكنهم لم يبخلوا بالقليل الذي يملكونه.. ونذكر في هذه العجالة شيئًا من جهد، وجهاد أهل الناصرة وقضاء الناصرة لصدّ العدوان على فلسطين..

لم يتأخر جواب أهل الناصرة عن كلّ الأنشطة الإنجليزية والصهيونية التي تهدف إلى تهويد فلسطين.. ففي 1919/2/27 أرسل وجهاء ومخاتير الناصرة كتابًا يرفضون فيه سياسة الوطن القومي اليهودي، ويطلبون بقاء فلسطين جزءًا من سوريا.. وهذا نص الكتاب:

(لقد رفعنا ورفع المؤتمر الذي انعقد في القدس[1] من قِبَل جميع مندوبي بلدان مقاطعتنا (سورية الجنوبية) المعروفة بفلسطين احتجاجات مؤيدة لحقوقنا،وعلاقاتنا، وتصرفنا المطلق في بلادنا، حاليًا وتاريخيًا، ماديًا، وأدبيًا، ومثبتة وهن علاقات اليهود حاليًا وتاريخيًا، ماديًا وأدبيًا، وأقليتهم القليلة جدًا، نفوسًا وأملاكًا[2] مما لا يجعل لهم أدنى حقّ، أو شبه حق بمطالبة ما في بلادنا. ورفضنا باتًا - بناءً على تلك الحقوق والاستنادات - كلّ مهاجرة وتوطن ونفوذ صهيوني في بلادنا.. وطلبنا ألا تُفصل مقاطعتنا عن سورية بوجه من الوجوه،

---

(1) انعقد المؤتمر الأول في القدس ما بين 1/27 - 1919/2/10 وتألف من 27 مندوبًا عن الجمعيات الإسلاميّة المسيحيّة، في جميع أنحاء البلاد. ومن مقرراته اعتبار فلسطين جزءًا من سوريا، وأن لا تنفصل فلسطين عن حكومة سوريا المستقلة، وأن تكون متحررة من جميع أنواع النفوذ والحماية الأجنبية،ورفض المؤتمرون (وعد بلفور).

(2) الأقليّة هذه سنة 1919، لم يكن لها ذكر يؤثر في بداية القرن التاسع عشر وفي سنة 1840 لم يكن يملك اليهود أرضًا زراعية، وكان عددهم حوالي ثمانية آلاف كانت بداية وجودهم في منتصف القرن السابع عشر، عندما سمح السلطان سليمان بهجرة بقايا يهود الأندلس إلى فلسطين. وفي وقت كتابة المعروض سنة 1919 كان عددهم حوالي خمسين ألفا فقط.

للعلاقات القومية والدينية والجغرافية والتاريخية التي جعلت هذين البلدين جزءًا واحدًا لا يتجزأ بعضهما عن بعض..

.. ونحن بوصفنا الشعب العربي المتصرف في البلاد والذي يشكل الأكثرية العظمى فيها، والذي له وحده حقّ إبداء رغباته وأمانيه في مستقبل البلاد وحقوقها، نرفع مرة أخرى احتجاجاتنا الشديدة على كلِّ موافقة أو معاملة أو معاهدة أو وعْد أو عقْد يخول لليهود المتفرقين في سائر أنحاء الأرض، والذين ليس لهم أدنى شأن، ولا قول ولا حقّ في بلادنا في الهجرة أو حقّ السكن أو حقّ الوطنية القومية، نعود فنعلن للملأ أننا لا نقبل بشيء من ذلك بحال من الأحوال، وأننا سنحافظ على بلادنا وحقوقنا فيها بكل الوسائل، كما لا نقبل بوجه من الوجوه أن تفصل بلادنا عن سوريا العربية، ونريد أن يكون مصيرها واحدًا مضمونًا لها استقلالها العربي ووحدتها في الحال والاستقلال. وأن لنا الأمل في مؤتمر السلم[1] الذي أخذ على عاقته توطيد السلام أن ينظر في مطالبنا واحتجاجاتنا بعين الرعاية، ويمنع عنا وعن بلادنا كلّ عدوان وإجحاف.

وندرج فيما يلي أسماء الموقعين على الكتاب، وفيها تأريخ لحال التركيبة السكانية في الناصرة بداية القرن العشرين الميلادي:

(1) مؤتمر السلم، انعقد في باريس مطلع شهر كانون الثاني عام 1919. وكان أقطابه الدول الاستعمارية التي انتصرت في الحرب العالمية الأولى. وغرضه تقرير مصير الأقاليم العربية التي كانت تحت حكم الأتراك.

صالح محمد خطيب، عزيز سليم نصار، فريد سليم نصار، إيليا سليم نصار، مبدا جرجي نصار. عبده جرجي قعوار، صالح عون الله، محمد سعيد العبيد، بشارة عزّام، محمد إبراهيم، موسى محمد عبود، أحمد عمر، محمود حسن، محمد حسن، حسين يوسف عون الله، قاسم محمود، عبدالله سليمان، نصرة حسين، سليمان خليل، حسنن عطا الله، حسين الخواجا، محمد حلبية، ارسان حبش، توفيق يوسف صالح، محمد الأحمد، حنا فضل فضول، محمد القاسم، محمد عوض الله، فياض منصور،محمد عون الله، خليل إسكندر قبرصي، جبران إسكندر كزما، حسين عبيد، شفيق قعوار، نجيب عودة، مصطفى أحمد أبو تايه، أحمد البويل، سليم العبد، طه بن محمد، أيوب اليونس، عبدالمعطي الخطيب، بكر التركي، محمد المحمود، محمود المحمد، إبراهيم عويس، محمد أبو ربيع، حسن دياب، لافي المنصور، حسين هاشم، عطوة حمدان، سعيد الطاطا، محمد عبدالرحمن تاني، علي محمد العبدالله، محمد محمود أبو ليل، عربي أحمد، فياض الوجيه، خضر موسى يحيى، أسعد القاسم الأطرش، وقاسم الأطرش. (عن كتاب وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918 - 1939 - لأكرم زعيتر).

وكان هذا الرفض - للاحتلال البريطاني، والأطماع اليهودية، وفصل فلسطين عن سوريا الأم - بداية، كان لها ما بعدها، مدة ثلاثين عامًا 1917 - 1947 في أثناء الاحتلال البريطاني. تطور هذا الرفض إلى جهاد بالسلاح البدائي الذي كان يقدر عليه الشعب الفقير - اقتصاديًا -

فقد حاربوا بالسكاكين والسيوف، وبنادق من (الرابش) كومة نفايات الحروب.. ومع ذلك كانت القوة التي تملك المدافع والطائرات وأحدث أنواع الأسلحة، تحسب لهم ألف حساب، وكان للمجاهدين العرب أثر فعّال، وضربات مؤلمة.. ولكن ذلك لم يكن من قوة السلاح المادي، وإنما كان ذلك بقوة الإيمان، وطلب الشهادة..

وما بين 1917 - 1948 كان جهاد، واستشهاد. وبرز أعلامٌ في باب الجهاد من الناصرة وقضاء الناصرة:

وكان الذين قادوا الثورة في الشمال (الجليل) المجاهدين: خليل محمد عيسى وسليمان أبو علي عبدالقادر أبو حمام، ومحمد أبو محمود الصفوري، وعبدالله الشاعر، وتوفيق الإبراهيم (أبو إبراهيم الصغير) وعارف حمدان وأبو خضر محمود الخضر، ورشيد عيد الشيخ، ومحمد عيد موسى وأحمد التوبة (أبو غازي) وعارف غنم، وعلي إبراهيم زعرورة، ومحمود سليم الصالح أبو عاطف، ويحيى هواش، وأحمد طه.

وقد تأسس أول فصيل في منطقة الناصرة بقيادة المجاهد الشيخ نايف الزعبي، يرافقه توفيق الإبراهيم، وسعيد حسين سعيد وسعد الخالدي، وسالم عبدالخالق، وعلي الحسن، ومحمد خليل الإبراهيم. وكمنوا للدوريات الإنجليزية المتجولة على خط مستعمرة (العفولة) في مرج ابن عامر، إلى جسر المجامع على نهر الأردن في موقع الشرار، ودمروا إحداها، فقررت سلطات الانتداب الإنجليزي هدم منزل رافع الفاهوم واعتقال عشرات الرجال من قرية (أندور).

وقاد فصيل (المجيدل) المجاهدون: جبر محمد لوباني، ومن معاونيه: يوسف مسعود، ومحمد الصوص، وعبدالله الصوص، وعبدحسين لوباني وعارف لوباني، وحسن لوباني، ومحمد حسن السالم،وحسن سلام وصبحي عروق، وعباس وفياض أبو قاسم، ويونس الشامي. وكان مركز نشاطهم مستعمرات مرج ابن عامر. ومن المجيدل الشاعر الشعبي الحاج فرحان سلام.

وبتخطيط المجاهد أبو غازي أحمد التوبة تمَّ اغتيال أندروز، وكيل حاكم لواء الجليل في الناصرة.

وقاد فصيل كفر كنا المجاهد سليمان داود، وكانت منطقة أعماله بين الناصرة وطبرية. وقد ساعدهم في معاركهم مجاهدو عرب الصبيح وعين ماهل والعفولة.

ومن مجاهدي قضاء الناصرة المجاهدان: نمر السعدي، ونايف المصلح. وجهاد أهل قضاء الناصرة، وبخاصة في الثورة الكبرى 36-1939 وسنة 47-1948 لا يُوفى بحثًا إلا في مجلد كبير.

وثبت أهل الناصرة، وأهل قضاء الناصرة على أرضهم

في قضاء الناصرة، مدينة الناصرة وثلاث وعشرون قرية.. هُجِّر أهل أربع قرى، وصمد الباقون.. وكثير من أهل القرى التي هُجِّرت، انتقلوا إلى القرى المجاورة وإلى الناصرة، ولم يغادروا القطر الفلسطيني.. وحلف الجميع يمين الشاعر:

فقلتُ يمينُ الله أبرح قاعدًا ولو قطعوا رجلي لديك وأوصالي

.. وفازوا بتثبيت موطئ قدمٍ لهم على أرضهم.. (موطئ قدم) هو ما أبقاه لهم اليهود الغاصبون، فكان عنوان شموخ ودليل وجود موروث لقد كسب العربُ الذين لم يهاجروا، وقاوموا التهجير، كسبوا معركة البقاء على أرضهم.. وكان خيرًا لهم من قصور ومزارع في بلاد الغربة..

لقد عانى العربُ الصامدون على أرضهم من النبذ، والتمييز العنصري، ولكنهم صبروا وجاهدوا لتثبيت أقدامهم، وفي الصبر والجهاد متعة، إذا كنت تحاربُ عدوًا.. فإذا صارعت ابن عمك، أو قذرتك عيون أبناء العم، فإنها تكون الصعقة وتكون الحسرة والألم المرير (وظلم ذوي القربى أشدُّ مضاضةً).

ويرى قادة اليهود أن عرب الجليل (وعاصمتهم الناصرة) يشكلون طابورًا خامسًا يسعى لتدمير الكيان اليهودي، لأنهم تمسكوا بأرضهم العربية ولذلك تعرض أهل الناصرة، وقضاء الناصرة لأقسى الإجراءات المنتهكة لحرياتهم الشخصية وحقوقهم المدنية، وسنت القوانين المقلصة لنشاطاتهم التجارية والصناعية والزراعية. وإمعانًا في محاولة تهويد الناصرة والتضييق على أهلها، تولت الحكومة الصهيونية عملية إنشاء مدينة جديدة على جبل السيخ في الشمال الشرقي من الناصرة أسمتها (الناصرة العليا)، وأنشأت الوزاراتُ والدوائرُ المختصة عددًا من المصانع والمرافق الاقتصادية والمعاهد والمدارس والمستشفيات فيها وشيدت أبراجًا حشدت فيها جماعات من فرق الكشافة والطلائعيين الذين تلقوا تدريبًا عسكريًا خاصًا، يؤهلهم لتولي الدفاع عن المشاريع اليهودية.. وأقاموا لها بلدية مستقلة، ولم يضموها إلى الناصرة القديمة،أو لم يضموا إليها الناصرة القديمة، لئلا يستفيد من خدماتها أهل الناصرة العرب.. فأدى ذلك إلى أن تبقى الناصرة العربية مدينة ضعيفة، للفرق الشاسع بين ميزانية الناصرة اليهودية، والناصرة العربية.

سكان الناصرة من البداية حتى سنة 1948

مرت مدينة الناصرة بمراحل تاريخيّة عديدة: مرحلة ما قبل ميلاد المسيح: ونعرف على وجه اليقين أنَّ آل عمران أهل مريم العذراء كانوا من سكانها ومعهم مَنْ كان له بهم صلة قرابة أو نسب.

ومرحلة ما بعد الميلاد: حتى القرن الرابع الميلادي، ويرجح أن آل عمران استمر وجودهم بالمدينة، أُضيف إليهم أنصار المسيح وحواريّوه والذين آمنوا به.

ثم تأتي مرحلة ما بعد الإمبراطور قسطنطين الذي تنصّر، وبُنيتْ في عهده أو بعده، الكنائس على آثار عيسى وأمه. فيكون قد سكنها خدّام الكنائس والأديرة، وجاور فيها بعض العُبّاد..

ثم جاءَت مدة الفتح العربي الإسلامي، فبقي الحال على ما هو عليه، ودخل أهل الناصرة في العهد الذي أعطاه الفاتحون لأهل البلاد..

ثم جاءَ عَهْد الاحتلال الصليبي، وما تبعه من كرّ وفرّ، وتناوب المسلمين والصليبيين على احتلال الموقع.. وقد دامت هذه الحال حوالي قرنين من الزمان، لم تكن المدينة فيها صالحة للسكن لكثرة الحروب وتتابعها في المكان.

أما بداية السكنى الدائمة في الناصرة، واستقرار العائلات فيها، فربما كان في القرن السابع عشر: في منتصفه إلى آخره، ويذكر المؤرخون أن أقدم سكان الناصرة الحاليين، كانوا من المسلمين. قال يعقوبٍ فرح في كتاب (تاريخ الناصرة سنة 1857) إنَّ مسلمي الناصرة أصلاً من (الحصن) في شرقي الأردن، وقراها. وذلك منذ أكثر من مئة سنة فهم حمولة كبيرة اسمها (بيت حجير) وشيخها (خليفة) وشاخ بعده على المسلمين(دار صالح عزام) ثم حمولة (البياطرة) وأقاموا عليهم شيخًا (موسى الحمدان) في أيام الجزار (1776 - 1804) فصاروا من ذلك الوقت حمولتين: شرقية وغربية.

وفي هذا الوقت (أيام الجزار) استوطنها المسيحيون، وبنيت فيها الكنائس وهذه أسماء الأسر المؤسسة لمدينة الناصرة قبل سنة 1948 أما بَعْد سنة 1948 فقد دخل إلى المدينة مَنْ ليس من أهلها أصلاً من القرى التي هُجّر أهلها وهدمها اليهود.

العائلات التي كانت تسكن الناصرة سنة 1948:

من الأُسر الإسلاميّة القديمة: دار أبو زيد، ودار عابد: فرع من البياطرة، واسرة الهنادي، ربع عقيلة.

ودار البيطار: يعرفون بالشراقي كونهم سكنوا شرق المدينة. وفرع المنصور من هذه الأسرة. والزعبية: ومنهم كثيرون في القرى شرقي الناصرة وفي الناصرة منهم فرعان: دار حمودة، ودار عبيد.

والزيادنة: نسبة إلى ظاهر العمر، أو إلى جده (زيدان) ويلقبون بالظواهر أو (الزيادنة)، في الناصرة (عباس) نسبة إلى عباس بن ظاهر العمر.

و(دار الصفدي) أصلهم في عرابة البطوف (دار دخل الله) وفي صفد (دار العرابي) وفي الناصرة (الصفدي). وجدهم في الناصرة (محمد الصفدي) ابن أحمد، الذي رافق الوزير الفرنسي دي سلسي سنة 1851 في سياحته في البلاد ثم أخذه إلى فرنسا فنال رعاية نابليون الثالث وإكرامه.

ودار عون الله، ودار الفاهوم، جاء جدهم من قرية (نين). استوطن جدهم الناصرة زمن الجزار سنة 1791، ودار القبطان، ودار الملا والهوارة، جاء جدهم زمن الجزار سنة 1778 ومن فروعهم: أبو إسماعين وأبو حمد، والبنا، ودار يزبك، ويعرفون بالغرابي، لأنهم سكان الحارة الغربية.

أما مسيحيو الناصرة الأصليون فأكثرهم من لبنان وهم اللاتين والموارنة. ومن حوران، وهم الروم والكاثوليك. وكلهم من عرب غسان ومن عوائلهم:

دار أبو جابر، وأبو جوهر، وأبو حماة، وهم في اللد (دار سعود).

وأبو عجينة، وأبو العسل. وهم في الرينة(أبو فراج).

ودار أبو علي، أو دار أمطانس أبو علي. ودار البولس، ودار الأورفلي والأسبانيولي، والأشقر، ودار أصيلة، ومنهم دار سعد.

ودار أيوب، والبجالي، نسبة إلى بيت جالا وفروعهم: البجالي وأبو درة، ودار شحادة، والنداف.

دار برجود، دار البنا، الشلبي، والبيطار، وتابري، ودار المالطي، والجبران، وهم في بيت لحم (أبو جارور). وهم عصبة دار القدحة ودار القنيش، ودار زيادة.

ودار جبور، وهم في عجلون (سواقد). ودار جهشان. ودار جرجورة، والجرم، وجرو، وجروس، وهم في شفا عمرو دار حبيبي.

ودار الجمال، ودار الجمل، وهم في القدس (الفران). ودار الحايك،والحج والحداد، ومنهم (مرمورة). ودار الحطاب، والحكيم، والحلاق، والحنو، والحماتي، والحمامرة، والحنادسة، وهم في القدس دار (المصيص). ومن فروع الحنادسة: دار الحجة، ودار لبس ودار القشة.

دار حوا، دار خبيص، دار الخليفة من صخرة في جبل عجلون ومنهم: دار ورور، وأبو سرية، ودار نويصر، ودار طنوس، ودار العديني والخوري، وكنانية، وخليل، ودار العيسى، ويعقوب، ودار سعيد، ودار منصور الرواد، ودار محيسن، ودار النمر، ودار بيدس ودار الصباغ.

ودار الخوري، ودار الداموني، وهم في الدامون دار عبود. ودار دانيال والدبس، والدبوة، ودوغان، والديراوي،والديك، والدريني، وذياب، ودار رزق، ودار رشيد، وروق، ومنهم (الحناوي) ودار الريشاني، والزاروبي، والزحلاوي، والزريني، والزهر، وزطام، ودار سركيس،

والسروجي والسكران، وسلوم، وسيباني، وشاتيلا، وشامة، وشرش، والشقمة، وشمردق، والشمشوم والشوفاني، ودار شومر.

ودار الصارجي، وصافي والصايغ، والصيقلي.

ودار الطبر، ودار الطبراني، والطبراوي، والطويل.

ودار عازر، والعاسوس، وعاقلة، وعبود: عائلتان لا يتصلان. والعليمية، وعمران، وعويس، وعويد، ودار غريب.

ودار الفار، والفران، ودار فرح، ودار فنار.

ودار قالوش، والقاموع، والقبطي، والقبعين، وقدادو، والقدحة والقرموز، والقص، وقعوار، وقنازع، والقندلفت، وهم في عكا (صباغ).

ودار كرم، والكردوش، ولاون، واللبابيدي، ولولو.

ودار الماهلي، ومبارك، والمبصلة،والمبيض، ودار المطر.

ومرجيه، ومرشة، والمزاوي، ومسلّم، ومعمر، والملط، والموسى. ودار نجم، ونخلة، والنصر الأشقر، ونصير، ونقولا، ودارالهامينا، ودار وهبة، ويامينية.

زراعات الناصرة، وقضاء الناصرة

أرض الناصرة في المرج، هي أخصب أجزائه. ومن حاصلات الناصرة وقضاء الناصرة، كما كانت قبل سنة 1948 القمح والشعير، والذرة البيضاء، والسمسم، والفول، والعدس، والحمص والجلبانة. ومن الفواكه: البطيخ والشمام والعنب والتين، واللوز، والمشمش، والخوخ، والتفاح، والكمثرى، والسفرجل، والدراق، والجرنك وإيكي دنيا، والتوت، والبلح والرمان، والبرتقال، والصبير، والليمون. وفي عشرينات القرن العشرين كان يوجد في قضاء الناصرة 30.000 شجرة زيتون، يستخرجون منها مليونًا ونصف المليون، أُوقة زيت. من (25) معصرة للزيتون. وفي عام 1944 - 1945 كانت كمية الزيت المستخرجة في القضاء 33 طنًا تشكل 8٪ من محصول فلسطين العام.

الحسابات المناخية:

وحسابات المناخ والمطر عندهم مأخوذة من (السعود) عند العرب، وهي كواكب عشرة يقال لكل واحد منها (سعد) وهي، عشرة سعد الذابح، وسعد السعود، وسعد بلع، وسعد الخبايا، وسعد الناشر، وسعد الملك، وسعد البهام، وسعد الهمام، وسعد البارع، وسعد المطر.

وأهل الناصرة (كانوا) يذكرون بنوع خاص الأربعة الأولى التي من منازل القمر، وهي خمسون يومًا تبتدي من 1/21، وتنتهي في 12 آذار. أو (11) آذار إذا كان شباط 29 يومًا ويقسمونها إلى أربعة أقاسم:

1- سعد الذابح 12 يومًا ونصف اليوم، سميت بالذابح لكثرة المطر وشدة البرد فيها.
2- سعد السعود 12 يومًا ونصف اليوم،وفيها يدور الماء في العود أي: الشجر.
3- سعد بلع 12.5 يومًا. وفيها السماء تمطر والأرض تبلغ فيجف حالاً.
4- سعد الخبايا: 12.5 يومًا، وفيها تخرج الخبايا، كالحيات والزواحف.

ومن أمثالهم المتصلة بالزراعة من صحو ومطر وخصب وقحط (وهي شائعة في فلسطين أيضًا)

1- بين الميلاد والغطاس، لا تسافر يا ابن الناس. أو بين الغطاس والميلادِ، لا تسافر يا هادي. لكثرة المطر وشدة البرد في هذا الفصل.
2- شباط، وإن شبط أو لبط، رائحة الصيف فيه. أي: مهما حدث به من الرعود والبروق، ومهما اشتد البرد، فحرارة شمسه تدل على قرب الصيف.
3- إن قوست باكر احمل عصاتك وسافر: وإن قوست عشية دوّر لك على مغارة دفيّة. أي: إذا ظهر قوس السحاب مساءً كان ظهورها علامة البرد والمطر،وإن ظهر صباحًا يكون علامة الدفء وقلة المطر.

4- إذا عوى كلبها طابت. أي: إن نباح الكلب أثناء المطر علامة الصحو.

5- السنة بآذارها، إن أمحلتْ آذار وراها، أو أخصبت آذار وراها.

6- إنْ نمرت سماها، أبشرْ بشتاها. أي: إذا صار غيمها كجلد النمر كان علامة حدوث المطر.

7- برق الزيب لا يخيب. وهو البرق الشمالي الغربي الآتي من جهة (الزيب) أو رأس الناقورة، بين عكا وصور.

8- آذار الهدار، أبو الزعازع والأمطار، فيه سبع ثلجات كبار غير الصغار. فيه يبيض الشنار (الحجل) ويحمض اللبن، ويغرق الراعي، وينشف بلا نار.

9- شتوة نيسان تحيي السكة والفدان، والسكة: حديدة المحراث. والفدان: الزوج من البقر اللذان يقرنان معًا. ويراد بالسكة والفدان الفلاحة والحيوانات.

10- يغلها على جمر، ويمحلها على نهر. أي أن الخصب والمحل من الله لا من قلة المطر ولا من كثرته.

11- إن حمل في شباط هيئ له المفراط. وإن حمل في آذار هيئ له الجرار. وإن حمل في نيسان لا تقعد تحته نسوان. أي: إذا ظهر حمل الزيتون في شباط وآذار يعقد ثمرًا، ولا يعقد إذا ظهر بنيسان والمفراط هراوة طويلة يجدّ بها الزيتون. ولا تقعد تحته النسوان:أي لتجمع ثمره.

12- متى صار ورق التين قدْ رجل البطة، نام ولا تتغطى.

13- إن فاتك آب وما ذريت، إنك في الهواء انعرّيت: أي: بعد آب يشتد الهواء ولكنه يكون متقلبًا لا يصلح للتذراية.

14- إن طاب هواك يا مذري، ذري.

15- شرط في الحقل، ولا خصام في البيدر.

16- في تموز يغلي الماء في الكوز.

17- آب اللهاب، فيه اقطع القطف ولا تهاب.

18- كل زيت وناطح الحيط. أي إن زيت الزيتون يقوي الجسد.

19- الأرض الواطية تشرب ماءها وماء غيرها.

20- كُلها فجة ولا يأكلها غيكر مستوية (ناضجة).

21- سنة القطا؛ بيع الغطا. أي: سنة محل.

22- لا تقول فول حتى يصير في العدول، أي: حتى تكيلها وتضعها في العدول.

23- لا فولة مسوسة، إلا تلاقي كيال أعور. أي: حتى الرديء يجد مَنْ يشتريه.

24- أيام الزيت، أصبحت اسميت. أي: قصيرة.

25- جمعة مشمشية. أي: مدة قصيرة، لأن ثمر المشمش لا يدوم طويلاً.

منـــاخ الناصـــرة

مناخ الناصرة حسن، لأنها مبنية في موقع جبلي وتنخفض درجة الحرارة أيام الشتاء إلى الصفر، وترتفع أيام الصيف إلى 40 - 42 درجة مئوية. ومتوسط الدرجات أيام الصيف 35، وأيام الشتاء 4 - 5. وأيام الربيع والخريف 18 - 20 درجة والحدّ الأقصى لدرجة الحرارة يقع في شهر آب، والحد الأدنى لدرجة الحرارة يقع في كانون الثاني.

وتهب في قضاء الناصرة الرياح الشمالية، والشرقية والغربية، أي: أن المناخ رطب بصورة دائمة. ولكنه لا يصل إلى درجة الإشباع. ويبدأ هطول الأمطار في تشرين الثاني، وتهطل غالبًا في شهري كانون الأول والثاني. وربما امتد هطول الأمطار اثنتي عشرة ساعة بلا انقطاع. ويهطل المطر متقطعًا في شهري آذار ونيسان وينتهي فصل الشتاء بعد الخامس عشر من نيسان، ويتساقط الثلج أحيانًا بصورة نادرة.

مَنْ قاد ثورة البَعْث والحياة والبقاء، ولمن كان الفضلُ في النصر

الجواب في هذا الموجز:

أرضنا ليست بعاقر:

.. الثورة على الظلم، والتفاؤل بالوصول إلى الحق، والحرارة في الطلب والرفض الكامل لليأس، والإيمان المطلق بالقدرات الذاتية واستلهام الأرض كلَّ معاني القوّة... فهي الأمّ الرؤوم، المدرسة التي نقرأ في أديمها أروع صفحات المجد.

هذه المعاني وغيرها هي التي حرص قادة التنوير العربي، على بثها بين الجماهير العربية التي تشبثت بتراب الوطن سنة 1948 ورفضت الهروب من أمام أعنف أشكال الإرهاب العالمي الذي استخدمته الصهيونية الغازية.

نقرأ لمحمود درويش بعنوان (عن الأمنيات) سنة 1966

لا تَقُل لي:

ليتني بائعَ خبزٍ في الجزائر
لأغني مع ثائر
لا تقل لي:
ليتني راعي مواش في اليمن
لأغني لانتفاضات الزمن
لا تقل لي:
ليتني عامل مقهى في هافانا
لأغني لانتصارات الحزانى
لا تقل لي:
ليتني أعمل في أُسوان حمالاً صغيرًا
لأغني للصخور
يا صديقي
لن يصبّ النيلُ في (الفولجا)
ولا الكنغو ولا الأردن في نهر الفرات
كلٌّ نهر وله نبْعٌ.. ومجرى..وحياة
يا صديقي
أرضُنا ليست بعاقر
كلٌّ أرض ولها ميلادها
كلٌّ فجرٍ وله موعد ثائر.

.. كان لابُدَّ من قيادة تحمل على كاهلها الأعباء الثقيلة.. لتنير الطريق أمام الجمهور العربي، ولو كانت البداية شمعة..

..وإنها لتجربةٌ، بل هي مدرسة تتعلم منها الشعوب كيف تصمد أمام أعتى العواصف والأعاصير.. ولهذا الصمود الحضاريّ العملاق قصة في جليل العرب، هي قصة الحضارة، أو قصة الصراع الحضاري.

بعد قيام الكيان اليهودي:

في أثر قيام الكيان الصهيوني سنة 1948 ونهاية مسرحية جيوش الجامعة العربية بالاندحار، وتوقيع معاهدات الهدنة، انقسم الشعب الفلسطيني إلى أربعة أقسام:

قسم فيما سمي (قطاع غزة) بإدارة مصرية

وقسم فيما سمي (الضفة الغربية) بإدارة أُردنية.

وقسم في المنفى، في البلاد العربية وغيرها.

وقسم رابع: بقي على أرضه داخل الكيان اليهودي، فيما اصبح يُدعى (فلسطين المحتلة سنة 1948).

وقفة عند القسم الرابع:

نقف طويلاً عند القسم الرابع، لأن (قضاء الناصرة) موضوع كتابنا،يضمُّ القسم الأكبر من الفلسطينيين الذين بقوا في بيوتهم داخل الكيان اليهودي.. فقد كان عدد القرى العربية في المنطقة الشمالية (لواء الجليل) 253 قرية دمّر الصهاينة منها 184 قرية، وبقي منها 69 قرية موزعة على الأقضية كالتالي:

القضاء	عدد القُرى قبل النكبة	عدد القُرى الباقية
الناصرة	24	20
عكا	52	30
حيفا	52	9
بيسان	30	2
طبرية	26	3
صفد	69	5
المجمـــوع	**253**	**69**

.. ومع كلٍّ، ما زال الجليل يتميز بالوجود العربي المزدحم بشريًا والمتواصل جغرافيًا، وتُعدُّ مدينة الناصرة أكبر المدن العربية حاليًا في أراضي سنة 1948، إذْ بلغ عدد المواطنين العرب فيها حسب إحصاءات 1978 حوالي أربعين ألفا وتأتي بعدها من حيث الطاقة البشرية العربية (أم الفحم) والطيبة وشفا عمرو، وطمرة،وسخنين..

وقد استأثرت منطقة الجليل بقدرٍ كبير من الاهتمام عند اليهود الصهاينة من نواح كثيرة، وما تزال هذه المنطقة تثير الرعب عند قادة الكيان الصهيوني..

ذلك أن تمتّع منطقة الجليل بهويتها العربية، يهددّ الطابع اليهودي الذي تحاول إسرائيل إسباغه على فلسطين والجليل بشكل خاص ووقوع حوالي نصف أراضي الجليل في الدولة العربية المخصصة للفلسطينيين حسب قرار التقسيم الصادر عام 1947 عن الأمم المتحدة يولّد في نفوس

الإسرائيليين خوفاً من أن تقود أوضاع الأكثرية العربية في الجليل إلى سعي هذه الأكثرية باتجاه الانسلاخ عن دولة (إسرائيل) والمطالبة بتقرير المصير، أو أي شكل من أشكال الاستقلال.

وإن طبيعة موقع الجليل الذي يحاذي شمالاً للأرض اللبنانية التي يوجد بها قسم من اللاجئين الفلسطينيين، ولهضبة الجولان السورية المحتلة غربًا ولمناطق الضفة الغربية جنوبًا.. يساهم في فعالية أي تغيير قد يطرأ عليها مستقبلاً.

وفي ضوء كلّ ما سبق ترى المؤسسة الصهيونية الحاكمة أن مصدر الخوف يتعزز بتمركز المواطنين العرب في المنطقة الشمالية من فلسطين، تمركزًا يُسهم في تماسكهم الوطني والقومي وتكوينهم الفكري والسياسي في صورة استقلال وتميز يوظف لصالح العرب في الداخل أو فيما وراء الحدود.

فلسطين المحتلة سنة 1948:

بقي في فلسطين المحتلة سنة 1948 حوالي (150) مائة وخمسون ألفاً، وهم أقليَّة قليلة بالقياس إلى عدد اليهود.. ولكنهم يكوّنون شبحًا مرعبًا لليهود،وكان موضوعهم من أصعب الموضوعات التي تتحدّى أدمغة الزعماء الصهيونيين الذين يدأبون منذ احتلالهم فلسطين على تهويد الأجزاء المحتلة من الوطن تهويدًا خالصًا.. ومما يقضّ مضاجع الصهاينة هذا التزايد السريع في عدد العرب حتى أصبحت نسبتهم تزيد

على 20٪ من عدد السكان. وفي مواجهة هذا التحدي الصعب الذي تشكله الأقلية العربية في الوطن المحتل عام 1948 انتهت أدمغة الزعماء الصهيونيين إلى انتهاج خطة لإزالة هذه الأقلية.

إما عن طريق القتل واختلاق الأسباب التبريرية أو بالتهجير خارج الحدود:

.. ولما لم يحقق اليهود هدفهم باتباع الأسلوبين السابقين: عمدوا إلى إذابة هذه الأقلية داخليًا وترسيبها في قاع المجتمع الإسرائيلي في المرتبة البشرية الدنيا، وحرمانهم من أن يكون لهم مُعْتمد ثقافي حضاري يشعرهم بذاتهم القوميّ.. فماذا فعلوا لتحقيق أهدافهم، وهل نجحوا؟

في سِفْر العدد من الإصحاح الثالث والثلاثين من التوراة:

جاء هذا الكلام على لسان (الإله) (وكلّم الربُّ موسى في عربات مؤاب على أُردن أريحا قائلا: كلمْ بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كلَّ سكان الأرض من أمامكم،وتمحون جميع تصاويرهم وتبيدون كلَّ أصنامهم المسبوكة..

وإنْ لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم، يكون الذين تستبْقون منهم أشواكا في أعينكم ومناخس في جوانبكم ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أنّي أفعل بكم كما هممتُ أن أفعل بهم).

هذا النصّ من التوراة الذي طُبّق تطبيقًا حرفيًا هو المصدر والسبب في تهجير مئات آلاف الفلسطينيين وفي ذبح آلاف آخرين وفي نهب كثير من الأماكن المقدسة وتهديمها.

فاستخدموا القتل للإرهاب.. وقصة دير ياسين، وكَفْر قاسم مشهورة.

استخدموا القتل للتلذذ بقتل العرب:

وقد سجّل لنا الشعر المقاوم صورة حيّة تعكس هذه الروح الوحشية في صميم المجتمع اليهودي، حين أخذت حوانيت ألعاب الأطفال اليهود في مُدُن الوطن المحتل تعرض الإنسان العربي في صور وألعاب مبتكرة، كان من أمتعها عندهم تلك اللعبة الجديدة، التي يضغط الطفلُ على زرّ فيها فيتدلّى منها إنسان عربي وهو يترجح في حبل الإعدام. ويقول في ذلك الشاعر سالم جبران من الناصرة:

إنسانٌ مشنوق
أَحْلى لُعْبة
أحْلى ملهاة للأطفال
تُعرضُ في السوق
كلاّ.. ليست في السوق
فلقد بيعَتْ.. نفدتْ من أيامِ
لا تبحثْ عنها وليفهمْ طِفْلك
نفدتْ من أيام
يا أرواح الموتى في معتقلات النازيّين
الإنسان المشنوق

ليس يهوديًّا في برلين[1]
الإنسانُ المشنوق
عربيٌّ مثلي من شعبي
يشنُقه إخوتُكم
عَفْوًا يشنقه أشباه النازيّين
في صِهْيون
يا أرواح الموتى في معتقلات النازيين
لو تدرون لو تدرون
وماذا بَعْدُ:

الإنسان الفلسطيني:

لقد وُضِعَ الإنسان الفلسطيني في طبقته الثالثة الدنيا التي رُسمت له من الصهاينة على هيئة عامل جاهل مختص بوظائف المجتمع (الإسرائيلي) الحقيرة، وغير ذي حقوق عُمّالية مماثلة، ليس للعامل اليهودي وحسْب، ولكن لمن يقعون من عُمّال العالم تحت أقسى النظم على الإطلاق. وقد وصف أحدهم هذه الحال بقوله: (عن / العرب في

(1) يشير الشاعر إلى ما أَشيع أيام الحرب العالمية الثانية، أن الألمان حرقوا ملايين اليهود.. وقد ثبت أنها أُكذوبة يهوديّة هدفها كسب عطف العالم، لتشجيع هجرتهم إلى فلسطين. وفي سنة 1998 حوكم الكاتب الفرنسي جارودي لأنه أثبت أنَّ قصة اليهود مع هتلر أُسطورة وخرافة. ومن قَبْله، فنّد الصحفي الكندي روجيه ديلورم أكاذيب اليهود في قصة المجازر الألمانية، وأثبته في كتابه .

إسرائيل - لصبري جريس[1]). (إنَّ العامل العربيّ الذي أمكنهُ الحصول على عمل في السنوات العشر الأولى من قيام كيان إسرائيل انحصر عمله في الأشغال الصعبة التي لا يقوم بها العامل اليهودي، كالعمل في المجاري والبناء.. وإن أُجور العمال العرب هنا منخفضة ولا ترقى إلى أُجور العمال اليهود مطلقاً، حتى لو كان العامل العربي يقوم بالعمل نفسه الذي يقوم به العامل اليهودي.. إنَّ العامل العربي الذي تمكّن من العمل المؤقت في حقل زراعي يهودي في مستعمرة بعيدة كان يطرد من عمله بحجة أنه (عامل غير منظم). وكلما ازدادت (البطالة) بين العمال العرب، اشتدتْ المحاولة لزيادة تفاقمها وذلك بالبحث عن العمال العرب الذين يعملون لدى اليهود، وطردهم من عملهم بمساعدة الشرطة.. لقد كان اضطرار العامل العربي إلى العمل في الخفاء، وإلى القيام بالأعمال المتناهية الشدّة والرداءَة سبباً آخر لاضطهاده، وفرض شروط العمل القاسية عليه).

المستحيلات العشرون:

وتحت تأثير هذه الحال المزرية التي فُرضتْ على العامل العربي الفلسطيني بتخطيط صهيوني، وضع الشاعر الفلسطيني توفيق زيّاد مستحيلاته العشرين التي يقول فيها: بعنوان (هنا باقون)

---

(1) ذكر روجيه ديلورم في كتابه (إني أتهم) أن الصهاينة حاربوا هذا الكتاب، وحرّموا على اليهود قراءَته واقتناءَه، ص193، من الترجمة.

هُنا.. على صدوركم باقون كالجدار
وفي حلوقكم
كقطعة الزجاج.. كالصبّار
وفي عيونكم
زوبعة من نار
هنا على صدوركم باقون كالجدار
ننظفُ الصحون في الحانات
ونملأ الكؤوس للسادات
ونمسح البلاط في المطابخ السوداء
حتى نسلَّ لقمة الصغار
من بَين أنيابكم الزرقاء
هنا على صدوركم باقون كالجدار
نجوع
نعرى
نتحدّى
ننشد الأشعار
ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
ونصنعُ الأطفال.. جيلاً ثائرًا
وراء جيل
كأننا عشرون مستحيل

في اللدّ والرملة والجليل
إنَّنا هنا باقون
فلتشربوا البحرا
نحرس ظلَّ التين والزيتون
ونزرع الأفكار كالخمير في العجين
برودة الجليد في أعصابنا
وفي قلوبنا جنهم حمرا
إذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكلُ التراب إنْ جعنا
ولا نرحل
وبالدم الزكي لا نبخلْ
هنا لنا ماضٍ
وحاضر
ومستقبل

.. وإليك الرسالة التالية التي نقِلها إلينا الأستاذ ربحي كمال في كتابه (العرب في الأرض المحتلة) نقلاً عن صحيفة إسرائيلية من شاب عربي اسمه (محمود أسامة). يقول:

إنَّ لدينا معشر المواطنين العرب المقيمين في (إسرائيل) الشيء الكثير من المشاكل المزعجة، كقيود السير والتنقل ومصادرة الأموال.. وحسبي أن أستشهد بما حدث من حوادث خلال أسبوع فقط للوقوف

على كيفية معاملتنا في (إسرائيل) ففي خلال هذا الأسبوع وحده حدثت معي الحوادث التالية:

وذكر حوادث فيها الشتم والإهانة، وسبّ دين (محمد) والازدراء به في الأماكن العامة لأنه عربيّ..

الأخوة المزيفة:

وفي قصيدة لسميح القاسم بعنوان (أخوة) يردّ سميح على هؤلاء الذين يفتعلون الحديث عن (الأُخوة الإسرائيلية العربية) بين أبناء إسرائيل، ثم يمارسون في واقع حياتهم أُسلوبًا من أقسى أساليب التفرقة. ويقدم سميح القاسم للقصيدة بقوله:

(إلى الذين يعرّون الأُخوّة من جلدها ويتركونها مرتجفة في صقيع الزيف)[1] يقول سميح القاسم في هذه القصيدة:

---

(1) قد تنشر بعض الصحف اليهوديّة مقالاً لبعض الكُتّاب اليهود، يُفهم منه الدفاع عن حقوق العرب في الكيان اليهودي. والحقُّ أن هذه الصحف لا تنشر هذه الحقائق عن العرب من باب الإيمان الحقيقي بوجوب تعديل هذه الأوضاع، بل من باب الصراع السياسي في داخل الكيان بين الأحزاب المختلفة. ومن باب تدعيم المظهر الديمقراطي داخل الكيان،وهو مظهر خارجي يخفي في داخله نظامًا عسكريًا إرهابيًا ليس فيه منفذ للحرية الحقيقية أو الديمقراطية الحقيقية. ومن ناحية أُخرى يؤدي نشْر هذه الحقائق إلى نوع من الدعاية الخارجية للكيان اليهودي. للإيهام بأن الكيان اليهودي يضمُّ جناحًا من اليهود يدافع عن حقوق الأقلية العربية ويحميها وهو مظهر لا يتعدى حدود الدعاية الإعلامية إلى الدفاع الجدي عن هذه الحقوق. وقد نجد بين المثقفين اليهود مَنْ يشعر بخطورة المشكلة العربية في إسرائيل، ولكن هؤلاء المثقفين لا يفهمون المسألة =

أخوك أنا؟ مَنْ ترى ذَادني عن البيت والكَرْم عنوة
تُحملني من صنوف العذاب بما لا أُطيقُ وتغشاك زهوة
وتشتمني.. وتعلّم طفلك شَتْم نبيّي.. بأرض النبوّة.
تشك بدمعي إذا ما بكيت وتسرف في الظنّ إنْ سرتُ خطوة
وتُحصي التفاتاتي المْتعبات.. فيومًا أشار ويومًا تفوّه
وإما شكوتُ.. فمنك إليك.. لتحكم كيف اشتهتْ فيك شهوة
فكيف أُغنّي قصائد حُبّ وسلمٍ وللكرْه والحرب سطوة
وأنشدُ أشعار حريّةٍ.. لقضبان سِجْني الكبير المُشَوَّه

من قصص العذاب:

.. وإليك هذه القصة الواقعية المعبرة عن واقع الحال المؤلم، كتبها الأديب راشد حسين سنة 1964:

(رأيتُه في المقهى بثياب)جرسون ففرحتُ برؤيته وناديتُه:

= فهمًا جذريًا،وإنما يتصرفون بناءً على تصوّر محدد هو أنه بالإمكان أن يقبل العرب وجود إسرائيل لو أحسنت إسرائيل معاملة العرب في الداخل. وقد يكون هؤلاء هم خير المثقفين في إسرائيل ولكنهم في حقيقتهم لا يختلفون عن غيرهم في تأييد قيام إسرائيل وبقائها فوق جثة العرب الذين خرجوا من فلسطين وتركوا أرضهم وتحولوا إلى لاجئين ولذلك فإنّ أمثال هذه المواقف بين المثقفين اليهود، لا تغير صورة إسرائيل الجوهرية وهي أنها دولة عنصرية، ترفع العنصر اليهودي على غيره، وخصوصًا العنصر العربي، وأنها دولة تقوم على أساس اغتصاب حقّ العرب. . . إنّ الخلافات بين الإسرائيليين هي خلافات في (الدرجة) وليست خلافات في النوع، أو اختلاف في الأسلوب الذي يجب أن يتبع لإفناء العرب والسيطرة على أرضهم.

محمدُ.. محمدُ!! إلاّ أنه نظر إليَّ غاضبًا وقال وهو يبتعدُ عنّي:

- اسمي موشى

ثم عاد بَعْد لحظة، وطلب أن يحدثني على انفراد قائلاً:

- أنتَ بالطبع لا تريد أن تخرّب بيتي.

- بالتأكيد.

- فإنَّ اسمي إذنْ هو موشى

- ولكن حدّثني شيئًا عن موشى هذا حتى أكون أكثر انتباهًا في المرات القادمة.

- أنا موشى بن شاؤول.. من مواليد تونس.. لقد كان أبي تاجرًا كبيرًا، وصديقًا حميمًا للرئيس بورقيبة.. ثم إنني مظلي مسرّح، وقد سبق لي أن اشتركتُ في عملية سيناء ضد المصريين .. فإذا سمعتني أتحدث بشيء من هذا القبيل فأرجوك ألا تتدّخل.

- كلا يا محمد، فإنني أعرف صاحب المقهى، وسأوصيه عليك جيدًا سأقول له: إنك عربي، ولا حاجة بك إلى الكذب. فابتسم عند ذلك ساخرًا وقال:

- لكن صاحب المقهى هو أول مَنْ يعرف أنني عربيّ، وهو الذي طلب منّي أن أُغيّر اسمي من أجل الزبائن..

وماذا عن التعليم..؟

لقد حالت الحكومات الصهيونية المتعاقبة في خطة مدروسة، دون تلقّي العرب ثقافة لائقة وصالحة، متوخية أن تجعل منهم أُميين، وأن تقتلَ فيهم كلَّ شعور بالاستقلال، وكانت تدابير تلك الحكومات تستهدف إفقاد العرب ثقتهم بأنفسهم وشعورهم بالانتماء إلى كيانٍ مستقل، هو والأغلبية على تعارض تام، هناك مدارس، وفيها طلاب ومعلمون.. ولكن الخطة ألا يكون هناك متعلمون واعون. ففي كلمة لمستشار الشؤون العربية بتاريخ 1961/4/4، قال: (لو لم يكنٍ هناك طلبة عرب بيننا، لكان الوضع أفضل، ولو أن العرب ظلّوا حمّالي حطب، لاستطعنا أن نتحكم فيهم بطريقة أسهل).

ولكن الدولة لا تحتاج إلى حمالي حطب وَخَدمٍ وكَنَسة فقط وإنما يلزمها اصطفاء نوعية من العرب تصلح لتأمين احتياجات الأحزاب والحكومة: في الإذاعة، والصحافة، أو في (الكنيست) أو فيما يسمى بـ (إدارة الشؤون العربية) التي تتوزع فروعها على الوزارات والمؤسسات. فمن أجل تلبية هذه الحاجة المحددة، كان لابُدَّ من السماح بنسبة

محدودة من التعليم العربي، على قدر تلك الحاجة، وضمن شروطها وأغراضها السياسية.

فعلى امتداد تسع سنوات تبتدئ بالعام الدراسي 1954 - 1955 وتنتهي بالعام الدراسي 1962 - 1963 كان مجموع الطلبة العرب الذين تمكّنوا أن يحملوا الشهادة الثانوية العامة 597 طالب أي بمعدل ستة وستين طالبًا في السنة.

وللمقارنة، فقد حمل الشهادة نفسها، في المدة نفسها من الطلاب اليهود 29046 طالب بمعدل 3227 طالب سنويًا، أي بما يقارب خمسين ضعفًا من الطلبة العرب الذين أُتيحت لهم مثل هذه الفرصة، في وقت لا يزيد فيه العنصر اليهودي عن العنصر العربي في الوطن المحتل عن تسعة أضعاف يقول الأستاذ صبري جريس في كتابه (العرب في إسرائيل) يُعزى إهمال الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة للتعليم بين العرب، إلى خطة مدبرة، تستهدف تحويل القسم الأعظم من الطلبة العرب إلى جماعة من الجهلة أو أشباه الجهلة، وإلى إنقاص الوعي القومي بين العرب المقيمين في فلسطين المحتلة سنة 1948، وإلى جعلهم في ريب من أنفسهم بصدد قوميتهم وإلى إيجاد حالة البلبلة في أفكارهم أمام المجتمع اليهودي .. إنَّ نسبة مئوية كبيرة من خريجي المدارس العربية الابتدائية، يقرأون اللغة العربية ويكتبونها بصعوبة، مع أنهم رضعوا لبان العروبة.. لقد حذفت من البرامج التعليمية في المدارس العربية قطع كبيرة من القصائد العربية المشهورة، والإنتاج العربي الذي كان لقاح

عقول الشعراء والكتاب العرب المشهورين.. وحلّت محلها قطع أدبية مبتذلة ضعيفة لكتاب مغمورين.. أضف إلى ذلك أن تعليم التوراة إلزامي في المدارس الثانوية العربية، في حين أن الديانتين الإسلامية والمسيحية لا تدرسان مطلقاً في المرحلة الثانوية.. كذلك لا تدرس بعض سور القرآن في المدارس الابتدائية العربية.

وقد حرّمت وزارة التربية والتعليم تدريس سورة الممتحنة لأن الآيتين الثامنة والتاسعة منها حوتا الحثّ على الجهاد ضد الذين قاتلوا المسلمين في دينهم وأخرجوهم من ديارهم.

.. ولذلك يقول سميح القاسم:

ما دامت في بلدي كلمات عربية
وأغانٍ شعبية
ما دامت مخطوطة أشعار
وحروب الدعوة في أرض الرومان
وفي أرض الفرس
ما دامت لي نفسي
أعلنها في وجه الأعداء
أُعلنها.. وليشبع من خبز العار
الجوفُ الجبناء.. وأعداءُ الشمس
ما زالت لي نفسي
وستبقى لي.. نفسي

وستبقى كلماتي.. خبزًا وسلاحًا
في أيدي الثوّار

وقد تسمح السلطات اليهودية بطبع بعض القصص التي تصدر في العواصم العربية، ليقرأها العرب داخل الكيان اليهودي، ولكنهم يحرصون على أن يختاروا من هذه القصص ما يكون بعيدًا عن القضايا الوطنية والثورية للأمة العربية. ومن الحوادث الطريفة في هذا الميدان أنهم سمحوا بطبع رواية (أنا أحيا) للكاتبة اللبنانية ليلى بعلبكي. ثم اكتشفوا أن الرواية تتضمن أفكارًا عنيفة لا تتفق مع تكوين إسرائيل والفكر الصهيوني، وكانت الرواية قد صدرت وقرأها العرب، وفجأة أصدرت السلطات قرارًا بمصادرة الرواية وجمعها من الأسواق.

كلُّ ذلك يكشف مدى الإرهاب الفكري الذي فرضته السلطات الإسرائيلية على العرب، حيث تعمل هذه السلطات على خلق حصار ثقافي خانق، يقضي عليهم فكريًا وروحيًا، بحيث ينعزلون عما يجري في الوطن العربي خارج أسوار إسرائيل، وبحيث ينعزلون عن بعضهم البعض، فلا يتجمعون في أيّ نوع من أنواع التجمع الثقافي أو السياسي، حتى يصبح العرب مثل النبات المنزوع من أرضه والمحروم من كلّ ظروف النمو والحياة.

والأرض.. مَنْ يملك الأرض، ومنْ يملك السيادة على الأرض هو جوهر الصراع. وكل الأساليب الإرهابية التي تستخدمها الصهيونية هدفها الأرض.. وقام الكيان اليهودي على أُكذوبة (أرض بلا شعب،

لشعب بلا أرض): فالإرهاب بالقتل هدفه إجلاء الناس عن أرضهم. والإرهاب الثقافي، هدفه تجهيل العرب، وقطع صلتهم بتراثهم، وإفقادهم الذاكرة التي تربطهم بالأرض. وفي سبيل الاستيلاء على الأرض سنَّت السلطات اليهودية مجموعة من القوانين التي تخولها الاستيلاء على الأرض التي تقع في حوزة العرب.. ومنها قانون (أملاك الغائبين) الذي يُعدُّ المالك العربيّ غائبًا عن أرضه (مع أنه مقيم عليها بلحمه ودمه) إذا ثبت عليه أنه في أيّ يوم سابق للأول من أيلول 1948 قد غادر البلاد إلى أيّ مكان خارج فلسطين أو إلى أيّ مكان داخل فلسطين نفسها كانت تسيطر عليه في تلك الساعة قوات أرادت منع قيام (دولة إسرائيل) أو حاربتها بعد قيامها كما يعدُّ غائبًا أيضًا كلّ عربي غادر محلّ سكناه في أيّ وقت واقع بين 29 تشرين الثاني 1948، وتاريخ الإعلان..

وجعلوا الله غائبًا واستولوا على الأوقاف:

وأكثر ما يثير الذهول تطبيق هذا القانون على أملاك الوقف الإسلامي في البلاد.. فحسب قوانين الدين الإسلامي تُعدُّ ملكية الوقف تابعة لله، ويحوّل دخْل هذه الأملاك لأبناء المسلمين أو لمشروع خيري، أو لهدف جُعلتْ هذه الأملاك وقفًا عليه وفي هذه الحال لا يمكن الافتراض أن المسلمين لم يَعُد لهم وجود في البلاد بعد قيام الكيان اليهودي.. ومع ذلك فقد نُقلتْ أملاك الوقف الإسلامي إلى القيّمُ على أملاك الغائبين، ربما كان ذلك على أساس الافتراض بأن الله (غائب) أيضًا - نستغفر الله - حسب قانون أملاك الغائبين.

وفي هذا يقول الشاعر راشد حسين:

اللـه أصبح (غائبًا) يا سيدي
صادر إذنْ حتى بساط المسجد
وَبع الكنيسة فهي من أملاكه
وبع المؤذن في المزاد الأسودِ
حتى يتامانا أبوهم غائب
صادر يتامانا إذنْ يا سيدي
لا نعتذر.. مَنْ قال إنك آثم
لا نعتذر مَنْ قال إنك معتدي؟!
حررت حتى السائمات.. غداة أنْ
أعطيتَ إبراهام أرض محمد(1)
هل شعبك المختار أَمْدَنُ سيد
أم شعبك المختارَ أَمْدَنُ معتدي
أنا لو عصرتُ رغيف خبزك في يدي
لرأيتُ منه دمي يسيلُ على يدي

(1) إبراهام: رمز من رموز اليهود، أو من شخصياتهم الأسطورية، وليس هو إبراهيم الخليل عليه السلام. لأنه لم يثبت تاريخيًا أن موسى وقومه من نسل إبراهيم، فكيف يثبت ليهود اليوم الأوروبيين والروس.. أنهم من نسل إبراهيم. فاليهود تجمّع ديني لا يقوم على نسب، لأنه لم يثبت لهم نسبٌ واحد وما كان إبراهيمُ يهوديًا.

الشعراءُ قادة المعركة

في ظلّ هذه الظروف القاسية التي وصفناها: كان لابُدَّ من ثورة ثقافيّة تقود الشعب الفلسطيني الذي يتعرض للقهر والإرهاب في صوره المتعددة، ويتناول أرضه، وذاكرته وجذوره وتاريخه.. وقد تركنا العرب الفلسطينيين تحت نير الاحتلال، بلا قيادة سياسية أو عسكرية أو ثقافية، وتناستْ الأنظمة العربية يومئذ وجوده، ولم تخصص له في إذاعاتها الكثيرة لحظة لتوجيهه وربطه بأمته.

وقد عهدنا في الثورات أن يقودها السياسيون والعسكريون، ويدعمهم اللسان الثقافي والأدبي.. ولكننا وجدنا في التجربة الفلسطينية العربية أن القيادة كانت للكلمة النابضة بالحياة، ولم يكن في الميدان غيرها.. وفي غياب القيادة السياسية والعسكرية رأى الشعراءُ أنهم قادة شعبهم الذين يتحملون في سبيله، ما تحمَّله الأنبياء في سبيل دعوتهم، وفي تثبيت أقدام أتباعهم وشحنهم بعزيمة الصبر على المكاره.

لقد تحمّل الشعراء المسئولية، وقهروا في أنفسهم الخوف الأعظم (الموت) فزالت من أمامهم المخاوف الأخرى الهزيلة القائمة في الحياة

وزالت كلمة (الشكوى) من قاموسهم حتى وهم تحت سياط الجلاد لقد كان أحدهم - وهو في النَّفَس الأخير - يصرخ في وجه جلاده لتكون صيحة الغضب الأخيرة التي ستدوّي من بعده في آذان الآخرين لتكون خميرة الثورة، خميرة الأيام القادمة.

فهذا سميح القاسم يعنون أحد دواوينه (دمي على كفّي) ويقول في قصيدة بعنوان (خطاب من سوق البطالة):

ربّما أفقدُ - ما شئت معاشي
ربما أعرضُ للبيع ثيابي وفراشي
ربما أعمل حجّارًا.. وعتّالاً، وكنّاس شوارع
ربما أبحثُ في رَوْث المواشي عن حُبوب
ربما أخمدُ.. عريانًا.. وجائع
يا عدوّ الشمس.. لكن.. لن أساومْ
وإلى آخر نبضٍ في عروقي.. سأقاومْ
ربما تسلبني آخر شبر من ترابي
ربما تطعمُ للسجْن شبابي
ربما تسطو على ميراث جدّي
مِنْ أثاثٍ.. وأوانٍ.. وخوابٍ
ربما تحرق أشعاري وكتْبي
ربما تطعمُ لحمي للكلاب
ربما تبقى على قريتنا كابوس رُعْبٍ

يا عدوّ الشمس.. لكن .. لن أساوم
وإلى أخر نبْضٍ في عُروقي سأقاومْ
...

وكانت عقوبة السجن أقلّ ما يقع على أعلام شعراء المقاومة، ولكنه في نظرهم (سجن عليّ بن الجهم) حيث يقول:

قالوا حُبستَ فقلتُ ليس بضائري حبسي وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ
والحبْسُ إن لم تَغْشَه لدنيّةٍ في الدهر.. نِعْمَ المنزل المتودّدُ

بل كان كلُّ شاعرٍ يردد كلمة يوسف ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ (يوسف: 33).

وربما كانت العبارة المتداولة على ألسنة (الفُتّوات والقبضايات): (السجنُ للرجال) قد جاءَت من عُهود الظُلْم، حيث يُسْجَنُ الرجالُ المقاومون ويصفهم الظالمون بأنهم (لصوص وأشقياء).

الفطرة العربية في دماء الشعراء:

إنها الفطرة والسليقة العربية الكامنة في قلوب ودماء هؤلاء، هي التي أنبتتْ هؤلاء الشعراء، وأنطقتْهم بالشعر.. قلّة من الناسِ أهملها ملايين العرب ولم يولوها أية رعاية.. تُركوا بلا كتب، ولا مكتبات، ولا مدارس، ولا قدوة يقتدون بها ويسمعونها ثم تنبتُ نابتةٌ تقول الشعر الذي فاق في تأثيره أكداس الشعر التي قيلت في عواصم العرب كلها..

لقد رحل - ولا نقول هرب خوفًا - كلُّ الشعراء والأدباء والخطباء والكُتّاب الذين عاشوا مرحلة النكبة سنة 1948، رحلوا حيث يظنون الأمن والأمان، أو يظنون الإعداد لمرحلة الكَرِّ بعد الفرّ.. ووُلد في الأرض المحتلة جيل يتيم، لأنه فقد الأبوّة الأدبية فكيف نبتَ جيل الشعراءُ والأدباءُ الذين حملوا مشعل القيادة بالكلمة القويّة؟ في الحديث (كلُّ مولودٍ يولد على الفطرة..) وهذه الفطرة الدينيّة، ويبدو أن هناك فطرة قوميّة أيضًا تجري في الدماء.. وقد قال أحد المغنين في عصرنا (الأرض بتْتكلم عربي) ويبدو أن هذا التعبير حقيقة وليس مجازًا وقد قال أحمد شوقي في وصف دمشق:

هـذا الأديـمُ كـتابٌ لا كفـاءَ لـه ... رثُّ الصحائف باقٍ منه عنوانُ

.. ونحن نرى أن الشاعر لم يحسن التعبير عندما وصف الكتاب الذي لا كفاء له (رثّ الصحائف) لأنَّ أديم الوطن لا تبلى صحائفه، وإنما تبقى جديدة ناصعة ناطقة بأفصح آيات البيان وأحسن من قول شوقي، قول أبي العلاء المعرّي:

خفّف الوطء ما أظن أديم ... الأرض إلا من هذه الأجساد

وقبيح بنا وإن قدم العهدُ ... هوان الآباء والأجدادِ

شعراء قادوا معركة البقاء:

.. فهؤلاء الشعراءُ كانوا يهاتفون أديم أرضهم، فيسمعون أصوات الأجداد تدعوهم إلى الوفاء والبرّ والصمود في حُضْن أمهم الأرض..

والمدهش أنّ هؤلاء كثرة، وليسوا قلة، بالقياس إلى المواطنين العرب الذين ثبتوا على أرضهم.. في الإحصاء، أن عدد العرب الذين لزموا بيوتهم سنة 1948 بلغ حوالي 160 ألفاً وما تكاد تنتهي سنوات الخمسينات، ونطل على أوائل الستينات حتى وصل إلينا أصوات أكثر من أربعين شاعرًا وأديبًا،ولا شكّ أن أصواتًا أُخرى لم يُتح لها اجتياز السور الحديدي المضروب حولهم، وجلُّ هؤلاء الأدباء أو أكثرهم كان من الجليل..

وإليك هذه الأسماء:

- محمود درويش - من البروة في الجليل
- توفيق زيّاد من الناصرة
- سميح القاسم من الرامة
- نايف سليم من الجليل
- حنا أبو حنّا من الناصرة
- محمود الدسوقي من الطيرة في المثلث
- حبيب قهوجي من فسّوطة
- توفيق فياض من حيفا
- فوزي الأسمر من اللد
- سالم جبران

- فهد أبو خضرة
- أحمد حسين
- راشد حسين
- عصام عباسي
- عطا الله منصور
- إبراهيم مؤيد
- زكي سليم درويش
- جمال قعوار
- أحمد يونس من عارة
- نبيل عويضة
- سليم يوسف جبران
- بشير خير
- عدوان ماجد
- طارق عون الله
- أحمد مصطفى كيوان من أُم الفحم
- هايل عساقلة
- فتحي قاسم من الناصرة

- فوزي جريس عبدالله
- يوسف حمدان
- جورج فرح (من حيفا)
- أدمون شحادة من الناصرة
- عمر حمودة الزعبي
- شفيق حبيب
- ميشيل حداد
- نديم طعمة بطحيش
- حبيب شويري
- شكيب جهشان
- عبدالمنعم عواد يوسف
- شادي الريف

وقد حمل هؤلاء الشعراء فيما حملوا من مسئوليات، تثقيف الأجيال الناشئة بكل عناصر قضيتهم الكفاحية.

فهذا الشاعر (حنّا أبو حنّا) يقف رائدًا من رُوَّاد الشعر النضالي التثقيفي، ويحدث ابنه شعرًا فيقول:

سأروي لك اليوم يا ابني حكاية
حكاية قرية
فأرض بلادك يا ابني رواية
كفاحُ ضحيّة
تلوك العذاب
وتبصقه في عيون الطغاة
تضمّد بالصَبْر كيد الجراح وويل العتاة
وتصمد حيّة
تدوسُ المنيّة
وتحيا أبيّة
...
بلادي يا ابني بلادي الجميلة
وهذي الرُّبى والمغاني الظليلة
كم ظللتها غيومُ الغُزاة
فأمطرت الويل مُرًّا جناه
طوال سنين
طوال قرون
ولكنها
كأيوب صابرت العاديات
وأشعلَ إيمانها بالحياة
سِراجَ أملْ

وَقَبْلَ سنين
شُرِّدَ يا ابني شعبي
وعاشتْ ببيْدره عاصفه
سفتْه بكلِّ مهبّ
فبُعثر فوق الصخور
على كلِّ سفْح ودرْب
تشتّتَ يا ابني شعبي
...
وظلّت هنا في بلادي بقيّة
بقية شعْب
تغرسُ أقدامها في التراب
لترسخ فيه جذورًا قويّة
وأجفانها علقتْ بالسحاب
لتلمح خيْط ضياء
يشقُّ غيوم عذاب
...
وكانت جريمتُنا أنّنا
بقينا هُنا
على أرْضنا
فغصّوا بنا
وكادوا لنا

فدقّوا الأسافين في روحنا

وبالغدْر قد لغموا أرضنا

...

وأَمَّا الحكاية يا ابني

فموجة بحرٍ كفاح كبير

وصفحة سفر صراع مرير

حكاية قرية

تُزَيّنُ صَدْر الجليل النضير

بطُهْر الجبينِ وبأس الحميّة

قبل سنين

أفاق الصباحُ هناك

على هول صوت العراك

وقد نُثر الجنْدُ فوق الدروب

وبَيْن البيوت تعالى نحيب

هنا وهناك

وومضُ الحرابِ

يهلُّ على كلِّ باب

فيقتلعُ الطفل من أُمه

ويقتلعُ الأمَّ من بنيها

يسوقُ الرجال يسوقُ النساء

مواكب مذعورة في العراء

لتُقْذفَ خَلْف الحدود
بعيدًا بعيدًا
وتُمْلأَ سيارة ثُمَّ أُخرى
وتهدِرُ في صَلَفٍ وغرور
لتقذِف شحنتها البشرية
بعيدًا وراءَ الحدود
وتزحفُ.. لكنها تُذعرُ
ففي الدّرْب سدٌّ صدور قفي.. أو
علينا ازحفي
قِفي يا وحوشَ الفجور
كَفٌّ يلاطِمُ مخرزْ
ويلطمُ وجْه الفجور
وينتصرُ الشعبُ يا ابني
ويخذلُ ما بيتَ الظالمون
وعاد الضحايا.. فما شُرِّدوا
وراحِ الطغاة وهم يرعدون
وسدٌّ الصدور
أمضى سلاح
أضحى شعار الكفاح.

.. وذيّل الشاعر قصيدته بتاريخ سنة 1960.

الشعر يقف في الثغور الأمامية:

فقد كان هذا الشعر مولود زمن عاصف من تاريخ الشعب العربي في هذه الأرض المحتلة. وقد فجّرت هذه العاصفة كلَّ الطاقات الثورية لدى الشعب، وإذا الإنسان الشعبي هو البطل الحقيقي وتفجّر تبعًا لذلك الشعر من أعماق العاصفة.. ولكنه ليس الشعر الذي يصفّقُ للجماهير الثورية ويمشي وراءَها مهلّلا.. بل هو الشعر الذي يتقدم هذه الجماهير، حتى إذا بلغتْه تمازج معها تمازجًا عضويًا واستوعب الثورة استيعابًا واعيًا بكلِّ أبعادها الفكرية والحسيّة والوجدانية.

ومن هنا تمثّلت على ملامح هذا الشعر، ملامح الشعب المناضل الذي يحاول المحتلُّ أن يفرغه من كلّ مضموناته القومية والتاريخية والاجتماعية.

فالشعرُ يقفُ في الثغور الأمامية من المعركة العاتية، ليشحن بالعواطف ويعين على الصمود وعلى كسب معركة البقاء.. وهذا الشعر حين ينطلق من فم الشاعر إنما ينطلق من ألف فمٍ وفم، فلا تحسُّ فيه بأثر من آثار الفردية أو الانعزالية، وإنما هو صوت جماعة متعاونة متآزرة يشدُّ بعضُها بعضًا.

فلنستمع إلى الشاعر فتحي قاسم من الناصرة، يصوّر صمود قومه بعنوان (هنا جذري) سنة 1968 يقول:

سأبقى رغمْ إذلالي
وجرحي والأسى المقوت

هنا في حصْن أجدادي
وأرضي والسنى الموروث
سأبقى رغم إذلالي
ولن أرحل
هنا جذري وتاريخي
وقصة حبي الأول
بعزمي والدم الغالي
بإصراري
سأُسقط حكمك العاري
من الإيمان والعدل
وأهتف رغم آلامي
ورغم البغض والذل
هنا وطني
فمُت في حقدك المغموس بالعار
ولن أرحل
هنا جِذري وتاريخي
وقصة حبي الأول

الوطن هو الموضوع الرئيسي للشعر:

ولم يَعُد الشعراء يستطيبون الشعر الذي يكتبُ في وصف الغواني أو وصْف أحلام غريبة، وإنما استعذبوا حكايا البطولات ولم يعودوا

يستعذبون الشعر الخيالي، بل عمدوا إلى التغني بالنضال فلنسمع للشاعر أدمون شحادة - من الناصرة - يصوّر هذا التحوّل:

يكتبُ الشعْرَ أُناسٌ طيبون

أو أُناسٌ تافهون

بعضهم يكتبُ شعرًا للغواني

يتغنى بالقيان

ربما يكتبُ عن قيس وليلى

عن (كريستين) وعن حبّ غريب

غيرهم يكتبُ للشعب حكايا

عن بطولات أصيلة

وجميلات صبايا

يقتحمن الموت في أرض البطولة

بينهم مَنْ يكتبُ الشعر الخيالي

ويذيب العمر في كأس الليالي

بينما نرفعُ أشعار النضال

صوت شعب يتحدّى المستحيل

صوت شعبْ

يصنعُ الأبطال جيلاً بَعْد جيل

الإصرار على النسبة العربية:

ويصرُّ الشعراء على إثبات نسبتهم إلى العرب، الذين نبتوا في أرض فلسطين ولم يهاجروا إليها، وكان وجودهم فيها قبل أن يعرف الناسُ الزمان والتأريخ. يقول محمود درويش بعنوان (بطاقة هويّة):

سجّلْ
أنا عربي
ورقم بطاقتي خمسون ألفًا
وأطفالي ثمانيةٌ
وتاسعهم.. سيأتي بعد صيفْ
فهلْ تغضبْ
سجّلْ أنا عربي
وأعمل مع رفاق الكدْح في محجر
وأطفالي ثمانية
أسلُّ لهم رغيف الخبزِ
والأثواب والدفتر
من الصخْر
ولا أتوسل الصدقاتِ مِنْ بابكْ
ولا أصغرْ
أمام بلاط أعتابك
فهل تغضبْ

سجّلْ
أنا عربي
أنا اسم بلا لقب
صبورٌ في بلادٍ كلّ ما فيها
يعيش بفورة الغضب
جذوري
قَبْلَ ميلاد الزمان رستْ[1]
وقبل تفتُّح الحقَب
وقبْل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب
أبي من أُسرة المحراث
لا من سادة نُجُبِ
وجدّي كان فلاحًا
بلا حسبٍ ولا نَسَبِ
وبيتي كوخ ناطور
من الأعواد والقصب
فهلْ تُرضيك مَنْزلتي

(1) هذه إشارة ذكيّة إلى أن الجنس العربي في فلسطين لم يأت مع الفتح العربي الإسلامي، وإنما كان موجودًا منذ أول عمران بشري لهذه الأرض، ولم يمرّ زمن خلت فيه فلسطين من العرب.

أنا اسمٌ بلا لقبِ

...

سجّلْ

أنا عربي

ولون الشعر.. فحميٌّ

ولونُ العين.. بُنيّ

وميزاتي:

على رأسي عقالٌ فوق كوفيّة

وكفّي صلبةٌ كالصخْر

تخمشُ مَنْ يلامسُها

وأطيبُ ما أُحبُّ من الطعامِ

الزيت والزعتر

وعنواني:

أنا مِنْ قرية عزلاءَ.. منسيّة

شوارعها بلا أسماء

وكلُّ رجالها في الحقْل والمحْجر

فهل تغضب

سجّلْ أنا عربي

سلبتَ كروم أجدادي

وأرضًا كنتُ أُفلحُها

أنا وجميع أولادي

ولم تترك لنا.. ولكلِّ أحفادي
سوى هذي الصخور
فهل ستأخذها
حكومتكم.. كما قيلا
إذنْ
سجل.. برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكره الناسَ
ولا أسطو على أحدٍ
ولكنّي.. إذا ما جعتُ
آكلُ لحمَ مغتصبي
حذار.. حذارِ.. من جوعي
ومِنْ غضبي

الفنون الشعبية في المعركة:

وبسبب سياسة الاضطهاد القومي الذي يصبح هؤلاء الشعراء على تعسفها ويمسون، وبسبب المحاولات المتتابعة لإضعاف الصلة بالماضي التي تنتهجها السلطات الحاكمة قامت الرغبة المضادة لدى الكثيرين من الشباب للتعلّق بهذا التراث ومحاولة إتقان فروعه المختلفة من غناءٍ ورقص.

فقد أحسّ هؤلاء الشباب العرب بأهمية الفنّ الشعبي الأصيل منبعًا من منابع القوى التثقيفية المحفزة لمجموع الناس حيث تستثير

فيهم أصفى المشاعر الإنسانية الخالصة مما جعل هؤلاء الشباب المثقفين يجمعون الباقات من الأغاني الشعبية التي تعبّر عن الشهامة والرجولة والشرف والجمال والحبّ وخصوصًا حبّ الوطن، وحب الأرض وحبّ الناس.

والعدوّ الصهيوني الذي اغتصب أرضنا، يعمل بصورة ساخرة على اغتصاب تراثنا الشعبي. فهو يجمع كلّ ما له علاقة بفلسطين من أغان ورقصات شعبية وحكايات وآثار، وأكلات شعبية وينسبها لنفسه. وعلى سبيل المثال اتخذت شركة (العال) الإسرائيلية قرارًا بتوحيد لباس مضيفاتها، وباختيار الثوب الفلسطيني، وبالتحديد ثوب نساء منطقة رام الله والبيرة والقدس والخليل نموذجًا لهذا اللباس.

وقد غنى اليهود (الدلعونا) بوصفها أغنية من أغانيهم، مع أن هذه الأغنية لا تغنّى خارج المنطقة التي أقام فيها الكنعانيون حضارتهم..

فاليهود الذين تجمعوا من أكثر من مائة دولة غريبة عن دنيا العرب ليس لهم تراث شعبي متصل بأرض فلسطين التي احتلوها وزعموا أنها حقهم التاريخي، وكلّ ما يملكون من تراث شعبي يتصل بالبلدان التي جاءوا منها، فأخذوا التراث العربي الفلسطيني وسبقونا إلي تسويقه وتصديره إلى العالم، ليقولوا إنهم السابقون وأن العرب مقلدون..

ولذلك كان الاهتمام بالتراث الشعبي له أهميتُه الثقافية والوطنية والسياسية.

يقول الأستاذ غسان كنفاني في كتابه (أدب المقاومة في فلسطين المحتلة) إن الأدب الشعبي ظلّ بعد كارثة سنة 1948 هو المكان الذي عبّر فيه الشعب المغلوب على أمره عن أشواقه، وأن الشعر الشعبي في الأرض المحتلة لم يكفَّ عن القيام بدوره في المقاومة، مستعملاً الوسائل التي يستطيع الذكاء الشعبي تجنيدها ليجعل منها سلاحًا وقت الحاجة.

وكثير من عرب الأرض المحتلة يعتقدون أن مصرع الشاعر الشعبي المعروف باسم (حميد) في أُم الفحم في أواسط الخمسينات،وهو على رأس تجمّع، كان محاولة للوقوف في وجه آلاف من المواويل والعتابا والميجانا التي كان يزرعها في طول الجليل وعرضه ضد الاغتصاب وحكم الاغتصاب ومن الشعر الشعبي قول عدوان ماجد بعنوان (صار لي زمان):

الليل تاكي عالدروب وعالْحيطانْ
وقلبي وسع هالْكون.. لولا شوي
غنيت لبلاد المحبّة من زمانْ:
غالي عليّ كثير اسمك يا وطنْ
وصار لي زمانْ بغربتي حزنانْ
شُفْتَكْ عَوَجْه الغيم لما طَلّ
يشْتي على الزرعات
ويغسل العنزات
وطول المسا كان النسيم يهلّ

عنّك حكايا والرياح تْجود
من ناحة الأرض التركناها
وما قلنا لها
قبل الصبح منعود

للجيل الناشئ:

وللجيل الناشئ - للأطفال - نصيب كبير في شعر الأرض المحتلة ومن هنا، كان لشعرهم طعم البراعم،وتفتح الحياة البكر، ونبض السنوات الآتية، ووهج الغد المشرق، وترانيم الأحفاد،ولهو الأطفال، وأمل الجيل الجديد.. كل ذلك في جوانح الحاضر.. وفي نبضه ودمه.

فحين يكتب الشاعر جورج جريس فرح - من حيفا، عن صحارى التيه يختم قصيدته، متطلعًا إلى المستقبل:

يا رفاقي
كيف نمضي تاركين الرملَ رَمْلا؟
كيف نمضي تاركين الأرض للأحفاد مَحْلا؟
كيف لا نرفع رايات الهداية
كيف لا نروي لهم كلَّ الرواية
كيف لا نروي لهم.. كي لا يضيعوا
مثلما من قَبْلُ في الصحراءِ ضِعْنا

وقد رأينا في الصفحات السابقة كيف روى الشاعر حنا أبو حنا حكاية قريته لابنه الصغير.

كذلك يفعل معظم شعراء الأرض المحتلة، الذين يؤرقهم مصير أحفادهم وأولادهم وإخوتهم، وهم أحرص الناس على رايات الهداية لهم وإطلاعهم على أصدق الأنباء فيما يتصل بحكاية أرضهم، والنضال في سبيل أحفادها.

وحين يكتب راشد حسين قصيدة يتوجه بها إلى كلّ الأطفال وإلى أخيه فتحي، فيقول:

لأجلك أنت يا فتحي وصدّقني لأجلك أنت
حَطَمْتُ القُفْلَ عن شفتَيَّ.. عن قلبي ذبحتُ الصمت
لأكتب هذه الأبيات سدًّا في طريق الموت
لأجلك أنت يا فتحي وصدِّقني لأجلك أنت
أصبُّ الحرف فوق الحرف.. حتى نلتقي في بيت
فنفسُ الشمس يا فتحي التي تغسل جرح التين
يصبّغُ شَعْرها بالدم في (أوراس) جلادّون
ونفس الشمس تشوي القمح تبرًا في حقول الصين
وتحلب في قرانا الدمع من جبهات فلاحين
ومع هذا.. رأيتُ القَصْر يأكلُ في بيوت الطين
ولن تفهم يا فتحي ولكن في غدٍ تكبر
ويمشي الحقلُ في عينيك يندى عرقًا أخضر
وفي رئتيه مصلوب صبيّ الزارع الأسمر
ومَنْ يدري فقد تؤمن بالواقع أو تكفر

فإن تكفر به تكبر وإن تؤمن به تصغر

وبعد حديثه عن الشمس لأخيه فتحي يتحدث في مقاطع طويلة عن العيد ويختم هذه المقاطع بمقاطع عن الشرق تنتهي به إلى ما يلي:

ولن تَفْهم يا فتحي غلام الشرْقُ عافَ الصمت
وفيمَ تقيّأ الموتى وأعطى الموت جسْر الموت
وفيم بكيت قدّامك فيم كتبتُ هذا البيت
ولكن في غدٍ تنمو وتفهم كلّ ما سطرت
لأجلك أنت.. للأطفال.. صدقني.. لأجلك أنت

شعر المقاومة:

ويمتاز شعرُ المقاومة الذي نبت وترعرع في الأرض المحتلة سنة 1948، بالروح المتفائلة العالية التي لا تعرف اليأس، ولا ينتابها أنين الحُزْن.. هكذا بدأت، واستمرت كذلك حتى في أقسى النكسات التي ألّمتْ بالأمة العربية، حيث كانوا يتطلعون إلى ومضة ضوءٍ تتسرّب إليهم.. وفي الوقت الذي أحاط الإحباط بنفوس الشعراء العرب - معبرين عما يعتمل في نفوس الأُمة - كانت همم شعراء المقاومة في الأرض المحتلة متوثبة لا تعرف الانكسار..

ولنسمع توفيق زيّاد، يقول في تشرين الأول سنة 1967.

يا بلادي.. أمس لم نَطْفُ على حفنة ماء
ولذا لن نغرق الساعة في حفنة ماء

من هنا مرّوا إلى الشرق غمامًا أسودا
يطأون الزهر والأطفال والقمح وحبات الندى
ويبيضون عداوات وحقدًا وقبورًا ومدى
من هنا سوف يعودون وإن طال المدى

.. ويخاطب اليهود قائلاً:

لا تقولوا لي: انتصرنا
إنَّ هذا النصر شرٌّ من هزيمة
نحن لا ننظر للسطح.. ولكنا
نرى عُمْق الجريمة
لا تقولوا لي: انتصرنا
إننا نعرفُ هذي الشطارة
إننا نعرف الحاوي الذي
يعطي الإشارة
إنه سيدكم يلهث
في النزع الأخير
إننا نسحبه - من أنفه - سحبا
إلى القبر الحقير
إنكم تَحْيون من عشرين عامًا
حُلْم صيفٍ ذا رُواء
وتصيدون لأمْرِ الغير

في بحر دموع ودماء
إنكم تبنون لليوم وإنّا
لغدٍ نُعلي البناء
إننا أعمق من بحرٍ وأعلى
من مصابيح السَّماءْ
إن فينا نفسًا
أطول من هذا المدى الممتدّ
في قلب الفضاء.
أيُّ أُمٍ أورثتكم يا تُرى
نصف القتال
أيُّ أم أورثتكم ضفة الأردن
سيناء وهاتيك الجبال
إن مَنْ يسلب حقًا بالقتال
كيف يحمي حقّه يومًا
إذا الميزان مال
...
ثم ماذا بَعْدُ.. لا أدري .. ولكن
كلّ ما أدريه أن الأرض حُبْلى والسنون
كلُّ ما أدريه أن الحقَّ لا يفنى
ولا يقوى عليه غاصبون
وعلى أرضي هذي

لم يُعمّر فاتحون

...

فارفعوا أيديكم عن شعبنا

يا أيها الصُّمُّ الذين

ملؤوا آذانهم قطنًا وطين

...

إننا للمرة الألف نقول:

لا وحقّ الضوءِ

من هذا التراب الحرّ

لن نفقد ذرّة

إننا لن ننحني

للنار والفولاذ يومًا

قَيْدِ شعره

كبوةٌ هذي وكم

يحدثُ أن يكبو هُمام

إنها للخلف كانت

خطوة من أجْل عشْر للأمام

وهذا التماسك في أشدّ الظروف زعزعة وليد موقف كبير عظيم - فلا الحديد ولا الفولاذ، ولا النار، استطاعت أن تحوله عن تصميمه. وهو يقول هذا، ويقف هذا الموقف وجهًا لوجه أمام الأعداء المدججين

المنتصرين. فهو لا ينظر إلى السطح وإنما يرى عمق الجريمة ويدرك الأبعاد وراء نكسة حزيران لدى العرب، وانتصار حزيران لدى الصهيونية.

تأثير شعر المقاومة:

وكان لهذا الشعر - شعر المقاومة في فلسطين المحتلة سنة 1948- تأثيره في الشعراء الآخرين - من شعراء فلسطين في الضفة الغربية وقطاع غزة - قويًا وشديدًا.

فحين التقى الشعراء - بعد النكسة - وشدّت الأيدي على بعضها البعض وتعانقت الرؤوس وامتزجت القلوب، رأينا أثر شعراء الأرض المحتلة سنة 1948 أقوى في شعراء الضفة الذين التقوا بهم.

ويتضح هذا الأثر في التطور والتغيير الذي سارعت إليه الشاعرة فدوى طوقان. حيث كان شعرها صورة حية لتطور الحياة الشعرية في فلسطين بعد النكبة.

فإننا عندما نتدرج في قراءَة هذا الشعر مع الزمان، نجد صورة وجدانية لحياة المجتمع الفلسطيني وتطورها بفعل تطور الأحداث المشتملة عليها.

فقد سكن الشاعرة منذ عام 1948 حزْنٌ أسود.. ولكنها حين تتهيأ للاندماج في الجماعة والتعاطف مع المجموع، وحين تسند رأسها إلى رؤوس رفاقها الشعراء في الأرض المحتلة بعد حزيران الأسود.. تنطلق الأماني نحو آفاق واحدة.. وإذا صوت الجماعة وهموم الجماعة وغايات

الجماعة تتردد أصداؤها في شعر جديد متفتح متفائل يدرك أبْعاد كيونتها وقضيتها الكبرى.. وتدخل فدوى في مرحلة جديدة بعد لقائها في حيفا مع شعراء الأرض المحتلة وتهديهم قصيدة (لن أبكي) فتقول فيها:

مسحتُ عن الجفون ضبابة الدمع الرمادية
لألقاكم وفي عينيّ نور الحبّ والإيمان
بكم.. بالأرض.. بالإنسان

وهاأنا يا أحبائي هنا معكم
لأقبس منكُمُ جمرة
لآخذَ يا مصابيح الدُّجى من زيتكم قطرة
لمصباحي وهاأنا يا أحبائي
إلى يدكم أمدُّ يدي
وعند رؤوسكم أُلقي هنا رأسي
وأرفع جبهتي معكم إلى الشمس
وهاأنتم كصخر جبالنا قوة
وهاأنتم كزهر بلادنا الحلوة
يمينًا بَعْدَ هذا اليوم لن أبكي

هذا الشعر الثوري، على هذا المستوى في الأرض المحتلة، بلغ هذه القمم فما سرُّ هذا النموّ السريع، حتى يبلغ هذه القمة؟

وهؤلاء الشعراء أصحاب هذه الروائع، أفراخٌ مَنْ مِنَ الرعيل السابق وهل بدأ هؤلاء الشعراء دروبهم من أول الطريق.. من جديد أم واصلوا السير الذي بدأه أصحاب المعركة الأوائل؟

وما هي المميزات الخاصة بهؤلاء الشعراء، وبشعرهم الذي تردد صداه في خنادق الجبهة الوطنية والإنسانية العامة ضد الاستعمار والظلم الاجتماعي، ما هي السمة الخاصة التي تلوّن هذا الشعر الثوري.

كيف يمكن تشخيص ومعرفة هويته؟ الأجوبة عن هذه الأسئلة طويلة، ولها تفصيلات، ومكانها كُتُب النقد الأدبي، وإنما أوجزنا قصته للتأريخ الوطني وبيان المحرضات للتمسك بالهويّة العربية، في وقت كان القابض على عروبته كالقابض على الجمر..

ولكنني أستطيع أن أجزم أن سرّ النجاح كامن في أن القيادة كان للأُمّ، وأُمُّ الناس هي (الأرض) هي المربية وهي التي تحنو على مَنْ يلجأ إليها ويأوي إلى أحضانها، كما قال الشاعر القديم:

والأرضُ معقلنا وكانت أُمَّنا ... فيها مقابرنا وفيها نولدُ

وقال:

منها خُلِقْنا وكانت أُمَّنا خُلِقَتْ ... ونحن أبناؤها لو أننا شُكُرُ
هي القرارُ فما نبغي لها بَدَلاً ... ما أرحم الأرض إلاّ أنَّنا كُفُرُ

... لم تكن قد برزت إلى الساحة زعامات سياسيّة أو أحزاب تبحث عن الزعامة، وأرجو ألاّ تظهر، لأنها ستكون وبالاً، يفصل الأبناء

عن أُمّهم (الأرض) وتكون القيادة للهوى الفرديّ، كما رأينا جميع الزعامات العربية في القرن العشرين، وفي مطلع القرن الحادي والعشرين.

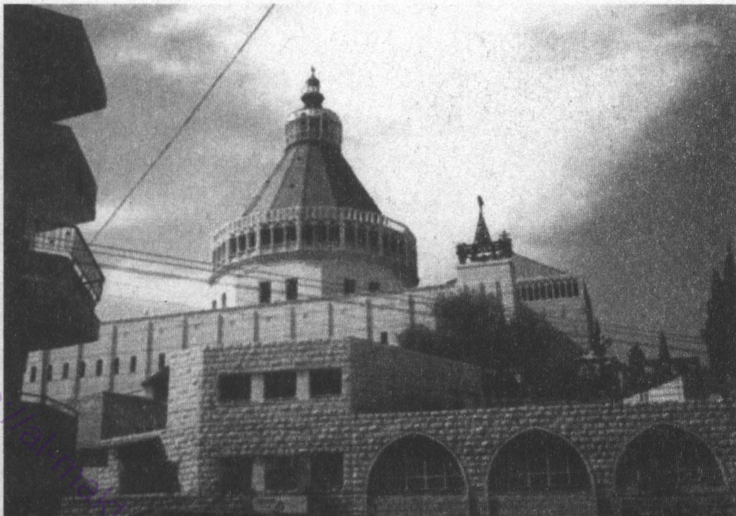
هذا آخر كتاب (مدينة الناصرة)

كتبه / محمد محمد حسن شُرّاب

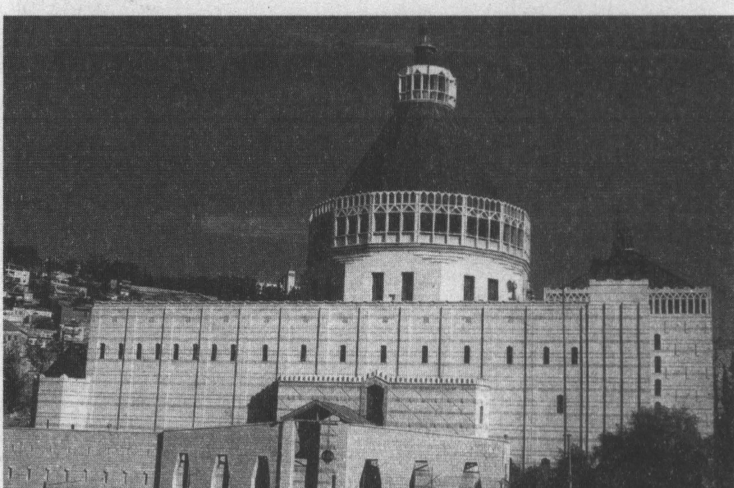






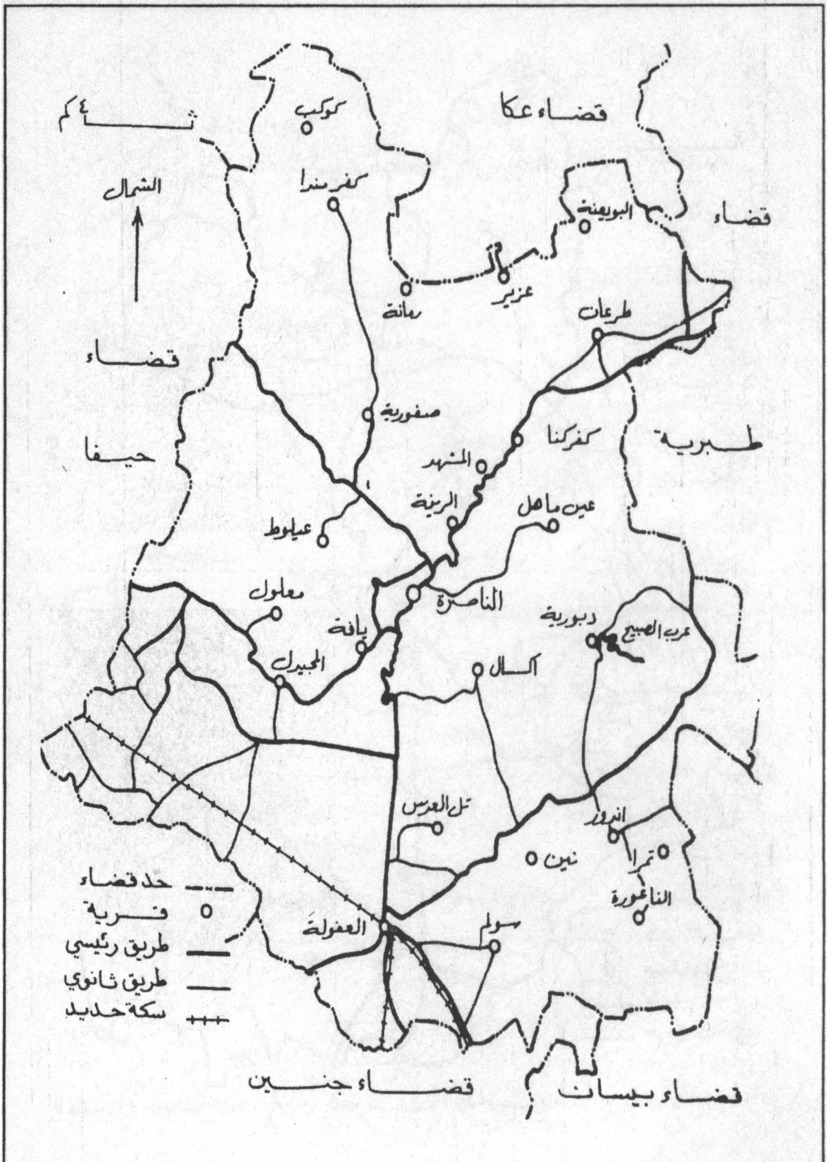


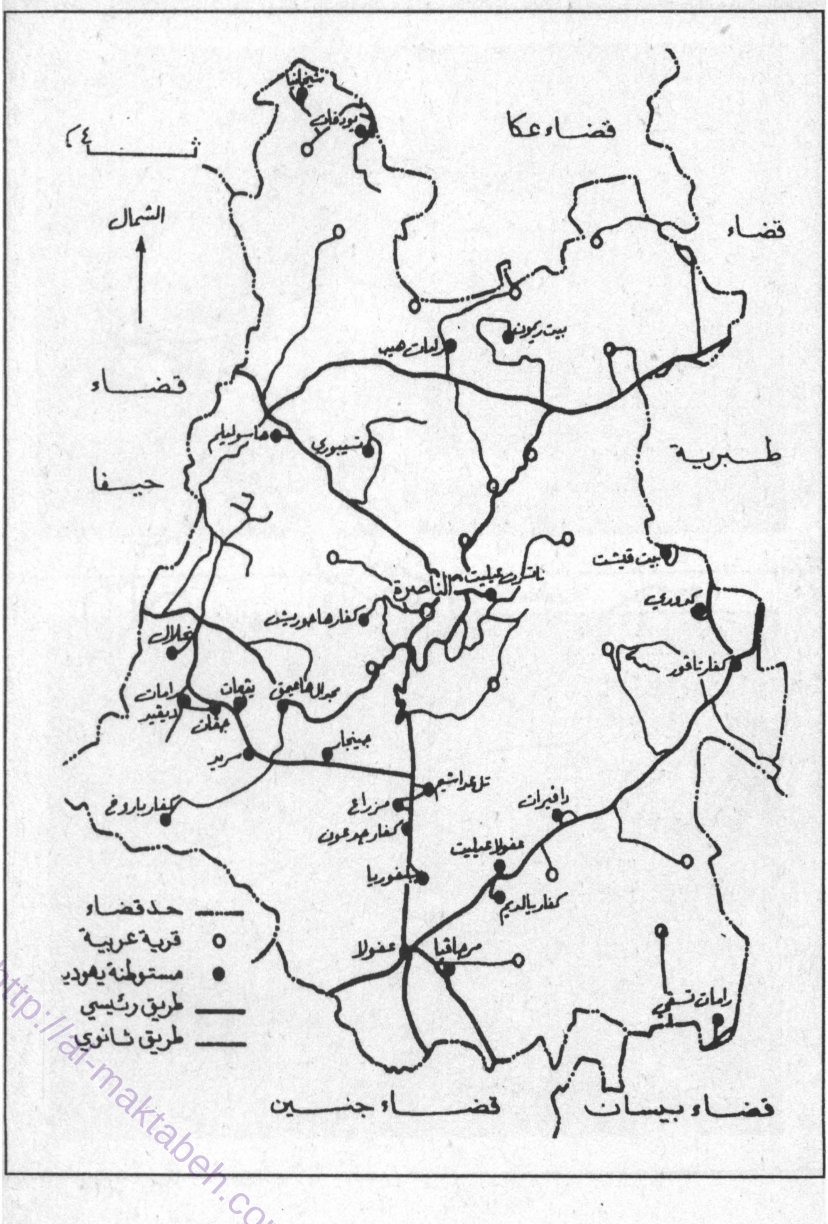









قضاء عكا
قضاء
طبرية
قضاء
حيفا
قضاء جنين
قضاء بيسان
الشمال
٤ كم
كوكب
كفر مندا
رمانة
عزير
البويعنة
طرعان
صفورية
كفركنا
المشهد
الرينة
عين ماهل
عيلوط
الناصرة
معلول
يافة
المجيدل
دبورية
عرب الصبيح
اكسال
تل العرس
اندور
نين
تمرة
الناعورة
سولم
العفولة
حد قضاء
قرية
طريق رئيسي
طريق ثانوي
سكة حديد


قضاء عكا
قضاء
طبرية
قضاء
حيفا
الشمال
بيت ريمون
تسيبوري
هاسوليليم
الناصرة
ناتسرت عيليت
كفار هاحوريش
بيت قيشت
كدوري
كفار تافور
نهلال
يفعات
مجدال هاعيمق
سريد
تل عداشيم
مزراع
كفار باروخ
عفولا
عفولا عيليت
كفار يالديم
مرحافيا
رامات تسفي
قضاء جنين
قضاء بيسان
حد قضاء
قرية عربية
مستوطنة يهودية
طريق رئيسي
طريق ثانوي

فهرس المحتويات